

- الملك فيصل وتأسيس الجيش السعودي في مذكرات فوزي القاوقجي
- في حضرة الإمام جارالله الزمخشري المكي
- بورتسودان ضرّة سواكن السودان

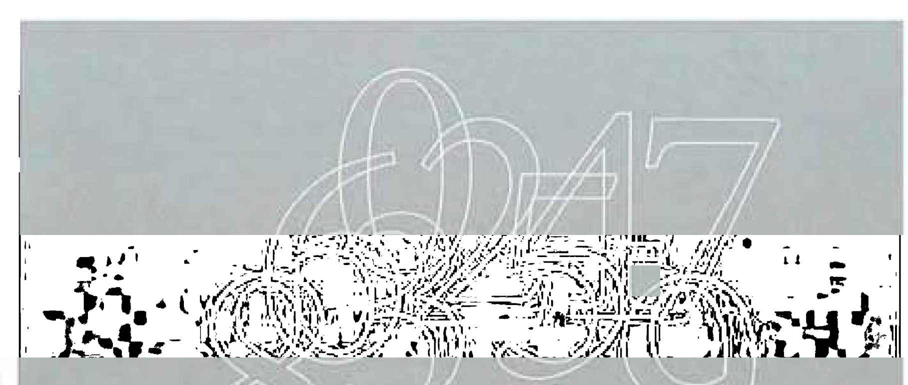
مجلة ثقافية شهرية - رمضان - شوال ١٤٣٢هـ/ أغسطس - سبتمبر ٢٠١١م

٤٢
٤٢

القطيف..
العمل التطوعي والتواصل الثقافي



طالعوا موقع
«الفيصل»
الإلكتروني



العددان ٤٢٣-٤٢٤ /رمضان-شوال ١٤٣٢هـ

المحتويات

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين
محسن بن حمد الحراية
حوى البي علي صالح
سيد علي الجعفري

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعودياً للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعودياً للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥، ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية
٤١/٢٤٥٠
ردمد ٢٠٠٠-٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com
contact@alfaisal-mag.com
alfaisalmagazine@yahoo.com



القطيف (الخَطّ قديماً) محافظة في المنطقة الشرقية من المملكة، تبلغ مساحتها 900 كيلاً مربعاً تقريباً، تتمتع هذه المحافظة الجميلة الهادئة بنشاط ثقافي حضاري يفوق مساحتها أضعافاً كثيرة، ويثير اهتمام الباحث فيها كثرة منتدياتها الثقافية.

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة. ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
  في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هنالك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات - الكويت ٨٠٠ فلس - الإمارات ١٠ دراهم - قطر ١٠ ريالات - البحرين دينار واحد - عُمان ريال واحد - الأردن ٧٥٠ فلسًا - اليمن ١٠٠ ريال - مصر ٤ جنيهات - السودان ١٠٥ جنيه - المغرب ١٠ دراهم - تونس ٣٥٠ ، ١دينار - الجزائر ٨٠ دينارًا - العراق ٨٠٠ فلس - سورية ٤٥ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنكًا - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٣٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع، هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١) - فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١) - مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٣٠٠ - سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٣٨٢٦٣ - فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ، ١١ ، ٠٠٩٦٣ - تونس - الشركة التونسية للصحافة، ٣ نهج المغرب، ص.ب ٧١٩، فاكس ٣٢٣٠٠٤١/٧١ هاتف ٩٣٢٢٤٩ ، ٧١ ، ٠٠٢١٦ - قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، ص.ب ٣١٨٨ هاتف ٤٦٦١٣٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٠٠٩٧٤ - الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٣ ، ٦ ، ٠٠٩٦٢ - البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٠٠٩٧٣ - الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٢٥٦٦٢ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ، ٤ - ٠٠٩٧١ - الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤/١١/٢٤١٧٨١٠ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٠٠٩٦٥ - المغرب - الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٣٢/٢١٠٤٠٤٢٣٣ ، ٠٠٢١٢ ت ٢٢٢٤٠٠٣٣ - الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع هاتف ٢٠١٩٠١/٢ ، ٣ ، ٠٠٩٦٧ - فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

alfaisalmagazine@yahoo.com



الضيافة الإسلامية

أعمل أستاذاً مشاركاً بكلية السياحة والفنادق في جامعة المنيا، وأشرف على كثير من طلاب مرحلة الدراسات العليا.. لذا آمل أن أحصل على نسخة من مقالة عن الفنادق والفندقة في بلاد العرب والإسلام - العدد الأول من مجلة «الفيصل» لاحتياجي الشديد إلى الاطلاع عليها، وستكون هذه المقالة ذات فائدة عظيمة في دراسة تقوم بإعدادها إحدى للميداني عن تطور الضيافة في مصر الإسلامية؛ ولقد حاولت العثور على إحدى النسخ بالمكتبات العلمية بالقاهرة، وللأسف لم أجدها. سوف أقدر كل التقدير مساعدة سيادتكم القيمة.

د. سماح عبدالرحمن محمود

قسم الإرشاد السياحي - كلية السياحة والفنادق

جامعة المنيا - مصر

التحرير:

نقدر لك ثقتك، وسوف نرسل إليك - إلى جانب العدد المذكور - قائمة بما هو متوافر عن الموضوع المذكور في مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

جامعة الفيصل

أحييكم على جهودكم القيمة، وأريد الاطلاع على عدد المجلة الصادر في صفر سنة ١٤٢٩هـ المشتمل على استطلاع بعنوان (الفيصل جامعة أهلية بمواصفات علمية) من إعداد الأستاذ حسين حسن حسين.

إيهاب أحمد مجاهد

المملكة العربية السعودية

التحرير:

نشكر لك تواصلك معنا، وسوف يصل إليك العدد المطلوب، ونأمل استمرار تواصلكم مع المجلة.

مرحباً بك

أتمنى الاستفسار لو تكرّمتم بشأن قصة أرسلتها منذ أكثر من مدة بعنوان: (المشهد الأخير)، وذلك بعد أن تفضّلتم بإبلاغي أنكم ترحّبون بتعاوني معكم في مجال القصص القصيرة والمقالات، وكنت أريد معرفة ما تمّ بخصوص قصتي، فهل تمت الموافقة على القصة المرسلة لتنشر في مجلتكم المتميزة؟ وهل هناك موافقة من جانبكم لإرسال قصص أخرى للنشر؟. أرجو الإفادة، ولكم جزيل الشكر والتقدير.

الكاتبة والصحفية والسيناريست/ نهال السيد شلبي

القاهرة - مصر

التحرير

بشأن استفسارك عن قصة (المشهد الأخير) نفيدك بأنها لم تصل. ونأمل التلطف بإعادة إرسالها، شاكرين لك تواصلك مع مجلة (الفيصل)، ولا شك أننا نرحّب بكتاباتك.



أمل الاشتراك

أنا من محبي هذه المجلة طلبي هو الاشتراك بهذه المجلة الموقرة الرائعة، بل الأكثر من رائعة، وإذا كان بإمكانكم إرسال الفيصل العلمية أيضاً، أرجو منكم أن تأخذوا طلبي في الحسبان وشكراً.

فيصل درويش

الجزائر

التحرير:

نشكر لك حرصك على التواصل مع المجلة، وبخصوص الاشتراك فإن قيمته بالنسبة إلى الأفراد في الجزائر هي ٨٠ ديناراً، وسوف تصل إليك المجلة إلى عنوانك، علماً بأن الاشتراك هو الوسيلة الفضلى لضمان الحصول على العدد شهرياً قبل نفاده من الأسواق.
أما الفيصل العلمية فإن قيمة الاشتراك السنوي للأفراد قدرها ٥٠ ريالاً، والمطلوب أن ترسل قيمة الاشتراك وعنوانك واضحاً مع التحية لك على هذا الحرص.



أرجو الردّ

سبق أن أرسلتُ عدة مساهمات للمجلة، ولم أتلقَ رداً حتى الآن بخصوص إذا كانت قد وصلت إليكم أم لا، وإن كان قد تمّ البتّ فيها من حيث القبول أو الرفض، وشكراً.

عارف فكري

قرية الموكلية - مركز البلينا - سوهاج - مصر

التحرير

تلقّينا مع التقدير مساهماتكم في مجلة الفيصل، ونشكر لكم تواصلكم، وسنبلغكم بمدى مناسبة موادكم للنشر، وتقبلوا تحياتنا.



محمد أحمد عبدالرحيم

الرياض – السعودية

بورتسودان

ضرّة سواكن السودان

تحقيق

سواكن عبارة عن دجاجة كبيرة جميلة شبعتم من أكل بيضها، وذبحتموها ونتفتم ريشها، وأكلتموها ورميتم عظامها لنا.



تلك عبارات انبعثت من بين زفرات حزينة ودمع يكف، هي عبارات صدرت ممن تصطكّ أضراسه من شدة الغيظ والحنق. حقيقةً هي نصّ العبارات التي نفثها العمدة محمود بك عثمان أرتيقه - عمدة سواكن - في وجه الإداري المستعمر - أول وزير للمعارف حينها - الذي جاء إلى سواكن لتنفيذ إجراءات نقل مدرسة سواكن الأميرية إلى بورت سودان. قال له هذه العبارات وهي خالية من أسلوب التنميق الذي كان يتطلّبه الموقف إزاء الرؤساء حينذاك. وحقّ له ذلك؛ لأنه ربيب العمودية كابراً عن كابر. تسنّمها وترقّى في سلّم رتبها حتى فاز بلقب البكوية. ليس هذا فحسب، بل سُمّيت إحدى بوّابات سور المدينة باسمه تكريماً له.

ونقل المدرسة الأميرية إلى بورت سودان في نظره هو نقل قصر بلقيس من سبأ إلى بيت المقدس. فإن كان قصر بلقيس قصراً ممرّداً يستمدّ كينونته من قيمته المادية؛ فالمدرسة الأميرية بالنسبة إليه صرح تعليمي يستمدّ كينونته من القيمة العلمية التي كانت تُرسيها؛ لتخريجها كثيراً من الكفاءات والقامات القيادية التي ساهمت مساهمةً بنّاءة في دفع عجلة الخدمة المدنية في السودان. نذكر منهم على سبيل المثال: سعادة الرئيس الأسبق الفريق إبراهيم عبود، وسعادة الفريق طاهر محمد أول من تسودنت على يديه وزارة الدفاع السودانية، الذي أطلق اسمه على المستشفى الذي افتتح مؤخراً في مدينة جبيت تخليداً لذكراه.

وإذا كان قصر بلقيس نقله من كان له علم بالكتاب؛ فالمدرسية الأميرية انبرى لها عفريت من جنّ إدارة المستعمر. ونقلها إلى بورت سودان في موقع كائن شمال نادي الخريجين وجنوب غرب الأميرية المتوسطة، التي اتخذت من ثكنات جيش المستعمر مقراً لها. لقد نقلت إلى موقعها الجديد مجردةً حتى من لقب الأميرية؛ لتسمى مدرسة بورت سودان الشرقية. وكانت تلك في حدّ ذاتها

خطوة سبقتها خطوات وخطوات؛ تنفيذاً لسياسة سحب البساط من تحتها. وتأسيس بورت سودان على أنقاضها. فأصبحت بحقٌ ضرّتها كما يشير إلى ذلك عنوان موضوعنا. وصدق أمير الشعراء عندما قال:

ويــــــارُبّ وجــــه كــصــــــافي الــنـمـــــير
تــشــــــابــه حـــامـــلــه والــنـــمــرْ

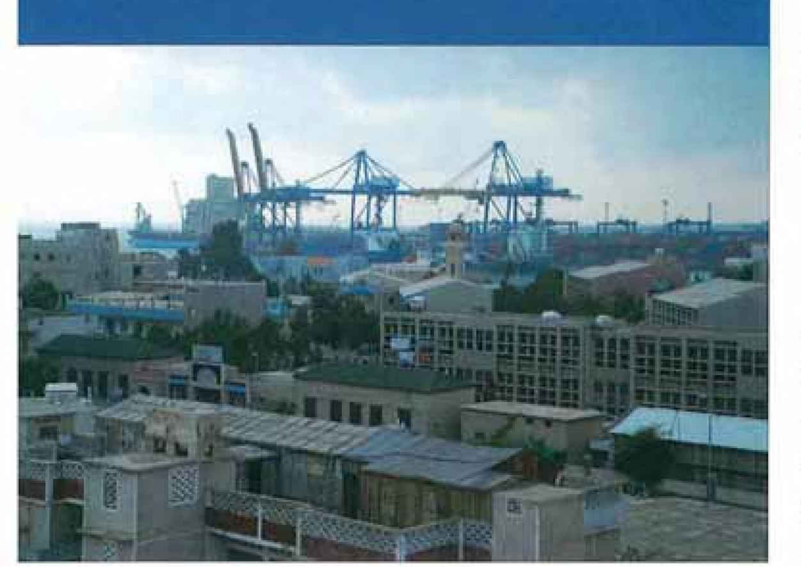
فبورت سودان كشرت لها عن أنيابها، وأرتها وجهاً عبوساً قمطريراً. أو هكذا اعتقد أهالي سواكن. ولكن أهل العلم والمعرفة لم يشاطروهم هذا الرأي. وشرعوا عملياً في بناء الميناء المرتقب. أما سواكن وأهلها فلم يبق لهم شيء سوى أمل بعيد المنال يتشبثون به لتحقيق إعادة إعمار مدينتهم من جديد. وكان ذلك أملاً رسخ في اعتقادهم بناءً على نبوءة السيد محمد عثمان تاج السر الميرغني مؤسس الطريقة الختمية في السودان. وتشير النبوءة إلى أنه سيعاد إعمار سواكن عندما تصل امتدادات مدينة بورت سودان إلى (أسوت ريا). وهي أول محطة لسكة حديد يمر بها مغادرو المدينة. وتعني بالبجاوية (الجبل الأخضر). ولكن في عام ١٩٥٤م تكونت لجنة لإعمار مدينة سواكن برئاسة شرفية من السيد علي الميرغني ابن من نسبت إليه النبوءة السالفة الذكر. ولكن للأسف الشديد حدث انقلاب الفريق إبراهيم عبود في نوفمبر عام ١٩٥٨م فتلاشت نشاطاتها بفعل الأحكام العسكرية التي أصدرها الانقلابيون. وبهذا السيناريو المحزن أسدل الستار على مسرح تأريخ المدينة البيضاء، وأدار لها المستعمر ظهره فكانت المبادرة العجلى لتأسيس ميناء بورت سودان لتتجه إليها الأنظار، ويتدافع نحوها الناس لإعمارها حرصاً على اغتنام فرص الإغراءات الجمة التي عرضتها عليهم حكومة المستعمر فبدأت أحياؤها بالنشوء والظهور.

البحر الأحمر: موانئ وخلجان

تعود نشأة البحر الأحمر إلى الانكسار القاري العظيم الذي حدث بين القارتين الإفريقية والآسيوية فأحدث الأخدود العظيم الذي يقع فيه البحر الأحمر. والبحر الأحمر وما أدراك ما البحر الأحمر؟ هو بحر تعددت أسماؤه، فكان يعرف في الماضي ببحر القُلزُم. لقد ورد ذلك عند كل من ابن حوقل والإدريسي. أما القلقشندي في صبح الأعشى في جزئه الثالث صفحة ٢٤١ فإنه يرى

بورت سودان: أسماء وألقاب

من الجدير بالذكر أن الأسلوب الذي كان متبعاً في تسمية المدن السودانية بصفة عامة ارتباط أسمائها بأحداث وتواريخ ومناسبات بالقطر. أما بورت سودان كانت فريدة في طابعها من حيث اختيار موقعها وتخطيطها ونشأة أحيائها وتسميتها الأجنبية. في بادئ الأمر ظهرت توجهات بتسميتها بأسماء من كان لهم الجهد الضافي، والعمل الدؤوب لاكتشافها. كان رأي اللورد كرومر أن يطلق عليها اسم بورت ونجت (Port Wingit)، ورأي ونجت أن تسمى بورت كرومر (Port Krommer) فاعتذر الاثنان أن تسمى باسميهما وأخيراً تم الاتفاق على تسميتها (Port of Sudan) وعدّلت إلى (Port Sudan) من أجل الاختصار. ومن ثم اخضع الاسم لعملية (Tranasliteration)، أي: (نقحرة) وهي ما يعرف بكتابة لغة بحروف لغة أخرى. ووفقاً لذلك أصبح اسمها بورت سودان. ولكن من الملاحظ أن اسمها ينطق ويكتب بصيغ مختلفة مثل: برتسودان بورتسودان وبورسودان وبورت سودان. ومن رأينا أن يكتب بالصيغة الأخيرة لأنها في الواقع أقرب إلى عملية النقحرة التي أخضع لها. ولذلك سيتم التزام ذلك على مدى هذا المقال، ومن علم حجة على من لم يعلم. والجدير بالذكر أنها كانت تعرف في الماضي القريب بمرسى الشيخ برغوث الذي يقع قبره على ميمنة مدخل السفن الحالي. وهو شيخ يعتقد أنه اشتهر فيما مضى بصلاحه وكراماته لدى الناس.



أنه سمي بذلك نسبة إلى مدينة القلزم التي تقع في طرفه الشمالي، ويضيف أن تسمية البحر الأحمر مردها إلى الاسم القديم (بحر الملل الأحمر) ثم اختصر فيما بعد إلى البحر الأحمر. يضاف إلى ذلك ما قاله الهمذاني الذي سماه بـ (البحر الكبير) وبـ (بحر القزما). أما الإصطخري فسماه (بحر فارس) إضافة إلى (بحر القلزم). بالإضافة إلى هؤلاء هناك عدد من المؤرخين والباحثين ممن تناول ذلك، ولا يتسع المجال هنا لذكر جميع الآراء.

فهو بحر وإن تعددت أسماؤه إلا أنه له خصوصيته البيئية بين البحار الأخرى. ومن قبيل العلم بالشيء لا الجهل به، لابد أن نذكر أنه بحر يمتد من باب المندب في الجنوب إلى مدينة السويس في الشمال نحواً من ١٩٣٠ كيلومتراً، ومتوسط عرضه ٢٨٠ كيلومتراً، وتغوص أعماقه إلى ٦٠٠٠قدم، ومجموع الجزر المنتشرة في ربوعه تبلغ ما يربو على ٣٧٩ جزيرة، ولا يفوتنا أن نوضح أنّ طول الساحل السوداني على ساحله الغربي نحو ٨٠٠ كيلومتر. وفوق هذا وذاك، يتميز أيضاً بارتفاع درجات الحرارة ونسبة الملوحة في مياهه. ولذا فهو يمج بأحياء مائية مختلفة الألوان والأحجام. وهنا يسرنا أن نخص بالذكر الصخور المرجانية التي تبنيها كائنات مجهرية على الحيد البحري فتتفرع كتفرع الأشجار، ولها ألوان زاهية تسر الناظرين. فهذه الصفات مجتمعة جعلته منطقة جذب للغواصين ومصوري الأفلام الوثائقية. وأما سبب ذكرنا تلك الصخور دون الكائنات الأخرى فلأنها تمثل المشكلة الحقيقية التي تعانيها السفن التي تمخر عبابه، وتحاول الوصول إلى مرافئ الموانئ؛ لأنها بمرور الزمن تنمو وتتكاثر وتتشابك مكونة حواجز صخرية طبيعية تمثل عوائق خطيرة ومدمرة: وذلك ما كان ومازال يعانيه ميناءا سواكن وبورت سودان. وهذه الصخور تنمو عادة في شكل سلاسل موازية للساحل متحاشية مصبات السيول والخيران ومتسببة في تكوين عوائق طبيعية كانت ومازالت تحول دون توافر المواقع المناسبة لتأسيس الموانئ على الساحل السوداني. وأشهر تلك الخيران دلتا خور بركة جنوب مدينة طوكر. وخيران سد قوب جنوب غرب سواكن. وخيران سد هندوب شمال غرب سواكن. وتلك التي تصب في سد الشاطئة بسواكن. ثم خور هوشيري الذي أنشأت في دلتاه ميناء بشائر لتصدير النفط السوداني، وكذلك خور موج الذي يصب في الساحل الجنوبي الغربي لخليج ميناء بورت سودان. وينتهي بنا سرد هذه الخيران إلى خور أربعات الذي يقع شمال غرب بورت سودان وعلى بعد ٣٢ كيلاً. فهو خور يمتاز على بقية الخيران السالفة الذكر لأنه فيه سرف تسيل مياهه طوال العام دون توقف. فبدأ الاهتمام به منذ البداية؛ لأنه كان من العوامل التي رجحت اختيار ميناء بورت سودان. وقد تمت مؤخراً توسعة السد لتتجمع خلفه كميات هائلة من المياه في الموسم. ليس هذا فحسب بل يأتي ترتيبه السادس بين السدود المنشأة في السودان من حيث كمية المياه التي يمكن تخزينها خلفه. وترتيب تلك السدود هو سد مروي وسد الروصيرص وسد سنار وسد جبل أولياء وسد خشم القربة فسد أربعات على التوالي. فسد أربعات تابع لوزارة الري والموارد المائية والآن وحدة تنفيذ السدود لا تحبذ ضمه إلى هذه الوحدة؛ لأنه ليست به إمكانية لتوليد الكهرباء؛ لأنها أساساً ينصب اهتمامها على السدود التي تولّد منها الكهرباء. وخلاصة القول أنّ أوضح نموذجين للموانئ على الساحل السوداني ميناءا سواكن وبورت سودان. فالأولى سُد مدخلها بتلك الصخور فصرف عنها النظر والأخيرة تعاني المشكلة نفسها، ولكن بصورة أقل لتصبح البديل الأنسب. والسفن القاصدة للميناء عادة تتخذ كثيراً من الحيطة والحذر لاختيار طريقها عبر الفجوات الموجودة بين



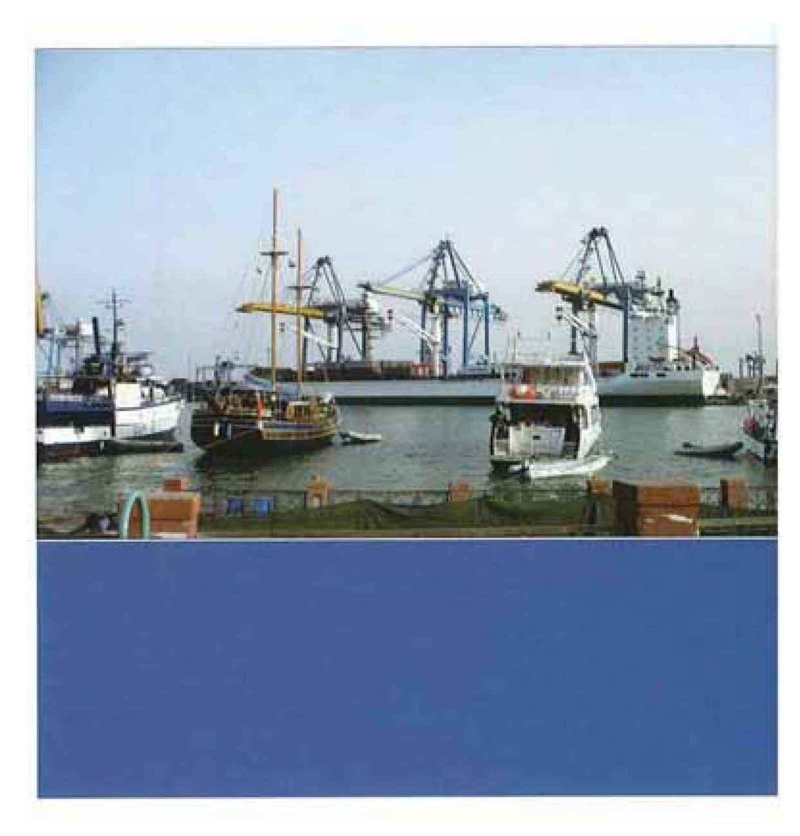


الصخور المرجانية إلى حين وصولها إلى مرفأ الميناء المقصود. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحادث الذي وقع مؤخراً لسفينة باعبود في سواكن وأنقاض السفينة الماثلة للعيان على يسار السفن الداخلة إلى ميناء بورت سودان مؤشر واضح لخطورة الصخور المرجانية.

وفي واقع الأمر بدأ الاهتمام البريطاني لإيجاد ميناء بديل لسواكن منذ عام ١٨٧٤م، وذلك عندما مر بها الملازمان واطسون وشوبوتل، وهما في طريقهما إلى مديرية خط الاستواء. فأشار واطسون في مذكراته إلى مرسى الشيخ برغوث موضحاً إلى إنه أفضل من ميناء سواكن ويمتاز عليها بأعماقه التي تراوح بين ١٢و١٦ قامة، وهي الأعماق التي تتناسب مع السفن البخارية الضخمة. وبعد إعادة فتح السودان في عام ١٨٩٨م أصبح التفكير في ذلك بصورة جادة تحسباً لحاجة التوسع المتوقع بعد تطبيق السياسة الجديدة للتوسع في مساحات زراعة القطن، وبخاصة في مشروع الجزيرة، وهذا الأمر أصبح يحتم استقبال السفن المحيطية

الكبيرة لنقل المنتجات الزراعية. وبناءً على ذلك كلفت الحكومة في عام ١٩٠٤م الكولونيل دالستون كنيدي - من مصلحة الأشغال العامة - تقديم تقرير عن مدى صلاحية ميناء سواكن إتباعا لسياسة «أعطِ القوس باريها». فأشار في تقريره إلى ضرورة تغيير ميناء سواكن. ولفت الأنظار إلى وجود موقع شمال سواكن بنحو ٥٦ كيلاً وهو صالح لقيام ميناء جديد وكان يعني مرسى الشيخ برغوث، ليس هذا فحسب، بل رسم خريطة المدينة المقترحة، وحدد مصدر مياهها العذب المتوافر في خور أربعات الواقع في الناحية الشمالية الغربية منها.

في محيط هذه العوائق الطبيعية الخطيرة ظهر ميناء سواكن بوصفه أول ميناء للسودان في تاريخه الحديث، منذ القرن العاشر الميلادي بخلفية واسعة الاتساع تمتد إلى دول غرب إفريقية، وبخاصة ما يتعلق بحجاج تلك المناطق الذين يأتون إلى سواكن



ومنها إلى جدة لينتهي بهم المطاف في مكة المكرمة. وإذا أضفنا إلى هذا الشأن الديني الشؤون الحياتية الأخرى للإنسان من اقتصادية واجتماعية وسياسية يمكن أن نتصور حجم الخدمات التي كانت تؤديها سواكن. ولكن منذ بدايات القرن العشرين تضاءلت أهميتها بوصفها ميناء لانتشار الصخور المرجانية بكثافة عند مدخلها، علاوة على ظهور السفن البخارية العملاقة التي لا تتسع الفجوات الموجودة بين تلك الصخور لدخولها إلى الميناء، فضلاً عن عدم توافر الكميات الكافية من مياه الشرب التي تستخدمها السفن لتبريد محركاتها، فالمتوافر منها لا يكاد يشفي غليل سكانها فضلاً عن توفير كميات كبيرة منها لاستهلاك السفن الزائرة.

فقضية إيجاد الميناء البديل لسواكن كان أمرها شائكاً، واختلفت حوله الآراء ووجهات النظر بين مؤيد ومعارض. فالأبحاث الأولية التي قامت بها الأميرالية البريطانية أكدت أهمية ميناء سواكن، وعدّته الموقع المناسب لإنشاء الميناء الجديد على الساحل السوداني؛ وذلك لوجود السكة الحديدية التي تربط بينها وبين النيل، فكلف كنيدي بتقدير المبالغ اللازمة لإزالة الشعب المرجانية من مدخلها، فكنيدي نفذ التوجيه، ولكنه أكد أن النفقات التي ستصرف على ذلك كبيرة، ولن تحل المشكلة؛ لأن مرفأ سواكن لا يتحمل إلا عدداً محدوداً من السفن لعدم نجاح المحاولات والأفكار الرامية إلى استخدام نقطة جراهام على جانب القناة الطبيعية الطويلة التي تمر بها السفن من البحر إلى المرفأ. ويضاف إلى ذلك ما كان من أمر اتفاقية الحكم الثنائي عام ١٨٩٩م التي عدّت فيها سواكن مركزاً خاصاً لمصر لاتفاقها مع الحاكم العثماني لتتولى إدارتها مقابل قدر من المال كل عام.

ولكن فكرة كنيدي عجبت «ونجت» لمعرفته القديمة بالموضوع فاقترح على الحاكم العام اللورد كرومر أن يكون للسودان ميناؤه الخاص المناسب للتطورات المستقبلية. فتوافق ذلك مع سياسة بريطانيا التي كانت ترمي إلى جعل السودان سوقاً رئيساً للمنتجات البريطانية والحرص على الحصول على المواد الخام لصناعاتها. ومن مقترحات كنيدي تكوين لجنة من الفنيين المختصين لدراسة موقع شيخ برغوث. فقام «ونجت» بزيارة ميدانية للموقع فاقتنع برأي كنيدي. ثم سافر إلى القاهرة لوضع الخطوط الأساسية للسياسة المستقبلية لذلك. ثم صدرت التعليمات بتشكيل لجنة



رباعيه للدراسة الميدانية وكتابة التقرير اللازم. فوصلت اللجنة إلى السودان في أغسطس عام ١٩٠٤م، وفي سبتمبر عام ١٩٠٤م زار كابتن جدج Gedge سواكن. وأكد عدم صلاحيتها لخدمة الملاحة وتجارة السودان المستقبلية، واعترض عليها لضيقها وكثرة الصخور المرجانية في مرفأها. أما المهندس أرلخ Ehrilich فقد أضاف اعتراضاً يتعلق بقدم مباني ميناء سواكن وعدم صلاحيتها لأن تكون نهاية لخطوط السكك الحديدية وعدم اتساعها لتخزين البضائع المتزيدة؛ إذ كانت في الماضي تستوعب تجارة كان الناقل الرئيس فيها الدواب، كما أشارإلى عدم صلاحية جراهام لإنشاء الأرصفة: لأنها منطقة مكشوفة، وتتأثر بتقلبات الأجواء البحرية: وهذا ما يجعلها غير مناسبة لأن تكون موقعاً للميناء المستقبلي الذي يزمع إنشاؤه. وعلى الرغم من الأبحاث الأولية التي سبق أن قامت بها الأميرالية البريطانية لتدل على صلاحية سواكن إلا أن الاختبارات الميدانية التي أجرتها اللجنة الرباعية أكدت صلاحية الموقع الجديد تماماً للميناء الجديد بناءً على توافر الأعماق

المناسبة للسفن الضخمة ١٢-١٦ قامة وخلو المدخل من الصخور المرجانية، ووجود مساحات الأرض في الظهير مباشرة للبدء في بناء مواقع الأرصفة والمرابط.

وعليه تبودلت مختلف وجهات النظر سلباً وإيجاباً لمدة ليست بالقصيرة، فأرسل كنيدي إلى الحاكم العام يوم ٢٤ أكتوبر عام ١٩٠٤م تقريراً جاء فيه ضرورة صرف النظر عن سواكن والتحول إلى مرسى شيخ برغوث. فاستجابت حكومة السودان لإلحاحات كنيدي، وأصدرت له الأوامر بالمضي قدماً لتنفيذ المشروع. فأعد التقرير اللازم خلال أسبوعين مقدراً تكلفة التنفيذ ب ٩٤٠ ألف جنيه، فوضع ذلك حداً للجدل الذي كان دائراً حول هذا الأمر. فاتخذ القرار النهائي -الذي يعدّ القشة التي قصمت ظهر البعير- بالتحول إلى موقع الشيخ برغوث. وكان اختيار هذا الموقع للميناء الجديد في عام ١٩٠٥م، وفي عام ١٩٠٦م تم توصيل الخط الحديدي

> تحولت معظم أعمال الميناء المهمة عام ١٩٢٢م إلى بورت سودان نهائياً، وصدرت الأوامر بعدم استقبال السفن في سواكن

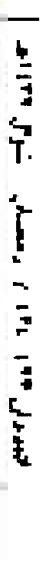
من عطبرة، ثم بدأ العمل في إنشاء الأحواض التي اكتملت عام ١٩٠٩م، وافتتحها رسمياً خديوي مصر عباس باشا في تلك المدة

وبحلول عام ١٩٢٢م تحولت معظم أعمال الميناء المهمة إلى بورت سودان نهائياً، وصدرت الأوامر بعدم استقبال السفن في سواكن منذ ذلك التاريخ. سبقت عملية إعلان الانتقال تجهيز مكاتب المصالح الحكومية، وعند الانتقال كانت المكاتب الرسمية جاهزة للشروع في العمل مباشرة، ومن ثم افتتحت الشركات وبيوتات الاستثمار والبنوك التجارية فروعها، وحددت وكلاءها في المدينة. وأعقب ذلك تشييد منازل للموظفين وفق خطة تخطيط المدينة الرامية إلى تقسيم الأراضي حول الساحل الغربي إلى أحياء متعددة تختلف قيمة كل حي من الأحياء السكنية من حيث بعد موقعه وقربه من الميناء، فأنشئت محطة السكة الحديدية الخاصة بالركاب، كما بنيت منازل لموظفي السكة الحديدية وعمالها حول منطقة المحطة نفسها.

بورت سودان: الموقع والمناخ والتضاريس

ترتفع سواكن بخمس أقدام فوق مستوى البحر في حين ارتفاع بورت سودان يراوح بين ٦ و١٠ أقدام فوق مستوى البحر، وهي تقع في الساحل الغربي للبحر الأحمر شمال سواكن، وعلى بعد ٥٦ كيلو متراً، وتحديداً تقع على خط عرض ١٩ ٣٧ شمالاً، وخط طول ١٣ ٣٧ شرقاً. والسهل الساحلي للمدينة ينحدر من ارتفاع ٢٠٠٠قدم في الغرب إلى الساحل في ناحية الشرق، وأهم مجاري المياه والخيران التي تصب في المدينة خور موج وخور كلاب، وتشكل في مجموعها أجزاءً كبيرة من مساحة المدينة، ومن تسميته تتضح سمته من الموقع الذي تعبر منه السكة الحديدية والذي بنيت عليه سلسلة طويلة من الجسور (الكباري) اشتهرت عند العامة (بتسعة كباري) ومصبه عند مدخل الميناء الجنوبي من الناحية الجنوبية الغربية للخليج.

والميناء: عبارة عن خليج طبيعي بطول ٦ كيلومترات تمتد شمالاً من المدخل الحالي حتى موقع حي سلالاب الحالي، وأما عرضه فهو ٢٥٠متراً، ويفصل الجزء الشرقي منها عن الجزء الغربي الذي يأوي الأغلبية العظمى من السكان. أما خور موج فيفصل جزأها الشمالي من الجنوبي ليصب غرب أرصفة المنطقة الجنوبية. أما من ناحية المناخ والطقس فأمطارها شتوية تسببها هبوب الرياح الشمالية المحملة بالرطوبة، وفي كثير من الأحيان تكون مصحوبة بالعواصف التي تتسبب في سقوط عدد من المنازل الشعبية. وفي الصيف تبدأ درجات الحرارة في الارتفاع منذ شهر أبريل حتى تصل ذروتها في شهر أغسطس، وعندما تبدأ درجات الحرارة في الارتفاع يعاني الناس الأمرين من شدة غزارة بيوسة الماء على أجسادهم حين تبتل ملابسهم، وتتعاقب عليهم فترات سكون الهواء التي يشعرون في أثنائها بضيق في التنفس، ويسمونها (الكتمة) تعبيراً عن انكتام أنفاسهم وصعوبة التنفس. ومما يزيد الطين بلة، بدء مشكلة النقص الكبير في مياه الشرب. ومن ثم تبدأ



> أول من تشرفت بورت سودان بزيارته بعد افتتاح الخديوي عباس باشا لها الملك جورج الخامس - ملك الإمبراطورية البريطانية



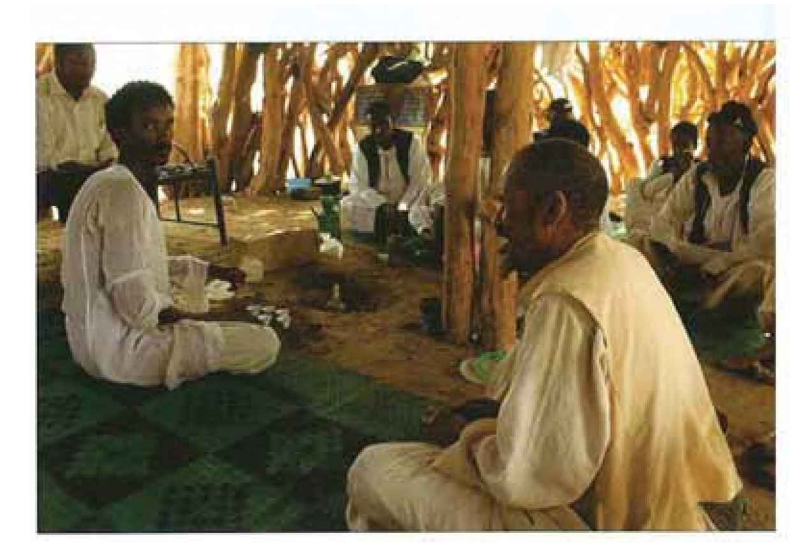
أغلبية السكان بالنزوح الموسمي إلى المصايف في جبيت وسنكات وأركويت، وبعضهم الآخر ينزح إلى المناطق الداخلية هيا وكسلا والقضارف وعطبرة والخرطوم.

بورت سودان: أحياء وسكان

كما أسلفنا في عام ١٩٠٤م كلفت الحكومة الكولونيل دالستون كينيدي من مصلحة الأشغال العامة لتقديم تقرير عن مدى صلاحية ميناء سواكن، فأوضح أنه غير صالح، وحدد البديل الجديد في مرسى شيخ برغوث في الشمال، ليس هذا فحسب، بل رسم خريطة للمدينة المقترحة، وقامت خطته على تقسيم الأراضي حول الساحل الغربي إلى أحياء متعددة تتبع أهمية كل حي من تلك الأحياء من حيث قرب موقعه وبعده من موقع البناء. فقد تم إنشاء محطة السكة الحديدية الخاصة بالركاب، وألحقت بها منازل

موظفي السكة الحديدية وعمالها في المنطقة المحيطة بها. وبدا نمو المدينة أول الأمر بطيئاً؛ وذلك لنشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م التي أصابت الحركة التجارية بالشلل التام لدرجة استحال معها توريد البضائع والمعدات المطلوبة لبناء الميناء الجديد.

ثم بدأت أحياؤها بالظهور والنمو تدريجياً. ففي عام ١٩٢٨م بدأت نشأة ديوم البر الشرقي، مثل: (أبو حشيش) وديم التجاني وسلبونا والأسكلة (تعني الرصيف)، و(ترب هدل) التي تعني بالبجاوية النصف المظلم لافتقارها إلى خدمة الكهرباء. ثم شهدت هذه الأحياء تطوراً ملحوظاً بين الأعوام ١٩٣٠ و ١٩٣٢م؛ وذلك نتيجة ترتبت على تنفيذ قرار إحلال العمالة الوطنية (السودنة) مكان العمالة الأجنبية، وفي عام ١٩٣٥م بدأ التوسع في حي ديم المدينة، ونشأ حي دار الرياضة عام ١٩٥٠م، وسمي فيما بعد بحي العظمة. وفي عام ١٩٥٩م نشأ حي الثورة في الشمال. وكانت مادة البناء المستخدمة الأخشاب وكانت تقام على قوائم مرتفعة بنحو نصف متر فوق الأرض وذلك لعزل الرطوبة عن الساكنين. وفي غضون العقد السابع من القرن العشرين (١٩٦٠-١٩٧٠م) شهدت المدينة قمة التطور العمراني الذي انتظم معظم أجزاء المدينة. ففي الأحياء الراقية كان ارتفاع المنازل لا يزيد على الطابقين بحال من الأحوال. ثم نتج من ثورة التطور العمراني أن أصبح ارتفاع المنازل يصل إلى خمسة طوابق بصفة عامة، وعلى



وجه الخصوص في المنازل المطلة على البحر التي في وسط المدينة في المنطقة المحيطة بالسوق الكبير. وشمل هذا التطور أيضا مادة البناء، فأصبحت الحجارة المرجانية أو ما يعرف بحجارة المنقبة هي الغالبة. وهي في الأساس صخور رسوبية سبق أن انحسرت عنها مياه البحر، فامتهن عملية التنقيب ونحت الطوب منها عدد من عمال البناء. وإضافة إلى ذلك ازدادت درجة الاهتمام بهندسة المباني والعمران فأصبحت تتسم بالطابع الأوربي في شكل منازلها وسكانها، وبخاصة في بعض أجزائها الشرقية والجنوبية المحيطة بالسوق الرئيس للمدينة.

فالازدهار الاقتصادي والتجاري والصناعي الذي حدث في المدينة جعلها منطقة جذب سكاني مهم لرجال الأعمال والتجار والأيدي العاملة. فأدى ذلك إلى ازدياد الكثافة السكانية بصورة غير مسبوقة. ومن النتائج السلبية التي ترتبت على ذلك ظهور السكن غير القانوني (العشوائي) في ديم النور، وديم الشريف، وسلالاب في الشمال والشمال الغربي، وديم العرب، وأدروت دَبَا (أي الربوة الحمراء)، وصباح الخير، ودار السلام في الغرب. وأصبحت هذه الديوم الجديدة (المناطق) تغطي ثلث مساحة المدينة، وبزيادة سكانية أكثر من ذلك. وابتدعت مواد جديدة في البناء من الأخشاب والصفائح والحديد ومخلفات معدات البترول والبضائع. و أما العمران الحديث المبني بمواد البناء الحجرية فقد انتشر خلال المدة الممتدة بين الأعوام ١٩٤١ و١٩٥١م، وبخاصة في الأحياء الجديدة المتمثلة في ديمي الشاطئ والترانسيت.

بورت سودان: أباطرة وملوك ورؤساء

وأول من تشرفت بورت سودان بزيارته بعد افتتاح الخديوي عباس باشا لها، الملك جورج الخامس - ملك الإمبراطورية البريطانية - التي كانت تلقب بالإمبراطورية التي لا تغيب الشمس عنها؛ لأنها كانت تستعمر أربعة عشر دولة تكونت منها مجموعة الكومنولث. وكانت سياساتها الاقتصادية ترمي إلى التوسع في زراعة القطن بالسودان، وتمهد لسرعة تصديره إلى بلادها عبر الميناء الجديد فكان لابد من الاطمئنان على وضعها بعد الجهود المضنية التي بذلها مهندسو الإمبراطورية لإنشائها. كانت تلك الزيارة في عام ١٩١٢م، وشملت أيضاً مدينة سنكات ومصيف أركويت. ففي

بورت سودان أقيمت له منصة خاصة في الحديقة العامة الكائنة جنوب المجلس البلدي ليخاطب من فوقها مستقبليه. ومازالت آثارها باقية دليلاً قاطعاً على تلك الزيارة التفقدية الميمونة. كما تفقد مختلف مرافق الميناء. فتلك الزيارة إن دلت على شيء فإنما تدل على مقدار اهتمام الإمبراطورية بهذا المرفأ الجديد.

وأما الزيارة الثانية للمدينة فكانت عبارة عن مأمورية تدريب عسكري قام بها حينها الضابط جمال عبدالناصر في أثناء مدة الحكم الثنائي للسودان في نهايات القرن العشرين. والمهتمون بتاريخ المدينة يحفظون له ذكرى طيبة من موقف غاية في البسالة قام به في أثناء زيارة وفد عسكري بريطاني للمدينة حيث طُلب منهم إخلاء الثكنات العسكرية للوفد، وإقامة خيام في ضواحي المدينة للسكن فيها، فلم يعجبه ذلك، ومعرفته ضعف شخصية رئيسه المباشر أشعرته أنه - لا محالة - منفذ لتلك الأوامر. فبادر إلى استدراجه إلى غرفة قصية في الثكنات، وقفل عليه الباب دون علم الآخرين.

وفي طابور اليوم الثاني تولى عنه الأمر، واعتذر له بأنه أصابته وعكة مفاجئة. وعندما صدرت أوامر الانتقال إلى الخيام رفض تنفيذ تلك الأوامر على رؤوس الأشهاد لأن الجميع عساكر ولا بد لأعضاء الوفد من السكن في الخيام. وما فيش حد أحسن من حد. فما زال أهل المدينة يحفظون له هذه الأنفة والحمية العروبية ضد المستعمر، ويذكرونها بين الفينة والأخرى في صحفهم السيارة. وكما يعلم الجميع بذل جهوداً متواصلة لتأسيس الوحدة العربية الشاملة مع سوريا واليمن والسودان. ومن أكثر من الشيء عرف به. وموقف آخر يذكره له المعمرون من أهل بورت سودان الذين يتذكرون بأنهم سبق أن أرسلوا وفداً من ممثلي الحزب الاتحادي الديمقراطي من ضمنهم الشيخ بامكار محمد عبدالله لتهنئته بأعياد ثورة يوليو فأكبر منهم هذا التصرف. وفي الثالث عشر من أكتوبر عام ١٩٥٨م أعلن تكوين حزب مؤتمر البجا ممثلاً لأهل الشرق وتناقلته الصحف فبادر سعادته إلى إرسال برقية تهنئة متمنياً لهم التوفيق



لتطوير شعب البجا، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

أما الزيارة التالية فكانت في عهد سعادة الرئيس الأسبق الفريق إبراهيم عبود عندما استضاف سعادة البرزنيف جوزيف تيتو -رئيس الإمبراطورية اليوغسلافية- في النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي. ومن مؤشرات الخير لهذه الزيارة أن كرم الضيافة أجبر الحكومة السودانية على سفلتة الطريق الموصل بين محطة السكة الحديدية صمد (Summit)- أي: القمة بوصفها الأعلى في المنطقة- ومصيف أركويت؛ لأنها كانت ضمن جدول الزيارة بوصفها المصيف الأكثر شهرة في الداخل والخارج، وفيه قصر تابع لمرطبات السكة الحديدية لكبار الضيوف. وتجدر الإشارة إلى أنها كانت مرتع صبا قائد الثورة المهدية في الشرق الأمير عثمان دقنة حيث تلمذ للشيخ مجذوب الدامر لحفظ القرآن عن ظهر قلب. وهو الذي أذن له فيما بعد باللحاق بركب ثوار المهدية ضد المستعمر البريطاني. ويرتفع هذا المصيف نحو ثلاثة آلاف قدم فوق مستوى البحر، فنسيمه عليل، ومناظره جذابة. وأهم معالمه قمة يطلق عليها اسم (جبل السِّت). وتذكر الروايات أن إحدى السائحات الغربيات انزلقت من فوقه فلقيت حتفها فأطلق عليه هذا الاسم. وهو جبل يرى من يعتلي قمته مناظر بهيجة حيث يرى ساحل البحر الأحمر بكل تفاصيله الممتدة بين أفقيه الشمالي والجنوبي. وأهم تلك المعالم مدينة سواكن البيضاء التي ترتفع فوق مستوى البحر بخمس درجات.

والخيرية الثانية لهذه الزيارة أنه بعد زيارته لأركويت عاد إلى بورت سودان، ومن المعالم التي زارها بعد الميناء المستشفى المركزي، وعلى وجه التحديد غرفة العمليات الكبرى التي كانت حينذاك تحت إشراف مستشار هندي، بادر إلى انتهاز فرصة قرب الضيف منه وهمس في أذنه موضحاً له أن المستشفى عليه ضغط كبير؛ لأنه بالإضافة إلى الخدمات الداخلية يستقبل أيضاً الحالات المرضية الطارئة التي تحدث في السفن التي ترسو في الميناء، وأن غرفة العمليات لديهم غير كافية لاستقبال جميع الحالات لقدمها، وهم أحوج ما يكونون إلى غرفة حديثة. ومن عجائب هذا الضيف الكريم أنه بمجرد وصوله إلى بلده سارع إلى الوفاء بوعده وأرسل معدات غرفة العمليات، فاستبشر بها العاملون بالمستشفى خيراً بوصولها. ولكن فرحتهم بها لم تدم طويلاً؛ لأن الهدية غادرتهم إلى أحد مستشفيات العاصمة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أسلوب التهميش بين المركز والأقاليم له جذور ضاربة في القدم مع سبق الإصرار والترصد، والله المستعان على ذلك.

ورابع الزيارات التي أردنا إلقاء الضوء عليها زيارة رئيس الجمهورية اليمنية علي عبدالله صالح، فقد زارها في ضيافة الرئيس السوداني عمر أحمد البشير، وقد قام بزيارة هذه المدينة لشيء في نفس يعقوب، وإذا عرف السبب بطل العجب، فقد حرص على زيارة مدرسة أبوحشيش الابتدائية التي كانت مرتع صباه، ليس هذا فحسب، بل كان حينها مدللاً غاية الدلال، حيث يذكر المعمرون في هذا الحي أنه كان ينقل بالدراجة (البسكليت) بين البيت والمدرسة ذهاباً وإياباً بواسطة أحد المواطنين المفرغ لتلك المهمة. ولا يسعنا إلا أن نزجي له أجمل أيات الشكر والتقدير لوفائه بتذكر محراب العلم الذي تلقى فيه بدايات تعليمه، وكما يقال: (العلم في الصغر كالنقش على الحجر)، ولا يفوتنا أن نشكره على مساهمته الكريمة في المساعدة على بناء بعض الغرف الدراسية، وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون.

ولا شك هو الآن في وضع لا يحسد عليه في إطار الانشقاقات والمواجهات التي تجتاح بلاده ضمن إطار الثورات العربية، فنسأله تعالى أن يدرأ عنهم الفتن إنه سميع قريب مجيب الدعاء آمين.

تيتو أرسل معدات غرفة العمليات فتحولت إلى الخرطوم في دلالة واضحة على تهميش الأقاليم

الميناء: إدارة وهيئات ومصالح

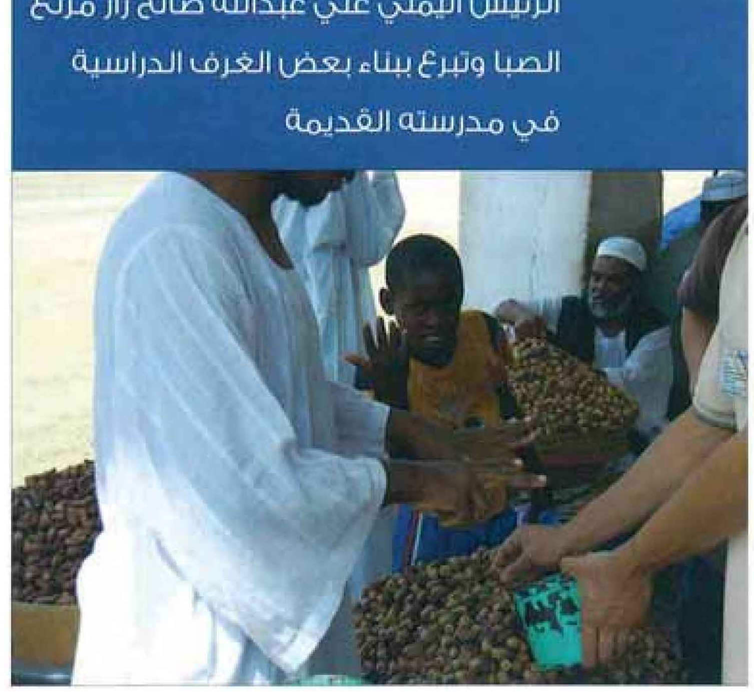
كانت إدارة الميناء موزعة بين مصالح وهيئات وأقسام، مصلحة الجمارك كان من اختصاصها الإشراف على الميناء بصفة عامة حتى عام ١٩١٤م على ألا يتعدى ذلك الإشراف على الأرصفة والمرابط، . أما مصلحة السكك الحديدية فكان لها الإشراف على



مخازن الميناء وخطوط السكك الحديدية وخطوط التخزين، إضافة إلى الإشراف على عمليات الشحن والتفريغ. أما مصلحة الموانئ والمنائر فقد أعطيت الإشراف على الأنوار والفوانيس والفنارات المتعلقة بالملاحة والإشراف على الحوض ومراقبة ربط السفن عند رسوها وإخلاء سبيلها عند المغادرة. وبعد مضي السنوات العشر التي أعقبت الافتتاح اتضح أن النظام المتبع لإدارة الميناء غير مناسب للاستمرار فيه؛ وذلك لتزايد حركة تجارة الصادر والوارد وإزاء ذلك رأت الإدارة ضرورة وضع إدارة الميناء تحت مصلحة واحدة تتحمل المسؤولية برمتها؛ وذلك للنهوض بمستوى الخدمات في الميناء. ففي عام ١٩١٦م وقع الاختيار على مصلحة السكك الحديدية لتضطلع بتلك المهمة. ولكن طرأ على الوضع عاملان مهمان اقتضيا التوسيع والتطوير المستقبلي، أولهما: التحديث الذي طرأ على أحجام السفن وأشكالها التي اتسمت بالضخامة. وثانيهما: تنفيذ تطوير خطة النشاط الزراعي في إنتاج القطن الذي احتل قائمة الصادرات السودانية.

وفي عام ١٩٢٤م بلغ طول الرصيف الرئيس في الميناء ٢٠٥٠ قدماً، وعمقه لا يقل عن ٣٨ قدماً، وهذا يمكن استخدامه لسفن الملاحة ذات الأحجام العادية. والرصيف الرئيس معد لرسو خمس سفن لا يزيد طول الواحدة منها على ٤٠٠ قدم. علاوة على رصيفين احتياطيين: أحدهما في البر الشرقي بطول ٦٥٠ قدماً، والآخر في البر الغربي بطول ٣٠٠ قدم، والرصيف الشرقي لرسو سفن البضائع. وفي ظهيره الحظيرة، ومكاتب الميناء. وهي النواة الأولى للمدينة • أما الرصيف الجنوبي فلاستقبال سفن الفحم والزيوت والمواد القابلة للاشتعال. أما في ظهير الرصيف الغربي فتقع مباني المصالح الحكومية والمباني السكنية للمدينة. وأوضحت التقارير أن هذه الأرصفة لا تكفي لحاجة السفن عند تنفيذ خطة التوسع في إنتاج القطن السوداني. وعليه وضعت خطة لتطوير الميناء تساير التقدم الذي كان متوقعاً ما بين الأعوام ١٩٢٥م و١٩٢٧م وذلك

قياساً على تطور وازدياد حركة الملاحة خلال السنوات العشر التالية لافتتاح الميناء عام١٩٠٩ م. إلى جانب ما طرا على شكل السفن وأحجامها في تلك المدة؛ وهذا ما أدى إلى شغل مساحات طويلة من الأرصفة المتوافرة. وعليه بدئ فوراً بتنفيذ التحسينات والإضافات على الأرصفة حسب الخطة الجديدة حتى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م. ومكنتها أساليب التطوير من القيام بأعبائها على أكمل وجه. ولكن الزيادة المطّردة لحركة الملاحة والإنتاج الزراعي في عام ١٩٢٥م جعلت الحكومة تفكر في التعاقد مع شركة هولندية للنهوض بتحسين الميناء وزيادة أطوال الأرصفة في المرحلة الثانية والأخيرة من مراحل التوسع. وانحصرت الزيادات في أطوال الأرصفة للمرحلة الأولى في المدة من عام ١٩٢٤م إلى عام ١٩٢٤م والمرحلة الثانية من عام ١٩٢٤م إلى ١٩٣٧م؛ وذلك عندما بدأ إنتاج القطن في الجزيرة والقاش وطوكر على نطاق واسع.


الرئيس اليمني علي عبدالله صالح زار مرتع الصبا وتبرع ببناء بعض الغرف الدراسية في مدرسته القديمة

الميناء: فنارات وفوانيس وأنوار

ويجب هنا أن نفرق بين الفنارات والمنارات. فالمنارات (Minarets) هي بنايات عاليات تبنى في البر وسط المدن كالمآذن وغيرها من المجسمات الجمالية. أما الفنارات (Lighthouses) فهي كذلك بنيات عاليات، ولكنها تبنى وسط البحر، لتحذير السفن من مواطن الخطر التي توجد فيها الصخور المرجانية. والفوانيس تقام في البر والبحر، وهي للتحذير والإرشاد في الموانئ. وقد خلق المولى عز وجل لخلقه آيات بيّنات ليهتدوا بها في أثناء تنقلهم في أرجاء هذا الكون في قوله تعالى: ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره...﴾ (النحل: ١٢). ومصداقاً لقول الخالق كان الناس يحددون الاتجاهات التي يقصدونها اهتداءً بالشمس في النهار، أما بالليل فيحددونها بمواقع القمر والنجوم. وبمرور الزمن طور الإنسان عدداً من المعدات والأجهزة التي ساعدت على تسهيل أموره دون الاستغناء عن الآيات التي سخرها له الله؛ لأنها باقية إلى يوم البعث. فالفنارات والفوانيس من إبداعات البشر التي ساعدت على تسهيل أموره في مجال الملاحة البحرية.

ميناء بورت سودان له عدة فوانيس وفنار واحد يقع في الاتجاه الشمالي الشرقي من مدخلها وعلى بعد أربعة عشر ميلاً، ومعروف باسم فنار (السنقنيب). فهو مبني على قوائم حديدية فوق النهاية الجنوبية من الشعاب المرجانية الموجودة في هذا الموقع. ويشكل الارتفاع الأعلى بين الإشارات المستخدمة؛ إذ يبلغ ارتفاعه ١٦٥ قدماً فوق مستوى سطح البحر، ولونه بنّي. وقمته يكسوها الطلاء الأبيض. وهو يعطي شعاعاً منفرداً كل خمس ثواني. ويظهر هذا الشعاع المنبعث منه لمن هو على مسافة ١٩ ميلاً. ويعود تأريخ إنشائه إلى عام ١٨٩٧م، وتولت ذلك الحكومة المصرية بوصفه آخر مناراتها في البحر الأحمر، وتنازلت به للسودان عام ١٩٥٧م. فالسفن المتجهة إلى هذا الميناء لا بد أن تسير حتى النهاية الجنوبية منه، ثم تغير اتجاهها شمالاً نحو مدخل الميناء.

أما الفوانيس فمنتشرة في القناة الملاحية للميناء ولها موقعان أساسيان: أولهما: دون فنار السنقنيب السالف الذكر، والآخر: داخل المرفأ في البر الشرقي والغربي والجنوبي. فالتي خارج الميناء

يوجد أحدها على رأس شعب مرجانية معروفة باسم محطم الأمواج الخارجي؛ لأنه تتكسر عليه الأمواج بصورة واضحة للعيان. ويرتفع فوق مستوى سطح البحر ٣٥ قدماً، ويبلغ طوله ٣٠ قدماً. والفانوس الرئيس للميناء أقيم على ارتفاع ٦٢ قدماً فوق مستوى سطح البحر، وطوله ٧٢ قدماً ومثبت على الطرف النهائي للحاجز الساحلي، ويبعد ميلاً وربع الرميل جنوب شرق محطم الأمواج الخارجي، ولونه رمادي، وحوله نطاق أفقي من اللون الأبيض. وهناك فانوس دما دما (Dama Dama)، ويعني بالبجاوية (الرمّاش). ويقع في الجانب الجنوبي الغربي من مدخل الميناء، وعلى مسافة ٢٢٠٠ ياردة جنوب شرق رأس محطم الأمواج، ويتعاقب عليه اللونان الأبيض والأحمر. وعلى الجانب الشمالي الشرقي من مدخل الميناء يقع فانوس آخر بارتفاع ٢٦ قدماً فوق مستوى سطح البحر، وعلى مسافة ٧٠٠ ياردة غرب رأس محطم الأمواج.

أما في المدخل الخارجي للميناء فيوجد فانوسان: أحدهما على حاجز ونجت، والآخر على حاجز توارتيت، وتمر بينهما السفن بسلام. كما ينبعث من رأس رصيف رقم (٩) ضوء من فانوس على ارتفاع ٢٨ قدماً فوق مستوى سطح البحر، وعلى مسافة ٩٠٠ ياردة غرب الفانوس الذي يقع على الجانب الشمالي الشرقي من المدخل. وفي النهاية الخارجية لخط الأنابيب فانوس على ارتفاع ٦ أقدام فوق مستوى سطح البحر، وعلى مسافة ٦٠٠ ياردة شرق فانوس القيادة الأمامي. ويقع على الجانب الشرقي فانوس خلف صهريج المياه على ارتفاع ١٠١ قدم فوق مستوى سطح البحر. كما أن هناك فانوساً أمام حمام السباحة الإنجليزي. وعلى السقالتين رقم (٥) و(٣) فانوسان لخدمة سفن الميناء. وعلى الجانب الغربي من الميناء فانوسان على برجين عاليين يساعدان على إرشاد السفن للدخول إلى المرفأ بسلام ليلاً ونهاراً، ويعرفان باسم أنوار الإرشاد (Leading Lights)، يقع أولهما على مقربة من فندق البحر الأحمر بارتفاع ١١٣ قدماً فوق مستوى البحر، وعلى مسافة ٢٢٠٠ ياردة شمال غرب الفانوس الذي على رأس رصيف الجانب الجنوبي الغربي من المدخل. ، ويبعد عن الساحل نحو ٥٠٠ ياردة. أما البرج الآخر فيقع غرب المسجد الكبير بارتفاع ١٥٧ قدماً فوق مستوى سطح البحر، ولونه أحمر، وفي ثلثه العلوي نطاق أبيض. وهناك مصباح أحمر على قمة كل منهما يضاء ليلاً. وهما لخدمة السفن الداخلة إلى المرفأ ليلاً ونهاراً بحيث يضبط ربان السفينة مقدمة سفينته، أي: ما يسمى (البروة) في خط مستقيم يقع بين هذين البرجين. وهذه الفوانيس مجتمعة تحدد مدخل الميناء تحديداً واضحاً ودقيقاً بين جانبي مدخل الميناء. وتضفي عليها في الليل منظراً جميلاً فتبدو وكأنها نجفة كريستال أنيقة. وهذه الكثرة





تعكس لنا مدى أساليب الحيطة والحذر المتخذة التي تفرضها مخاطر الشعب المرجانية الموجودة عند مدخل الميناء.

الميناء: أرصفة ومرابط وأحواض

مصلحة الجمارك كان لها الإشراف على الميناء حتى عام ١٩١٤م ولا يتعدى اختصاصها عملية الإشراف على الأرصفة والمرابط. . فالميناء بصفة عامة مرفأ لكل السفن التي تقصدها، ولكن مرفأ كل سفينة داخلها هو الرصيف الذي يحدد لها لترسو فيه. والرصيف ملحقة به المرابط لتثبيت السفينة حتى لا تبعدها حركة الأمواج. والسفن التي لا تجد رصيفاً فتثبت باستخدام الهلب. وهو بمنزلة المربط؛ وذلك إلى حين إيجاد مربط لها فتتحول إليه. وعادة عدد الأرصفة الموجودة في الميناء يحدد سعتها لاستقبال السفن. فالأرصفة في ميناء بورت سودان موزعة بصفة عامة في ثلاث مناطق هي: البر الشرقي والغربي والجنوبي. تدخل السفن إلى الميناء من الناحية الجنوبية ويكون البر الشرقي: على جانبها الأيمن. ويقع عليه أول الأرصفة التي تناولتها يد الإنشاء. وهو الذي بدأ به العمل الفعلي بعد افتتاح الميناء وملحق به المربط رقم (٥). وهو الأقدم والرئيس والأطول: إذ كان طوله عام ١٩٢٤م ٢٠٥٠ قدماً وبغاطس عمقه ٣٨ قدماً. وفي عام ١٩٣٧م ازداد طوله إلى ٢٢٨٠ قدماً، وأصبح يسع رسو خمس سفن من كل الأحجام على أساس أن كل سفينة تشغل مسافة طولها ٤٥٦ قدماً.

أما البر الغربي: فتوجد فيه معظم المباني الحكومية. وسكن الأعيان ورجال الأعمال حول هذا البر وهو محدود المساحة وغير قابل لإقامة الأرصفة عليه، ولأن الغاطس فيها بصفة عامة لا يزيد

> سمكة تبتلع بحاراً في إحدى السفن بعد أن ضلت طريقها ودخلت إلى السفينة

على ست أقدام عدا جزء بسيط يزيد طوله على ١٥٠قدماً يزيد عمق الغاطس فيه على ست عشرة قدماً. وفيه عوامتان تستخدمان لرسو السفن التابعة لمكتب الميناء التي تقوم على خدمة الملاحة داخل الميناء. وقبل عام ١٩٢٤م كان هناك تقدم ملموس في مستوى خدمة الملاحة في الميناء؛ إذ تضاعفت الصنادل. وقفز عددها من ثلاثة صنادل إلى أربعة عشر صندلاً بعد أن كان عددها خمسة، واستبدلت كلها وجددت بسفن قاطرة أحدث وأكثر قوة.

أما البر الجنوبي: فيكون على ميسرة السفن الداخلة إلى الميناء. وفيه مصب (خور موج) الذي ينحدر من سلسلة جبال البحر الأحمر الواقعة في الغرب. وعامل دخول مياهه العذبة إلى خليج الميناء يجعله غير قابل لنمو النشاط المرجاني فيه. ولكن تجدر الإشارة إلى أنه توجد حديقة مائية لنشاط مرجاني محدود يتوسط المسافة بين البرين الشرقي والغربي ومدعوم بلنشات زجاجية القاعدة لخدمة الراغبين في التنزه والترويح في الأعياد والمناسبات. وهذا البر كان متروكاً حتى عام ١٩٢٢م، وظلت تشغله الكرنتينة، ثم صدرت الأوامر بإنشاء أرصفة عليه لخدمة سفن الوقود كالفحم والديزل والذخيرة إبعاداً لتلك المواد القابلة للاشتعال من البر الشرقي الذي تتكدس فيه بضائع الصادر والوارد، وحماية لحازنها من مخاطر الحرائق. وبني عليه المربطان رقم (١٧) و(١٨) لخدمة سفن الفحم الحجري، ويبلغ طولهما ٩٠٨ أقدام وبغاطس عمقه ٣١ قدماً، وهما مدعومان بأربع رافعات متحركة على قضبان لمسافة ٨١٠ أقدام في الساحة التي خلف الرصيف بطاقة نقل تصل إلى ١٢٠ طناً في الساعة. ويوجد على هذا البر أيضاً المربط رقم (١٥) بطول ٥٣٠ قدماً. وبغاطس عمقه ٣٢ قدماً. وهو مخصص لرسو سفن الملح وسفن المواد الخطيرة. كالذخيرة والمفرقعات. والمربط الأخير في هذا البر هو المربط رقم (١٦) الذي لا يزيد طوله على ١٨٠ قدماً لخدمة السفن الناقلة للنفط. وقد تم إعداد التجهيزات الخاصة بنقل الزيت إلى مستودعات الشركات التي بنيت في مسافة قريبة خلف الأرصفة. ويوجد خط سكة حديد يربط بين البرين الجنوبي والغربي عبر خور موج يصل سكة حديد بور تسودان. ومنها إلى عطبرة. والجدير بالذكر أن تلك المواد حتى عام ١٩٢٨م تصل معبأة في صفائح وبراميل. أما الآن فتحملها ناقلات النفط العملاقة، وتنقل منها فوراً إلى المستودعات. ويوجد الآن في هذا

الموقع مصنع للصفائح لتسهيل عملية توزيع الكيروسين للمستهلكين.

أما الحوض فكان من بين المنشآت الأساسية التي أقيمت منذ بداية العمل في تجهيز الميناء، وهو محدود الإمكانات، ويقع تحت إشراف هيئة الحوض، وورشه مهيأة لإصلاح السفن الخاصة بخدمة الميناء. وتعدّ عملية بناء الصنادل وصنادل الحواجز جزءاً مهماً من وظيفة الحوض الذي يشرف على عملية تركيب أجزاء تلك الصنادل التي كانت تستورد غالباً من المملكة المتحدة.

الميناء: تنمية وتطوير

ما سبق ذكره في الفقرة السابقة يوضح الأوضاع التي كان عليها الميناء في نهايات القرن العشرين. وبعد جلاء المستعمر بدأت عملية (السودنة)، وهي إحلال الكوادر الوطنية محل الوظائف التي كان يشغلها المستعمر وأذنابه. ويسرنا هنا أن نورد السلسلة الذهبية للوطنيين الذين قادوا ركب هيئة الموانئ البحرية، ونذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر: السيد مكي السيد علي، والسيد حسن عبود (أخا الرئيس السوداني الأسبق إبراهيم عبود)، ومحمد مختار مصطفى، وعلي مالك، وعلي عبد الرحيم، والكابتن حسن، ومحمد طاهر إيلا، وحمزة الفاضلابي (المدير العام لهيئة السكك الحديدية الآن) يليهم المهندس إبراهيم الأمين أحمد إسماعيل الذي قبلت استقالته ليحل محله الآن وفي أثناء كتابة هذه السطور السيد جلال محمد أحمد شلية فلهم جميعاً التجلة والتقدير لما أسدوه للوطن من جهود مقدرة.

قضية إيجاد الميناء البديل لسواكن كان أمرها شائكاً، واختلفت حوله الآراء ووجهات النظر بين مؤيد ومعارض

وفي هذه الفقرة سينصب جل اهتمامنا على جوانب التنمية والتطوير التي تحققت على أيدي الكوادر الوطنية المذكورة. يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

لكل زمان مضى آية ... وآية هذا الزمان الصحف

ونحن نقر بذلك: لأننا الآن نجد أنفسنا في ضيافة السلطة الرابعة ممثلة في صحيفة (أمواج) الأسبوعية ربيبة عاصمة ولاية البحر الأحمر بورت سودان. في عددها الحادي والثلاثين بتاريخ السابع والعشرين من نوفمبر عام ثمانية وألفين الموافق التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة تسعة وعشرون وأربعمئة وألف. نجد في الصفحة السادسة الحوار الضافي الذي أجرته مع المهندس إبراهيم الأمين أحمد إسماعيل – المدير العام لهيئة الموانئ البحرية – فهو حوار ثريّ وجميل ألقى الأضواء على أهم الإنجازات. وعوداً على متن الحوار فأول ما ذكر من الإنجازات هو (مشروع الميناء الأخضر) وهو عبارة عن أرصفة مخصصة لسفن الصب الجاف من الغلال، كالقمح والذرة صادراً ووارداً، ويمكن أن يكون مستقبلاً ميناءً للحاويات. ولضخامة المشروع اقتضى الأمر ترحيل حي الأسكلة برمّته وهو امتداد طبيعي لأرصفة البر الشرقي نحو الشمال. أما

المشروع الثاني فهو بناء رصيفين للحاويات بالبر الجنوبي ليكون ذلك إضافة إلى الأرصفة الثلاثة القديمة ليصبح الموقع محطة مكتملة للحاويات لاستقبال مليون وخمسمئة ألف حاوية في العام. إلى جانب جلب الكرينات الجسرية والمطاطية وتوسعة مساحات لتخزين الحاويات لتسهيل إجراءات الكشف الجمركي وتخزين الحاويات المتجهة إلى سوبا وقري، وكذلك تخزين حاويات الصادر والوارد والحاويات المفرغة. في الماضي كانت هناك صوامع للغلال، وتم الآن بناء صومعة للأسمنت.

وأما ثالثة الأثافي في منظومة التطوير فهو مشروع إعادة هيكلة الميناء بالاتفاق مع الشركة الألمانية (H. P. C.) الذي بدأ منذ عام ٢٠٠٥م لإنجاز شيئين: أولهما: إعادة الهيكلة الشاملة؛ لأنها لم تخضع لأي شيء من هذا القبيل منذ انفصالها من هيئة السكك الحديدية في عام ١٩٧٤م. أما الشيء الآخر: فهو تطوير مستوى خدمات الميناء الجنوبي (ميناء الحاويات). وربطه بالتعامل مع الموانئ الدولية في هذا الإطار.

أما فيما يختص باللغط الذي يثار في الصحف السيارة حول خصخصة الهيئة، فيتضح من الحوار أنها تعني باختصار أن يوكل إنجاز بعض المهام في الميناء الجنوبي لشركة موانئ دبي العالمية. وما يشجع على ذلك أنها شركة كبيرة تتولى إدارة ٢٢٠ ميناءً على مستوى العالم، منها البريطاني والألماني والأمريكي، ولها انفتاح كبير على الأسواق العالمية. والتعاون معها يفسح المجال للهيئة للتعامل مع عدد من تلك الأسواق عبر هذه الشركة، كما يجلب إليها ذلك تجارة عابرة من جنوب شرقي آسيا إلى دول غرب إفريقية المجاورة للسودان لإستراتيجية موقع ميناء بورت سودان.

الميناء: سفن راسيات

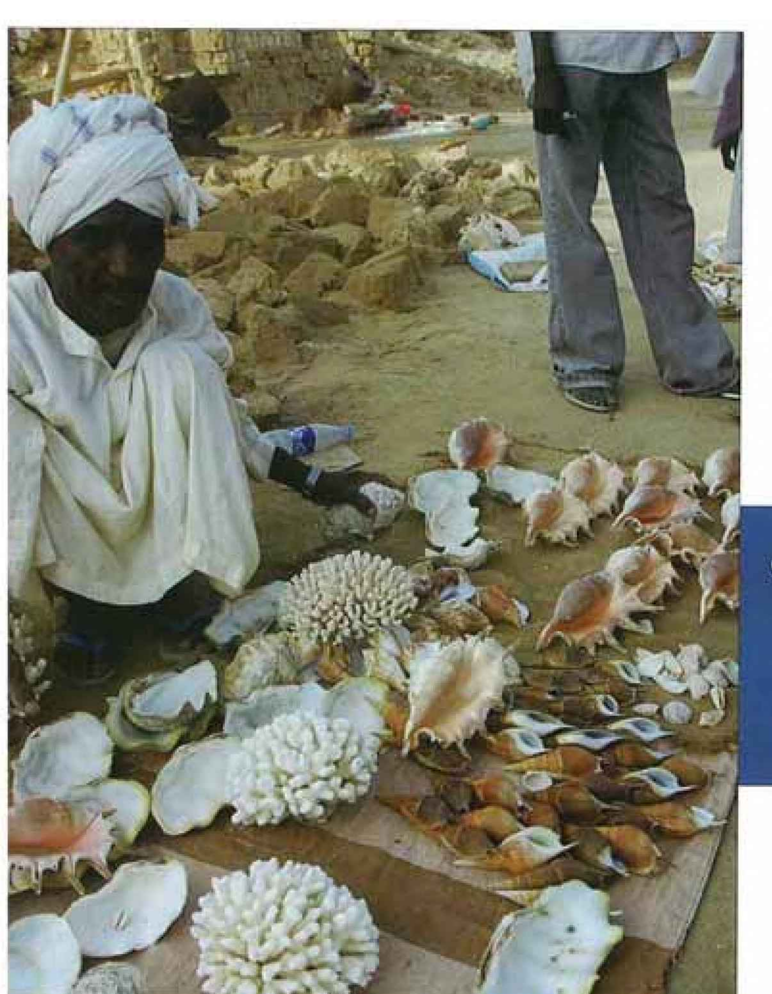
من عجائب الأشياء التي حدثت في ميناء بورت سودان في ستينيات القرن الماضي أن دخلت سمكة ضخمة إلى الميناء مع إحدى السفن وضلت الطريق إلى الخروج من خليج الميناء فظلت تهيم على وجهها ذهاباً وإياباً. وكما أسلفنا أنصرف طاقم السفينة التي أتت برفقتها إلى أعمال الصيانة لدهن السفينة فأنزلوا السقالات وشرعوا في العمل. ولسوء الحظ صدف أن انزلق أحدهم من السقالة ووقع في الماء فإذا السمكة تقضمه وتبتلع نصفه، وينتشر الخبر حتى يصل إلى الربان الذي سارع إلى الموقع وأمر بوضع النصف الثاني كلاب وانزاله في نفس الموقع، فإذا هي تعاود الكرة وتبتلع النصف الثاني على عجل، فأمرهم بإخراجها بواسطة الرافعة. وكان الناس في حالة ترقب لمشاهدة الكائن الذي ابتلع البحار، وعندما بدأت تظهر على سطح الماء اندهش الجميع لضخامتها، وقد عرفها بعض الصيادين بأنها (توينة) معمرة فأخرجت إلى الرصيف، ووضعت على عربة سكة حديد مسطحة فظل جزء كبير منها خارج مساحة العربة. فسارع عدد من سكان المدينة إلى مشاهدة الكائن الذي أثار الرعب في نفوسهم، فكان ذلك من أعجب الأحداث التي أضيفت إلى سجل أحداث الميناء، ولله في خلقه شؤون. فهذه صورة قد تتكرر مشاهدها في جميع أرصفة الميناء في الوقت ذاته، وبذا أحسب أن القارئ الكريم ستكون لديه صورة واضحة لحجم العمل الذي يتم عادة في الميناء. فالسيناريو الذي يمكن أن نتصوره في إطار أعمالها مزدوج ففيه ما ينجز بداخلها، وآخر يتم خارجها،



وهذه فرصة لنقف إزاء إحدى السفن الراسية في ميناء بورت سودان ونشاهد ما يتم فيها من عمل دؤوب لا يكاد يتوقف للحظة من اللحظات. فالربان بعد أن يرسي سفينته يسلم المنفستو لإدارة الميناء، وينصرف إلى مراقبة طاقم السفينة وتوجيهه للقيام بأعمال الصيانة المتعلقة بسفينته. ولا يمكن ملاحظة شيء مما يقومون به إلا عندما ينزلون السقالات على جانب السفينة للقيام بعملية الدهان حمايةً لها من الصدأ. أما خارج السفينة فنشاهد المئات من الناس، فمنهم المراقبون والعدادون ورؤساء الكلات والمشرفون كل يهتم بالشأن الخاص به، وغير مسموح له بالتدخل في شؤون الآخرين. فسائقو الكرينات يقصرون جهودهم على إنزال البضائع على الرصيف وتحميل الموجود منها على الرصيف إلى داخل السفينة. وكذلك نشاهد العمال المنتشرين على الساحة الكبيرة يموج بعضهم في بعض وهم ينقلون البضائع يتوجهون يمنةً ويسرة إلى المخازن لحفظها إلى حين اكتمال إجراءات الجمركة والتخليص لتسليمها لأصحابها. فالعمل يسير على قدم وساق على مدار الساعة دون توقف؛ لأنهم يعملون بنظام الورديات فذلك عمل لا توقف له ولا انتهاء إلا باكتماله تماماً لتغادر السفينة المرسى متجهة إلى ميناء آخر، فهو عمل أشبه ما يكون بخلية النحل.

الميناء: كلات وشحن وتفريغ

لاشك أن الموانئ ما هي إلا مرافئ ومراسٍ للسفن لتفريغ البضائع التي أتت بها وشحن البضائع الموجودة في الميناء الذي رست فيه لتنقلها إلى أماكن أخرى. وفيما يختص بميناء بورت سودان هناك نوعان من العمالة: أولهما العمال الذين يعملون داخل البواخر، وثانيهما الذين يعملون خارج البواخر، والفئة الأخيرة ينحصر عملها بين الرصيف والمخازن والعكس. أما الفئة الأولى فينحصر عملها داخل البواخر لمعرفتهم الجيدة بواقع عنابر التخزين داخل البواخر. والميناء عرف هذين النوعين منذ افتتاحه عام ١٩٠٩م، ولكن دون أن تحفظ لهم أبسط الحقوق التي يتمتع بها أمثالهم في الموانئ الأخرى. فهؤلاء تطلق عليهم كلمة المَزَوَرِية: وهم يعملون بأجر يومي ووقت محدد بالمدة التي تمكثها السفينة التي يعملون بها. وهي مجموعات ينتمي أفرادها إلى الأسر الرعوية التي تنتشر في براري سفوح الجبال. فهم يعودون إلى أسرهم بالحاجات الضرورية التي يحتاجون إليها. والأدهى والأمر أنهم لا ينتمون إلى أي جهة داخل الميناء. ويفتقرون إلى أبسط حقوق العمل من ضمان صحي وترقيات تضمن رفع الرواتب وحقوق ما بعد الخدمة. وهنا تجدر الإشارة إلى الاقتراح الذي قدمه الأستاذ عثمان فقراي في عموده (سكناب) بصحيفة (بورتسودان مدينتي) حيث يقترح



تعود نشأة البحر الأحمر إلى الانكسار القاري العظيم الذي حدث بين القارتين الإفريقية والآسيوية فأحدث الأخدود العظيم الذي يقع فيه البحر الأحمر

باقتباس تجربة الهند التي أبقت بعض موانئها دون إدخال أي تطوير تقني إليها مراعاة لفئة مواطنيها الفقراء الذين ليست لهم أي مقومات للعمل غير قوتهم العضلية، وهو اقتراح يجد القبول والتأييد من أغلبية أهل المنطقة. إضافة إلى اتخاذ الإجراءات كافة التي تضمن لهم حقوقهم بوصفهم مواطنين، مع مطالبتهم بذلك منذ مدة ليست بالقصيرة. ولسان حالهم يردد مع الشاعر قوله:

لقد أسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادي

فهل من مجيب لتلك النداءات وانتشالهم من حالة الجهل والفقر والمرض؟ نرجو ذلك من جميع المسؤولين.

الهوامش والمراجع

أولاً: الكتب

١- الشامي، صلاح الدين، بورسودان: ميناء السودان الحديث، مكتبة مصر ٣ شارع كامل صدقي،الفجالة، القاهرة، مايو ١٩٥٨م، ص ١٥٩.

٢- العبادي، عبدالله علي حامد، أنماط ونماذج المدن الكبرى في السودان، أغسطس ١٩٧٥م، ص ١٨١.

٣- أوهاج، محمد أدروب،مؤتمر البجا: الماضي والحاضر ١٩٥٨ - ٢٠٠٥م، دار عزة للنشر والتوزيع،الخرطوم - السودان،٢٠٠٦م.

٤- ضرار، محمد صالح،تاريخ سواكن والبحر الأحمر.

٥- الصياد،محمد محمود، ومحمد عبدالغني سعودي، السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ص ٢١٦-٢١٨.

ثانياً: المقالات والحوارات

١- المستر فلابر،خليج العجم والبحر الأحمر وأحوال التجارة فيها، المقتطف ج٧ من السنة السادسة عشر، أبريل(نيسان)١٨٩٢م/ ٤رمضان ١٣٠٩هـ، ص ص ٤٥٠-٤٥٤.

٢- هانوتو، جبريل،نقلها إلى العربية عبداللطيف الطيباوي، عبر التاريخ طريق تجاري قديم ينذر بحرب مقبلة معضلة البحر الحمر، المقتطف فبراير ١٩٣١م، ص ص ٣١٤-٣١٦.

٣- زكي،عبدالرحمن، أمين المتحف الحربي بالقاهرة،حياة مدينة سودانية: سواكن (١)، المقتطف الجزء الأول من المجلد السادس والتسعين، اينابر ١٩٤٠م/ ٢١/١١/١٣٥٨هـ، ص ص ٢٦-٥٦.

٤- الجمل،شوقي، مصر والبحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، المجلة التاريخية المصرية، مج٦ س ١٩٥٧م ص ص ٤٦-١١٠.

٥- مسكينة سواكن: أهلها يهجرونها لتعمير بورسودان، مجلة العربي ٣٣، ٨/١٩٦١م/ ٣/١٣٨١هـ، ص ص ٣٤-٤١.

٦- الوحيدي،سعاد، سواكن:حياة مدينة عربية وموتها، مجلة الوسط ٣١٢، ١٩/١/١٩٧٨م، ص ص ٤٣-٤٩.

٧- غندور،أحمد محمد، سواكن: هل تصلح نجمة البحر خطيئة الشعب المرجانية؟ مجلة العربي ٢٢٦،٢/١٩٨١م، ص ص ١٠٦-١١١.

٨- دياب، أحمد إبراهيم،العلاقة بين جدة وسواكن خلال فترة الحكم العثماني، مجلة المؤرخ العربي ٢٠، ١٩٨١م، ص ص ١٠٢-١٢٥.

٩- غرينلو،جين بيري،The Coral Building of Suakin تقديم د. منصور خالد وزير خارجية السودان، مجلة المجلة ٧٧٩، ١٥-٢١/١/١٩٩٥م، ص ٦٧.

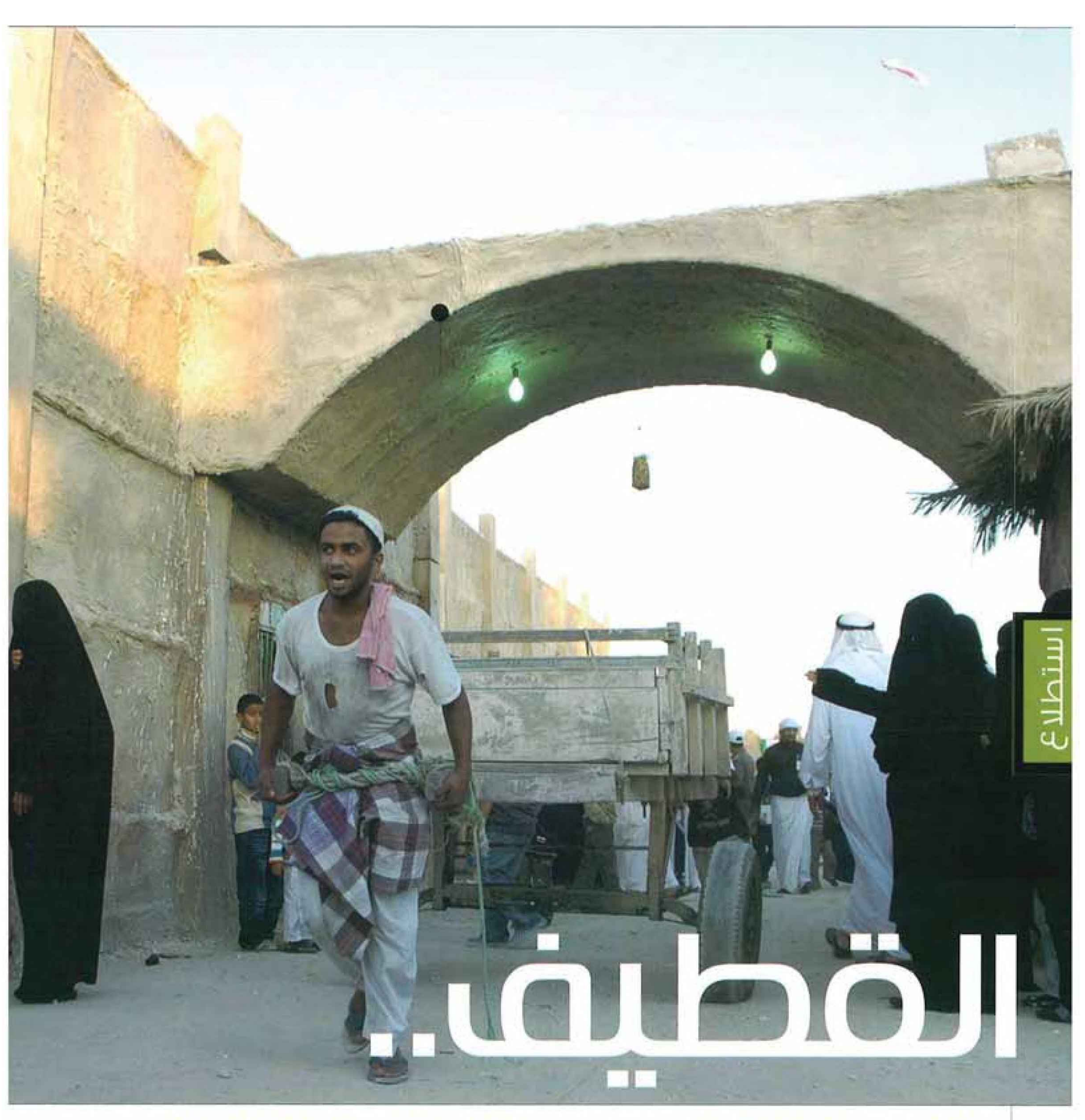
١٠- السيد،عبدالله جعفر،سواكن نافذة أطلت على البحر الأحمر، مجلة الفيصل ٣٤١، ١١/١٤٢٥هـ/ ١٢/٢٠٠٤م-١/٢٠٠٥م، ص ص ٦٤-٧٧.

١١- سليمان، عبدالله محمد، انحناءة لعروس البحر في مئوية الميلاد، جريدة الخرطوم، ٦١٢٦ ٢٠/٠٨/٢٠٠٦م، ص ١٢.

١٢- إسماعيل، إبراهيم الأمين أحمد (المدير الحالي لهيئة الموانئ البحرية)، حيثيات حوار أجرته معه صحيفة أمواج الإسبوعية،٣١ ١٩/١١/١٤٢٩هـ/٢٧/١١/٢٠٠٨م، ص ٦.

١٣- دياب، أحمد إبراهيم،العلاقة بين جدة وسواكن التي كانت تابعة لولاية جدة في فترة الحكم العثماني، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج٢ الكتاب الأول الجزء الثاني، ص ص ٢٠٧-٢١٦.

١٤- الكابلي، عبدالكريم عبدالعزيز، أسماء في حياتنا،الفضائية السودانية، أبريل - مايو ٢٠١١م.



القطيف..

العمل التطوعي والتواصل الثقافي

عبدالرحمن بن محمد العقيل
الرياض - السعودية
abdul9253@hotmail.com



«المحبة والسلام» تونس

القطيف (الخَـطّ قديماً) محافظة في المنطقة الشرقية من المملكة، تبلغ مساحتها ٩٠٠ كيلاً مربعاً تقريباً، تتمتع هذه المحافظة الجميلة الهادئة بنشاط ثقافي حضاري يفوق مساحتها أضعافاً كثيرة، ويثير اهتمام الباحث فيها كثرة منتدياتها الثقافية، حيث تجد: منتدى الثلاثاء الثقافي في القطيف، ومنتدى حوار الحضارات في القطيف، وديوانية الملتقى الثقافي في القطيف، ومنتدى العوامية الثقافي، ومنتدى الحوار الثقافي في العوامية، وملتقى تاروت الثقافي، ومنتدى الصفا الثقافي، ومنتدى الساحل الشرقي الثقافي في صفوى.. إلى جانب منتديات نسائية منها: منتدى الشباب الثقافي في القطيف، ومنتدى التمكين الثقافي في القطيف، ومنتدى تواصل الثقافي في القطيف، ومنتدى النور النسائي الثقافي في صفوى، ومنتدى نون النسائي الأدبي في صفوى.. إلخ.

وتتعدد المهرجان الثقافية والتراثية في هذه المحافظة الصغيرة، فتجد: مهرجان الدوخلة بسنابس، ومهرجان عيد القطيف (واحتنا فرحانة)، ومهرجان الوفاء بسيهات، وكرنفال الصفا الترفيهي بصفوى، ومهرجان الأعياد بسيهات، ومهرجان صيف القطيف.. إلخ. وكذلك الدوريات المتميزة مثل: مجلة البصائر (إسلامية)، ومجلة الكلمة (في الفكر والفكر الإسلامي)، ومجلة الواحة (في التاريخ والفكر)، ومجلة الساحل (تاريخية)، ومجلة الفقاهة (فقهية)، ومجلة القرآن نور (في علوم القرآن)، وغيرها من مجلات.



الأطفال ودوخلاتهم بالزي الفلوكلوري

وكل هذه المنجزات الجليلة وغيرها كثير جداً ترتكز على العمل التطوعي الجمعي الذي يقوم به أبناء المنطقة عن طيب خاطر ورغبة في الرفع من شأن منطقتهم.

وإذا تعمّقت أكثر في الإنسان القطيفي وجدت شخصية هادئة محبة للحياة واحترام الآخرين والتسامح والمسالمة والإيثار. وإذا تعمقت أكثر فستجد رجالاً قاموا بما قد تتخاذل مؤسسة حكومية عن القيام به، وأذكر من هؤلاء: الأستاذ محمد محفوظ الكاتب (السيهاتي) الذي أنشأ (مركز آفاق الثقافي) بسيهات، ذلك المركز المتفرد في نشاطه الثقافي بمحافظة القطيف ولا صنو له هناك.. والفنان التشكيلي المبدع عبدالعظيم محمد الضامن (التاروتي) الذي أنشأ مركز إبداع للفنون بتاروت، داعماً ومربياً لكل موهبة فنية واعدة، فيقيم المعارض الفنية لهم فردياً وجماعياً، كما يقدم الدورات التعليمية والمهرجانات التثقيفية الفنية.

وحدث ولا حرج عن المكتبات الخاصة لعلماء القطيف،



-المحبة والسلام، الدوحة

ومنها ما هو متاح للجمهور كمكتبة الشيخ حسن الصفار المتميزة التي تضم أكثر من ١٢٠٠٠ عنوان من نفائس الكتب، وتستقبل الباحثين الذين يفيدون منها صباحاً ومساء، وقل مثل هذا عن مكتبة الشيخ عبدالحميد الخطي، رحمه الله، وغيرهما.

وحدث أيضاً عن تاريخ القطيف التي تعد أقدم استيطان بشري في الخليج العربي.

لقد بقيت شهراً في القطيف في زيارة عمل بين ١٩/٦/١٤٣٢هـ و١٩/٧/١٤٣٢هـ، وكنت أطمح أن أقدم لقراء الفيصل استطلاعاً شاملاً مصوراً عن محافظة القطيف يتناول كثيراً مما ذكرت، ولكن المادة ستكون كبيرة جداً لا يحتملها استطلاع سريع، فاكتفيت هنا بشيء يسير جامعته (العمل التطوعي والتواصل الثقافي) نتيجة حوارات مع عدد من الأصدقاء في القطيف هم: الأستاذ حسن حبيب آل طلاق رئيس لجنة التنمية الاجتماعية الأهلية بسنابس ورئيس اللجنة المنظمة لمهرجان الدوخلة، والفنان التشكيلي الأستاذ عبدالعظيم محمد الضامن صاحب اللوحة العالمية «المحبة والسلام»، والسيّد عباس الشبركة صاحب المكتبة المتخصصة «المكتبة القطيفية»... فليس لي من فضل في كتابة ما بين أيديكم، فكل ما هنا استقيته من هؤلاء، فلهم جزيل الشكر إذ أكرموني باستقبالهم لي وأريحيتهم معي.

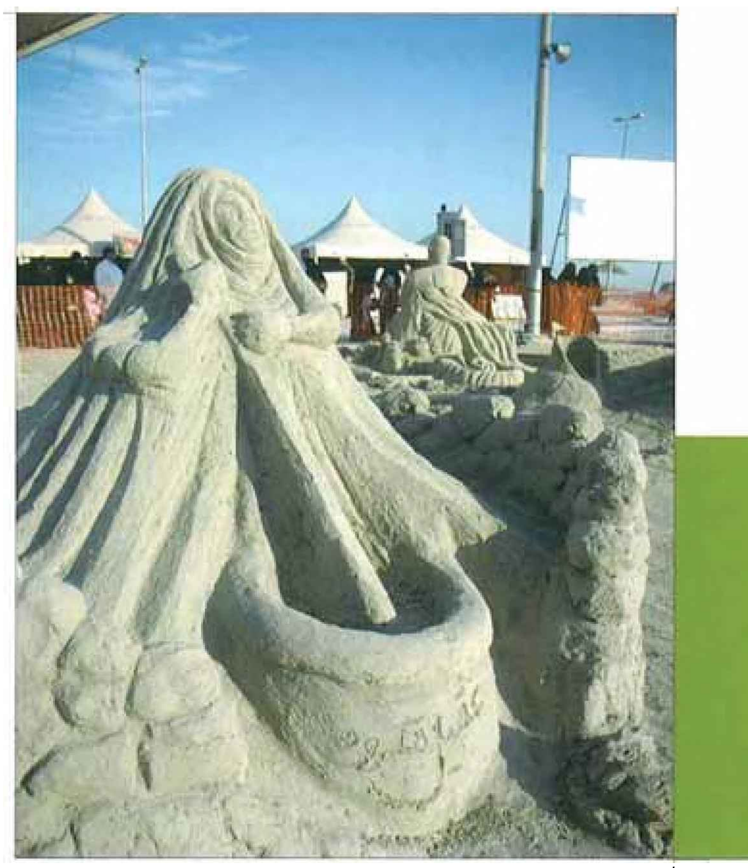


«المحبة والسلام» الشارقة

مهرجان الدوخلة

كانت عادة الناس في السابق تأجيل الحج إلى أن يتزوجوا وينجبوا؛ لما تنطوي عليه الرحلة إلى الحج من مخاطر على الحياة، فيُترك الأبناء عند الأقارب إلى أن يعود الحاج.. فكانت العادة أن يُشغل الطفل بصنع دوخلة[1] يزرع فيها بذوراً سريعة النمو كالشعير، ويتابع رعايتها بشكل يومي، ويتم إقناع الطفل بأهمية دوخلته بالقول: «إذا كبر الزرع سيعود أهلك». وهكذا يصرف الطفل عنايته وتفكيره في الدوخلة ويتلهّى بها قليلاً عن فَقْد والديه. وقد يصل الأمر بالطفل إلى عدّ كل ساق نام لشدة متابعته لدوخلته. وبحلول يوم عيد الأضحى وهو يوم فرح المسلمين تقترب عودة الحجيج ويكتمل نمو البذور، فتخرج العوائل بالأطفال إلى الشاطئ في احتفالية جماعية حيث يرمي كل طفل دوخلته في البحر، ويتنافسون أيهم أبعد رمياً، ويصاحب ذلك غناء الأطفال بأهزوجة الدوخلة العاطفية التي يقولون فيها بلحن تلقائي بسيط:

دوخلتي حجي بي.. حجي بي.. حجي بي
لامن يجي حبيبي.. حبيبي.. حبيبي
حبيبي راح مكه..
ومكه المعموره..
فيها السلاسل والذهب والنوره.. والنوره.. والنوره
حجيت بش يا يمه.. يا يمه.. يا يمه..
راويتش قبر محمد.. محمد.. محمد
صلي عليه وآله.. وآله.. وآله
يا ليتها لومية.. مزروعه في البستان
يقشّرها عبدالله.. وياكلها سلمان
سلمان يابو جوخة.. يا مراطن العجمان
طلوا خواتي طلوا.. شوفوا البحر طميان[2]
شوفوا شراع أبيي.. أبيض من القرطاس
شوفوا شراع العدو.. أسود من الطفو[3]
عندي طوير أحمر.. واسكره بالسكر
سكر على سكر
وغضارتين صيني.. يارب تهديني
واحج بيت الله.. واقرا الفلافيني[4]



«طاحنة الحبوب» منحوتة للفنان عقيل حكروه (مهرجان الدوخلة ٤)

يا ميقمة المحلب.. خليلي بتدحلب

يدحلب الصواني

يا سلوقة العيد.. العيد.. العيد..

ودي إبيي ابعيد.. ابعيد.. ابعيد

وحَجْجيه وزُوْرية وجيبيه بالسلامة..

سلامة الفنامة الفنامة الفنامة..[4]

وقد بدأ التفكير في توظيف الدوخلة في مهرجان في سنابس بتاروت عن طريق حسن دعبل، من أهالي سنابس وأحد المهتمين بالتراث والمتعلقين بالدوخلة، وقد عرض في منتدى سنابس الثقافي على الإنترنت فكرة إحياء موروث الدوخلة التي اندثرت قبل ثلاثين سنة تقريباً، فلم يتم التفاعل مع طرحه في المنتدى؛ إذ لم يقدم الفكرة بطريقة تغري الآخرين، فبقيت الفكرة بين قليل من الأفراد القريبين من حسن دعبل، ثم دُعي إليها عدة مرات مدة ثلاث سنوات فلم يحصل تجاوب؛ حيث كانت المشكلة في طريقة طرحه للفكرة ورغبته في أن يستجيب الناس بشكل تلقائي من أنفسهم بالحضور والاحتفال على الشاطئ، وفي السنة الرابعة طالبت إحدى المشرفات في منتدى سنابس مرة رابعة بإحياء موروث الدوخلة بشكل ملحّ، ولكنها لم تضعه في قالب جيد يغري الآخرين باتخاذ خطوات فعلية، فأعاد الأستاذ حسن آل طلاق طرح الفكرة بشكل أنسب بهدف التفاعل مع إقامة مهرجان الدوخلة لإحياء هذا الموروث الشعبي، وأن الأمر يحتاج إلى هذه المتطلبات وهذه الأدوات وتلك اللجان، وبعد هذا اجتمع ستة عشر شخصاً سجّلوا أسماءهم للعمل التطوعي في هذا المهرجان، فاجتمعوا وبدؤوا العمل، ومن هنا كانت البداية.

فأقيم المهرجان الأول سنة ١٤٢٦هـ. وكان الاهتمام والتجاوب معه مفاجئاً للقائمين عليه، يقول آل طلاق: «أحضرنا ٧٠٠ هدية تقريباً للأطفال، وأعددنا ٧٠٠ دوخلة، وأقمنا مَرْسَماً حراً للأطفال في مساحة قدرها ١٦٠٠ متر مربع، وبلغت ميزانية



«فرحة عيد» منحوتة صلاح الناصري (مهرجان الدوخلة ٣)



المهرجان الأول ٧٠٠٠ ريال، ولم نتوقّع أن يتجاوز الحضور بضعة مئات في احتفالية لمدة ساعتين فقط على الشاطئ، ولكننا فوجئنا أن الشاطئ امتلأ وتوقّفت حركة الشارع الموصّلة إليه. ولشدة تفاعل الناس مع المهرجان الصغير لم يكن ظاهراً نقص الهدايا الموزعة على الأطفال، وقد وصل عدد الحضور إلى ١٥٠٠ شخص على الأقل من مختلف مناطق القطيف وليس من سنابس وحدها، وكلهم كانوا ينادون باستمرار المهرجان.

- تشجيع المواهب المحلية وتنميتها في جميع المجالات الفنية والرياضية والمسرحية والمهنية.
- تشجيع الإنتاج المحلي للمنطقة من خلال التعريف بالمنتجات والمنتجين.
- تشجيع الشباب والشابات على الانخراط في العمل التطوعي والاجتماعي.
- تطوير وتنمية المهارات الفردية والجماعية للمشاركين في

البند	المهرجان					
	الأول ١٤٢٦هـ	الثاني ١٤٢٧هـ	الثالث ١٤٢٨هـ	الرابع ١٤٢٩هـ	الخامس ١٤٣٠هـ	السادس ١٤٣١هـ
مساحة المهرجان بالمتر المربع	١,٦٠٠	١٠,٥٠٠	١٦,٥٠٠	١٨,٠٠٠	٣٦,٠٠٠	٤٠,٠٠٠
مدة المهرجان	ساعتان	يومان	أربعة أيام	خمسة أيام	سبعة أيام	عشرة أيام
عدد الأسر المنتجة المستفيدة	٠	٠	٣٠	٦٠	١٠٠	٩٩
عدد الكوادر المتطوعة	٣٤	٢٠٠	٦٠٠	٧٦٢	٧٧٢	١,٢٦٨
عدد زوار المهرجان	١,٥٠٠	١٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	١٧٥,٠٠٠	٢٦٧,٠٥٧
ميزانية المهرجان	٧,٠٠٠	١٢٢,٠٠٠	٦٧٢,٠٠٠	١,٤٢٢,١٤٨	٢,٤١٤,١٩٧	٢,٤٧٨,٦٢٣

وبعد هذا المهرجان الصغير واهتمام الجمهور بفكرته، صرف القائمون على المهرجان همّتهم للإعداد المبكر له بشكل أكثر دقة، وحدّدت رؤية أو هدف أسمى للمهرجان تمثّلت في أن يكون مهرجان الدوخلة أحد البرامج والفعاليات التراثية والثقافية والسياحية المهمة في المنطقة وعلى مستوى المملكة، وأن تكون رسالته العمل على إرساء مفاهيم تطبيقية للتوعية والتنمية البشرية في المجالات الثقافية والاجتماعية والصحية والمهنية من خلال فعاليات المهرجان وبرامجه والأنشطة المختلفة التي يقدمها. وحدّدت الأهداف العامة من المهرجان في الآتي:

- الاحتفال بالعيد بشكل جماعي ومنظم.
- استذكار الموروث الشعبي للمنطقة منطلقاً من المادة التراثية على مستوى الخليج العربي وهي (الدوخلة).
- تنويع المنافذ الاحتفالية الترفيهية والسياحية لأبناء المنطقة والمجاورين لها.

التنظيم والأهالي بشكل عام، وذلك من خلال المشاركة في البرامج والفعاليات المختلفة التي يعتمد عليها المهرجان (كالتخطيط والتنفيذ والتنظيم والإدارة.. إلخ).

- التعريف بتاريخ المنطقة وتراثها وثقافتها بشكل خاص، والمملكة بشكل عام.

وهكذا استمر المهرجان من سنة ١٤٢٦هـ إلى اليوم، وتكشف لنا المقارنة الإحصائية ما وصل إليه هذا المهرجان على امتداد ست سنوات من مستوى راق وطموح لا يقف عند حد:

لقد تطورت فعاليات المهرجان بشكل تصاعدي حاد، حيث أقيم في المهرجان الثاني مسرح ترفيهي وفلكلور شعبي ومعرض للتراث ومعرض فني إضافة إلى الدوخلة كجزء من التراث البحري.

وفي المهرجان الثالث أدخل القائمون على المهرجان ضمن فعالياته المهمة القرية التراثية أول مرة، وهي تصميم لحي شعبي متكامل من الأحياء القديمة في المنطقة ببيوته المكونة من

السعف والخوص، والبيوت المكونة من خليط من الطين والسعف والخوص، وبيوت الطين. وتهتم هذه القرية بإبراز أكثر من أربعين حرفة تقليدية من الحرف التي كان الناس يمارسونها من الجنسين، واستمر الاهتمام بهذه القرية وتلك الحرف في سنوات المهرجان اللاحقة، فبعض الحرف القديمة تكاد تتلاشى ولا يوجد من يحسنها غير شخصين أو ثلاثة؛ لذلك تسعى لجنة التنمية الاجتماعية الأهلية بسنابس، وهي اللجنة المنظمة لمهرجان الدوخلة والمشرفة عليه، إلى الحفاظ على تلك الحرف من الاندثار وتوريثها للراغبين في تعلمها.

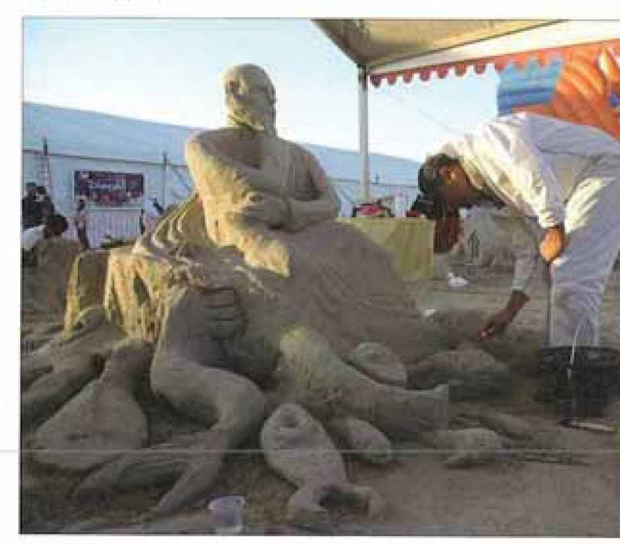
وفي المهرجان الرابع برز فن النحت على الرمال بروزاً ظاهراً أثار اهتمام الزوار بشكل لافت للنظر، وقد بدأت فكرة النحت على الرمال في المهرجان الثالث، حيث اقترح هذه الفكرة مجموعة فنانين منهم: عبدالعظيم الضامن، وعلي الحسن من الأحساء، والأستاذ حسن آل طلاق.

وقفزت الفعاليات في المهرجان الخامس إلى ٢٣ فعالية مختلفة تراثية وثقافية وفنية وترفيهية منها: فن النحت على الرمال، والقرية التراثية، ومعرض المقتنيات الأثرية، ومعرض التراث البحري، ومعرض الكتاب، ومعرض الفن التشكيلي، ومعرض الخط العربي، ومعرض التصميم الرقمي، ومعرض التصوير الفوتوغرافي، والمرسم الحر، واستديو الدوخلة، ومعرض الأسر المنتجة، إضافة إلى الألعاب الرياضية والترفيهية والشعبية والتراثية.

وزادت الفعاليات أيضاً في المهرجان السادس حيث برز فيه: خيمة الطفل العالمي (وهي فعاليات وبرامج خاصة بذوي الاحتياجات الخاصة، قدمت ٢٤٠٠ استشارة مباشرة لعدد من أسر ذوي الاحتياجات الخاصة أجابهم عليها عدد من الاختصاصيين الاجتماعيين والنفسيين العاملين في هذا المجال)، والخيمة الصحية، ومعرض لمنتجات النزلاء بسجن الدمام، وفن الرسم الكاريكاتيري، إضافة إلى معرض الأسر المنتجة، فقد شاركت في المهرجان السادس ٩٩ أسرة منتجة، وبلغت مبيعاتها ٦٨٠٠٠ ريال، ومن نتائج هذا النجاح للأسر المنتجة في المهرجان السادس تعمل لجنة التنمية الاجتماعية الأهلية بسنابس على إنشاء مركز دائم للأسر المنتجة، إضافة إلى الاستمرار في إقامة الدورات والمعارض لمنتوجات هذه الأسر.

ويبقى من أبرز المعوقات في وجه المهرجان: أنه ومنذ المهرجان الثالث يعمل مئات من الشباب بعمل تطوعي في تجهيز

ذكريات بحار، منحوتة للفنانين عبدالخالق علي إسماعيل، وسعيد الجيراني (مهرجان الدوخلة ٥)



في أثناء رمي الدوخلة



موقع المهرجان وبناء قرية تراثية مصغرة في زمن قد يصل إلى شهرين كاملين قبل المهرجان، ثم بعد انتهاء المهرجان يعود الشباب نفسهم إلى هدم كل ما بنوه!! فيكون بهذا استنزاف مالي ضائع في تجهيز الموقع، وفي استئجار الآليات التي تعمل على ذلك، إضافة إلى استنزاف طاقات الشباب.

إن مهرجان الدوخلة الذي حقق هذا النجاح في سنوات قليلة يستحق الدعم من الهيئة العامة للسياحة والآثار الراعية لكل ما من شأنه الرقي بمستوى الصناعة السياحية في المملكة، والدعم أيضاً من وزارة الشؤون البلدية والقروية بتخصيص موقع دائم لهذا المهرجان.

المحبة والسلام، ومركز إبداع للفنون

ذهبنا يميناً وشمالاً في مَرْسَم الفنان التشكيلي عبدالعظيم الضامن فلم أستطع إغفال لوحة «المحبة والسلام». تلك اللوحة العالمية التي لا نعلم عنها إلا القليل، وقد انبثقت من عقل فنان سعودي مبدع هو مضيِّفي عبدالعظيم الضامن، كما لم أستطع إغفال مركز إبداع للفنون.

مركز إبداع للفنون

وهو مؤسسة غير ربحية أسسها عبدالعظيم الضامن بتمويل شخصي سنة ١٤١٥هـ للارتقاء بالفنون البصرية في المنطقة الشرقية، وتقديم دورات متخصصة لدعم الموهوبين، وتنظيم المعارض الفنية المشتركة بين فناني المنطقة الشرقية وباقي مناطق المملكة، والتعريف بمبدعي المنطقة الشرقية داخل المملكة وخارجها.. وقد انبثق من مركز إبداع للفنون: ملتقى إبداع الثقافي، وملتقى تواصل التشكيلي، وملتقى المحبة والسلام.

مهرجان الدوخلة الذي حقق هذا النجاح في سنوات قليلة يستحق الدعم من الهيئة العامة للسياحة والآثار

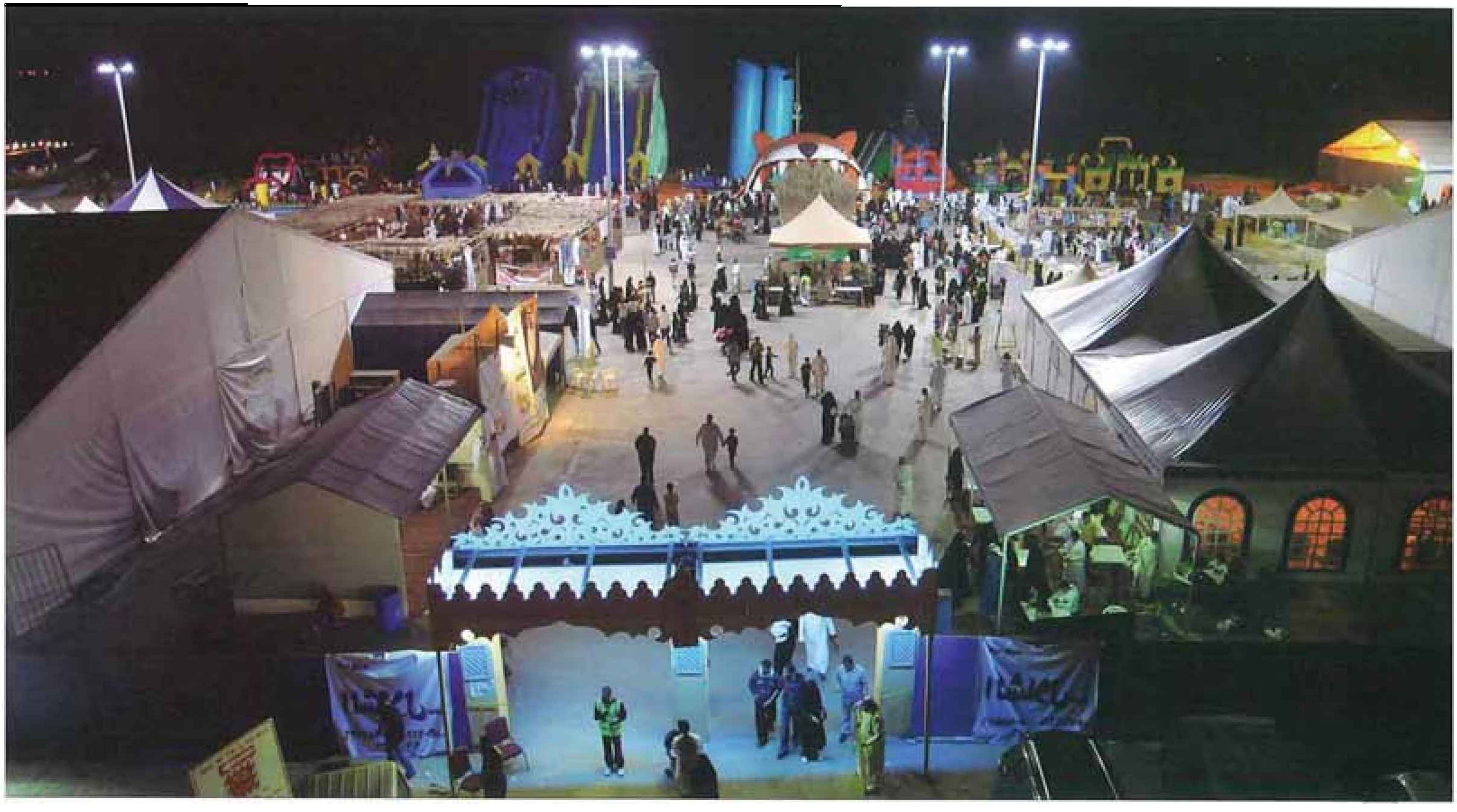
تجتهد جماعة ملتقى إبداع في عملها التطوعي وتبذل جهداً كبيراً جداً إضافة إلى المال الذي تنفقه على عملها للتواصل بين الشعوب والجماعات. وفي كل سنة يكون لملتقى إبداع عنوان يعبر عن الرسالة التي يسعى الملتقى إلى توصيلها إلى الجمهور والمجتمع، ففي العام الماضي ٢٠١٠م كان عنوان ملتقى إبداع هو «تكريم المبدعين»، حيث يحتفى كل شهرين بنخبة من المبدعين في جميع المجالات، كالإعلام والفن التشكيلي والتصوير الضوئي والسينما، وغير ذلك، سواء من المنطقة أم من الخليج العربي.. وكان تركيز الملتقى هذا العام ٢٠١١م كله في الأعمال التطوعية في خدمة البيئة، فعملت الجماعة في مشروعات كثيرة من ضمنها تجميل كورنيش القطيف، وإزالة العبارات المسيئة على المقاعد والأماكن العامة في الكورنيش حيث رسموا ١٦٠ مقعداً تقريباً، هذه كانت بداية الانطلاقة، ثم توجهت الجماعة إلى رأس تنورة، وعملت مع شركة أرامكو ضمن يوم البيئة أيضاً في مشروع تجميل كورنيش رأس تنورة، ثم تعاونت الجماعة مع جمعية فتاة الخليج في الخبر أيضاً في الفكرة نفسها.

المحبة والسلام، أطول لوحة جماعية في العالم:

انطلقت من المنطقة الشرقية (القطيف تحديداً) سنة ٢٠٠٦م، وحقوق ملكيتها مسجلة رسمياً باسم: عبدالعظيم الضامن، مشروع أطول لوحة جماعية في العالم (المحبة والسلام).

لقد أطلقها عبدالعظيم الضامن رسالة فنية عالمية للمحبة والسلام، تهدف إلى التواصل مع شعوب العالم، ونشر ثقافة المحبة والسلام والتسامح، فهي تجعل الفن مشروع تواصل من خلال كلمة «المحبة والسلام»، وهي إضافة إلى عالميتها لوحة متنقلة يقام مهرجان ثقافي لها في كل محطة تصل إليها، فهي وسيلة للتواصل شارك فيها كثير من الفنانين في دول مختلفة، إضافة إلى مشاركة الجمهور فيها من الناس العاديين الذين يحضرون تلك المهرجانات.

يقول الضامن في توصيف هذه اللوحة: «المحبة والسلام مخاطبة كثير من أفراد المجتمع في العالم، ومشاركتهم في رسم لوحة جماعية يشترك فيها فئات مختلفة في ثقافتهم ورؤيتهم



مهرجان الدوخلة ٦

للمحبة والسلام في عمل واحد، ويوحدهم في عمل إنساني واحد.

وإن النفس البشرية، على كل ما لها من خصوصية لدى الفرد المبدع ،هي في وجودها الظاهري نفس جماعية، تتحرك مع الجماعة أو بالجماعة، ومن ثَم يمكن اكتشاف نوع من الانسجام بين الحقيقة النفسية والحقيقة الاجتماعية في تفسير الظاهرة الفنية أو في تفهّم أبعادها ودلالاتها».

ولتفصيل أكثر عن مفهومها يقول: «إن مشروع رسم أطول لوحة في العالم (المحبة والسلام) بداية من اللون وانتهاء بالضوء يعطي مفهوماً شاملاً وعاماً عن المفهوم الكلاسيكي السائد سابقاً؛ لأن العمل التشكيلي ليس (إطاراً وقماشاً ولوناً) بقدر ما هو فكر وطرح وقضايا كل المجتمعات وهمومها، والسعي الحثيث والجاد إلى علاجها من خلال هذا الانفتاح على العالم بجميع تقاليده وعاداته ومعتقداته، وإشراكهم في هذا العمل كمشروع مهم للجميع، وتعريفهم بأن مشروعنا هذا هو مشروع سلام ووئام، ومشروع مد الجسور والتواصل الذي سيستمر بمشيئة الله وتوفيقه حتى بعد انتهاء العمل المطروح والمنجز التشكيلي القائم حالياً، وتأكيد أننا (نحن) الفنانين التشكيليين دعاة سلام ومحبة، ودعاة بحث عن جمال هذا الكون واستقراره. ومن هنا تأتي رغبتنا الصادقة للتعايش مع كل من يجيد التخاطب معنا بأي لغة كانت، وبأي مفهوم هو يراه مناسباً، والعكس».

ومن المتوقع أن تكتمل لوحة «المحبة والسلام» نهاية العام الجاري ٢٠١١م أو العام ٢٠١٢م. وتعود أهم أسباب طول مدة إنجاز هذه اللوحة العالمية إلى مشكلة الدعم، حيث يلقى ملتقى المحبة والسلام بعض الدعم من رجال الأعمال. وفي أحيان كثيرة يعمل الملتقى دون دعم مما يضطرهم إلى التوقف كثيراً. وباكتمالها يأمل الضامن أن تحقق «المحبة والسلام» رقماً قياسياً عالمياً وتسجل في كتاب غينيس للأرقام القياسية العالمية كأطول لوحة جماعية عن السلام في العالم، وهي عبارة عن أجزاء، كل

جزء منها يطول عشرة أمتار من الرول. وكل جزء يُنجز منها يلف ويحفظ عند عبدالعظيم الضامن. ومن المتوقّع أن يبلغ مقاس هذه اللوحة طولاً ١١١١ متراً، بعرض متر واحد. وقد تم إنجاز ٨٦٠ متراً من اللوحة منتصف العام الجاري ٢٠١١م، وشارك في اللوحة حتى اليوم أكثر من ٥٠٠٠ شخص.

توقفت «المحبة والسلام» في عدد من العواصم والمدن. فمن تلك المحطات المهمة:

- كانت الانطلاقة الأولى لـ «المحبة والسلام» في مهرجان الدوخلة عام ٢٠٠٦م في مدينة سنابس بمحافظة القطيف.
- المحطة الثانية في الجوف والباحة عام ٢٠٠٧م في ملتقى الجوف الأول للفنون بالنادي الأدبي.
- ثم كانت لندن إحدى أهم المحطات التي توقفت فيها «المحبة والسلام» في ٢٤ يوليو إلى ٩ أغسطس عام ٢٠٠٧م، حيث أقام ملتقى المحبة والسلام ورشة عمل في لندن تمثيلاً للجمعية الكشفية السعودية ضمن المخيم الكشفي العالمي بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس الحركة الكشفية في العالم. وقد شارك في اللوحة قرابة ٤٠٠٠ كشاف من مختلف دول العالم. حيث وصل عدد المشاركين في المخيم إلى ٥٠٠٠٠ كشاف، وحضره كثير من رؤساء الدول والسفراء.

وقد جرت العادة أن يشارك من يشاء في هذه اللوحة برسم

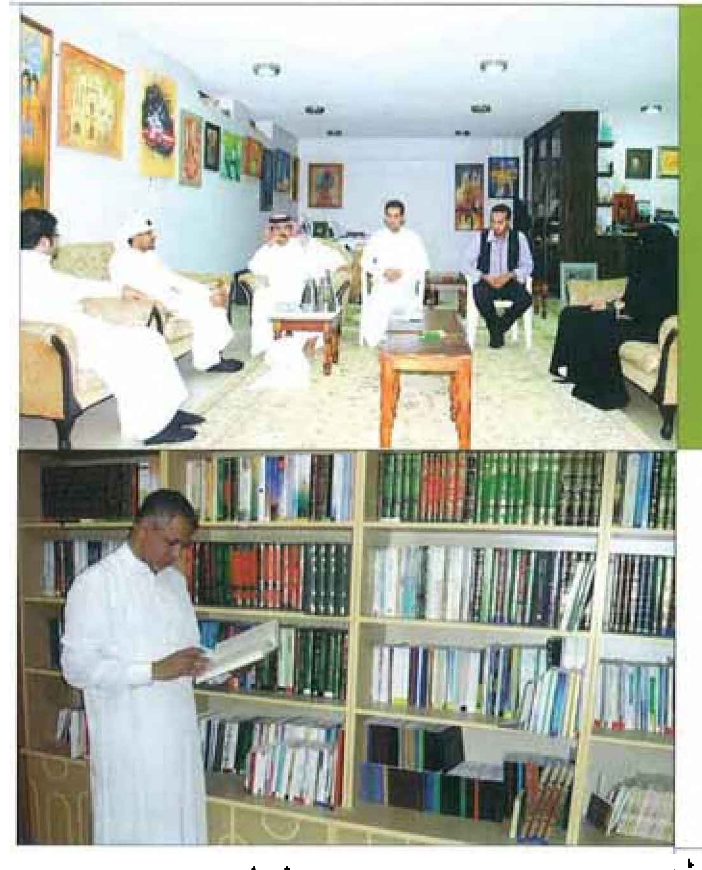
المحرر وعبدالعظيم الضامن في مرسمه، وفي الخلفية جدارية «نساء في ظلمة الليل»، وهي اقتفاء لأثر لوحة بيكاسو «الجورنيكا»



عن مَعْلَم من معالم بلده مثلاً، أو كتابة آية قرآنية أو حديث شريف أو بيت شعر أو غير ذلك مما يريد. فموضوعات اللوحة مفتوحة، ويتم اقتراح أفكار جديدة بين محطة وأخرى. وجاءت المشاركة في هذه المحطة بالرسم في ثلاثة أفكار حددها ملتقى المحبة والسلام: رسم ثقافة المحبة والسلام بمفهوم الشعوب، أو طباعة أيدي المشاركين بألوان يحبونها للتعبير عن المساواة بين الشعوب، أو كتابة «المحبة والسلام» بلغات العالم.

فشارك في الرسم: رئيس نيوزيلاندا وحرمه، وسفير خادم الحرمين الشريفين في لندن صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نواف بن عبدالعزيز، ووكلاء وزارات شاركوا في الرسم وقتها، إضافة إلى ٤٠٠٠ كشاف، ثم عرضت اللوحة في منصة الحفل الختامي.

- ثم مرّت «المحبة والسلام» بالجمهورية التونسية ضمن مهرجان المنستير الدولي للفنون التشكيلية، وكان ضمن المشاركين في اللوحة ٢٠ فناناً وفنانة من مختلف دول العالم كإسبانيا وألمانيا وصربيا ومصر.
- بعدها عادت «المحبة والسلام» إلى المملكة في مجمع ابن خلدون بلازا بالدمام بمناسبة اليوم الوطني، حيث نظم ملتقى المحبة والسلام معرض «المملكة تاريخ وعراقة للفنون التشكيلية» عام ٢٠٠٧م.
- ثم استضافت الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية «المحبة والسلام» في أغسطس عام ٢٠٠٨م.
- واصلت «المحبة والسلام» رحلاتها لتصل إلى إمارة الشارقة في ٣ - ٦ نوفمبر عام ٢٠٠٩م، وشارك في اللوحة أكثر من ٥٠ فناناً وفنانة من مختلف دول العالم. فكانت الشارقة أهم المحطات الخليجية، حيث أخذت «المحبة والسلام» هناك اهتماماً في التنظيم، وزخماً إعلامياً كبيراً في الصحافة والقنوات الفضائية.
- بعدها وصلت «المحبة والسلام» إلى العاصمة القطرية الدوحة في الخامس من ديسمبر عام ٢٠٠٩م، حيث استضاف مركز قطر للعمل التطوعي اللوحة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للتطوع.
- ومن المحطات الأردن في ٢٢ - ٢٣ من إبريل عام ٢٠١٠م حيث شاركت «المحبة والسلام» ضمن نادي الطلبة السعوديين في معرض الجاليات العربية في الجامعة الأردنية.



السيّد عباس الشبركة في المكتبة القطيفية

- ومن المحطات أيضاً محطة لبنان في ١٩ - ٢٥ سبتمبر عام ٢٠١٠م حيث شاركت «المحبة والسلام» مع مؤسسة الهادي للإعاقة السمعية والبصرية في بيروت، وهي مشاركة رائعة حيث اجتمع نحو ٥٠ شاباً من الجنسين للرسم في هذه اللوحة، فشاركوا وأبدعوا وكان أداؤهم مميزاً على الرغم من إعاقتهم.
- وشاركت «المحبة والسلام» في مهرجان «حلق بأمان في ربيع الألوان» الذي نظمته شركة أرامكو عام ٢٠١٠م في الظهران، وكان وفد من الكونجرس الأمريكي وقتها في زيارة للمملكة، وأبدوا إعجابهم بفكرة هذه اللوحة، وشاركوا بالرسم فيها.

تلك كانت أهم المحطات التي توقفت «المحبة والسلام»، والمؤسف أن هذه اللوحة لا تلقى شيئاً من الاهتمام في المملكة، كالذي تلقاه في الخارج؛ فقد زارت الرياض والدوادمي والباحة والجوف وجدة والخبر والدمام، وكانت الأصداء الإعلامية ضعيفة جداً، وتسليط الضوء عليها قد لا يذكر، لولا ما لمسناه في الأونة الأخيرة من اهتمام وزارة الثقافة والإعلام!!

لقد تم تكريم عبدالعظيم الضامن في الكويت سنة ٢٠٠٨م، ثم في عام ٢٠٠٩م رشحته منظمة جلوبال أورينت العالمية لجائزة حرية الإبداع لعام ٢٠٠٩م، وكرّمته المملكة الهاشمية الأردنية برعاية جلالة الملك عبدالله الثاني ضمن مهرجان الرواد المبدعين العرب عام ٢٠١٠م.. ومن هنا فإنني أدعو مؤسساتنا الثقافية والإعلامية في المملكة إلى تكريم عبدالعظيم الضامن.

المكتبة القطيفية

مكتبة متخصصة أسسها السيّد عباس الشبركة، وتختص بالإنتاج الثقافي لأبناء محافظة القطيف تأليفاً وتحقيقاً وإعداداً وترجمة، فبدأ في رصد كتب المكتبة القطيفية وتكوين هذه المكتبة قبل أكثر من عشر سنوات حين تنبّه لأهمية جمع هذه المكتبة المتخصصة، فاستخرج من مكتبته السابقة غير المتخصصة ٣٠٠ عنوان تقريباً من الكتب القطيفية لتكوّن نواة للمكتبة الحالية، فأخذ عهداً على نفسه، كما حدثني، ألا يشتري إلا الكتاب القطيفي، وملاحقته أينما كان، وخلال هذه السنوات العشر كوّن هذه المكتبة المتخصصة، وقوامها الآن ٣١٨٥ عنوان مما أنتجه أبناء محافظة القطيف من بدايات القرن العاشر الهجري حتى اليوم، ويغطّي هذا العدد بتقدير صاحب المكتبة القطيفية نحو ٨٥٪ من الإنتاج الثقافي القطيفي.

وقد لقيت المكتبة القطيفية اهتماماً طيباً لدى بعض الباحثين والباحثات من أبناء المنطقة الذين يبادرون بتزويد المكتبة بكتبهم حين صدورها، وأحياناً يكون السيّد عباس هو الذي يحضر لهم نسخاً من كتبهم عند صدورها في الخارج، فهو لا يهدأ في عملية البحث عن الكتاب القطيفي في كل مكان يمكنه الوصول إليه في الداخل أو الخارج، كالبحرين، ولبنان، ومصر، وإيران، والعراق، وسورية والأردن...

ولا يكتفي الشبركة بطبعة واحدة من أي كتاب قطيفي، بل يلاحق جميع طبعاته ومن مختلف دور النشر، وهذا الأمر يسهّل على الباحث الزائر للمكتبة القطيفية الوصول إلى الطبعة التي يريدها، وهذا ما يكلّفه ميزانية مرهقة، ولكن الذي يهوّن الأمر على نفسه أنه حفظ التراث الثقافي للمنطقة.

يقول السيِّد الشبركة: مرَّ النتاج الثقافي في القطيف بمرحلتين: المرحلة الأولى ما قبل عام ١٩٩٠م، حين كان أكثر ما يُطبع خارج البلاد في العراق، وبيروت، ومصر، وإيران، ومعظم تلك الكتب كتب دينية، وأشير إلى أن أول مجموعة قصصية لقطيفي منشورة في العراق عام ١٩٤٢م، عنوانها «وادي عبقر»، كتبها محمد حسن النمر. والمرحلة الثانية بعد عام ١٩٩٠م حين توسَّع النشر للكتب الأدبية والثقافية والفكرية، ولطباعتها داخل المملكة نصيب كبير. وقد بدأت قبل خمس سنوات بإصدار تقرير سنوي راصد لحركة الكتاب القطيفي؛ وذلك بسبب توسّع حركة النشر. فالذي يصدر سنوياً الآن أكثر من ٢٥٠ عنواناً قطيفياً جديداً إضافة إلى الدوريات المتخصصة الفصلية. وفي العام الماضي ٢٠١٠م كانت الكتب القطيفية المطبوعة داخل المملكة أكثر من المطبوعة في الخارج، وهذا مؤشر إيجابي، في حين في السنوات التي بين ٢٠٠٦م و٢٠٠٩م كانت الطباعة تتفاوت موزّعة بين عدة بلدان، وهناك كتب مطبوعة في أمريكا، وبريطانيا.

وارتفع نشاط المرأة القطيفية الثقافي في السنوات العشر الأخيرة بعد أن كان شبه معدوم، فأصبحت تحتفظ بنسبة ٢٠٪ من الكتب الصادرة، ويتنوع طرحها موضوعياً، مثلها مثل الرجل. وأشير إلى أن أكبر رواية في الخليج كتبتها امرأة قطيفية بعنوان «أنتَ لي» للدكتورة منى المرشود، وبلغ عدد صفحاتها ١٠١٤ صفحة من الحجم الكبير، وقد نفدت طبعتها الأولى في أقل من سنة واحدة.

وأما في جانب الحرية والانفتاح فنجد أن المؤلفين أصبحوا يتناولون خلال السنوات العشر الأخيرة كثيراً من الموضوعات التي لم يكن مسموحاً الاقتراب منها في السابق في الدين والسياسة، إلى جانب القصة والرواية التي خرجت عن المألوف، وهذا ما أنتج كثيراً من الإيجابيات، والقليل من السلبيات، وهذا في كل الأحوال ظاهرة صحية. وعلى الرغم من ذلك فإن أبرز العقبات التي اعترضت طريق الكتاب القطيفي وتعترضه اليوم هي مسألة صعوبة فسحه! فهذا الجانب السلبي هو الذي يحدّ من انتشار كتابنا القطيفي. وقد أسهم هذا الأمر في قلة المكتبات التجارية ودور النشر في القطيف، فلا يوجد في محافظة القطيف كلها غير دار نشر واحدة هي (دار أطياف للنشر والتوزيع)! فارتفع سعر الكتاب في سوقنا بشكل مزعج، ويمكنك القول: إن الكتاب القطيفي يباع عندنا بالوزن! وأضف إلى صعوبة الحصول على الكتاب القطيفي مسألة الأسماء المستعارة للكاتبات والكتّاب، وكذلك تشابه أسماء أسر الكتّاب في القطيف، والبحرين، والأحساء، والعراق.

وفي سؤالي للسيِّد عباس الشبركة عن إتاحة المكتبة القطيفية للباحثين، قال: أستقبل في مواعيد مسبقة كثيراً من الباحثين من جميع مناطق المملكة ومن خارجها، ويبقون يترددون عليها أيام متوالية، وأسعى من جانبي إلى توفير كل ما أستطيع لخدمتهم، فالمكتبة القطيفية في مكان شبه مستقل عن أهل بيتي، حتى لو احتاج الباحث البقاء ساعات طويلة لإنجاز بحثه، فأنا أرحب بالجميع، فلم أجمع هذه المكتبة إلا لحفظ التراث الثقافي للمنطقة، ولخدمة الباحث كائناً من كان، ولم أجمعها للمباهاة بها.. ولكني لا أسمح بإعارة الكتاب؛ ولهذا لا تعاني المكتبة القطيفية من فَقْد الكتب، ومتاح للباحث عندي تصوير ما يريد، كما أنني بصدد تصميم موقع إلكتروني على الإنترنت للمكتبة القطيفية يضمّ فهرساً لجميع كتب المكتبة القطيفية بعناوين الكتب، وأسماء المؤلفين، وطبعات الكتب المختلفة.

المهم، المكتبة القطيفية ترحب بأي زائر، وما على من يريد زيارتها غير التنسيق معي بمراسلتي على بريدي الإلكتروني: S.ABBAS14@yahoo.com.

الهوامش

١- الدُّوخَلة كلمة عربية فصيحة وتعني: المنقبة أو القفة الصغيرة من الخوص، ويُطلق عليها في بعض دول الخليج العربي «حيَّة بيَّه» أي «الحجي بيجي»، أي «الحاج سيأتي»، ويسمّونها في مدينتي صفوى والعوامية «سمّة».

٢- طمبان: عميق.

٣- الطفو: بقايا الرماد.

٤- الفلافيني: الثلاثيني، وهي أجزاء القرآن الكريم، تبدل الثاء فاء أحيانا في اللهجة القطيفية.

٥- الأهزوجة موجودة على الإنترنت بصوت المنشد صالح المؤمن لمن أراد الاستماع إليها، وقد جُمعت كلماتها من عدد من كبار السن الذين أدركوا تلك المرحلة.



وفاة الأمير محمد العبدالله الفيصل



الأمير محمد العبدالله الفيصل

توفي إلى رحمة الله تعالى صاحب السمو الملكي الأمير محمد العبدالله الفيصل بعد حياة حافلة بالعطاء رجلَ دولة، وأديباً، ورياضياً، ورجل أعمال؛ إذ قدّم مجهودات رائدة لخدمة وطنه في مجال العمل الرسمي في الدولة، وفي مجالات الرياضة والأدب والشعر.

وقد وُلد سموه في مكة المكرمة في ٣ ذي الحجة سنة ١٣٦٢هـ، ودرس في المدارس النموذجية في الطائف، حتى أكمل المرحلة المتوسطة والصف الأول الثانوي، ثم غادر إلى لوزان في سويسرا لإكمال دراسته الثانوية في مدرسة لومانيا، ثم أكمل دراسته الجامعية في جامعة فريبور في سويسرا.

وحصل سموه على بكالوريوس التجارة العليا عام ١٩٦٧م؛ ليعمل بعد تخرّجه محاسباً في مؤسسة النقد العربي السعودي سنة ١٣٨٧هـ، ثم عمل مدير وحدة التنظيم والإدارة في وزارة المعارف سنة ١٣٩٢هـ، ثم مديراً عاماً للبعثات الخارجية والعلاقات الثقافية في وزارة المعارف، ومديراً عاماً للشؤون الإدارية والمالية، ثم وكيلاً مساعداً للشؤون الإدارية والمالية في وزارة المعارف.

وفي قطاع الأعمال، تولّى سموه رئاسة شركة أسمنت القصيم، ورئاسة مجلس إدارة شركة الفيصلية القابضة، ورئاسة مجلس إدارة مجموعة التكامل الدولية للاستثمار التجاري المحدودة. وكان الراحل من مؤسسي مؤسسة الفكر العربي، وعضواً في مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

ورياضياً، أسهم سموه في إحداث أول مجلس لأعضاء الشرف في النادي الأهلي، ودعم مسيرة النادي منذ رعاية والده الأمير عبدالله الفيصل - رحمه الله - له سنة ١٣٦٩/ ١٩٥٠م. وترأس سموه مجلس إدارة النادي الأهلي سنة ١٤٠١هـ، ثم ترأس مجلس أعضاء الشرف والفخريين حتى سنة ١٤٢٣هـ، وأشرف على كرة القدم في النادي الأهلي منذ سنة ١٤١٦هـ حتى سنة ١٤٢٣هـ، وترأس اللجنة المنظمة العليا لدورة الصداقة الدولية منذ إنشائها عام ١٩٩٧م حتى عام ٢٠٠٤م.

وكان للأمير محمد العبدالله الفيصل إسهاماته الشعرية المتميزة، فأصدر أربعة دواوين شعرية، هي: رسائل محبة، وهمس القلوب، ودروب الليالي، والأخير، واختتم دواوينه

الشعرية بالمجموعة الكاملة تحت اسم (آخر المشوار)، وله مجموعة قصائد تحت الطبع.

يعدّ الأمير محمد العبدالله الفيصل من روّاد الشعر الغنائي السعودي؛ فقد تغنّى بكلماته عدد من الفنانين السعوديين والعرب، وشكّل مع الفنان طلال مداح - رحمهما الله - ثنائياً رائعاً، ومن أشهر أعمالهما أغنيتا (مقادير) و(زمان الصمت)، كما تغنّى بكلماته الفنانان محمد عبده وعبادي الجوهر.

صدور خمس سلاسل ثقافية جديدة

وافق الدكتور عبدالعزيز بن محيي الدين خوجه - وزير الثقافة والإعلام - على إصدار خمس سلاسل ثقافية جديدة، هي: معالم سعودية، وتراث لغوي، وفكر وفن، وعالم الطفولة، وروّاد المعرفة.

وتركز سلسلة (معالم سعودية) في الجوانب ذات البعد الثقافي السعودي، سواء في العمارة؛ كالمآذن، والأبواب، والشبابيك، والزخارف، والقلاع، والأسواق، والأسوار، أم في المأكولات، والمشروبات، والمصنوعات، وغيرها. وتتناول سلسلة (تراث لغوي) الجوانب اللغوية المتّصلة بالثقافة السعودية من أمثال، وحكم، وآداب، ومرويات، ولهجات، وحكايات، وغيرها. وتهتم سلسلة (فكر وفن) بالفنون ذات البعد الفكري والفكر المتّصل بالفن؛ مثل: إيقاعات الشعر الشعبي، والرقصات، والتصاميم الفنية، والحرف، والأذواق في التقاليد والممارسات، وغيرها. وتُعنى سلسلة (عالم الطفولة) بنشر الكتابات المتميزة الموجّهة إلى الطفل من قصص، وحكايات، وأناشيد، ومسرحيات، ورسوم، وغيرها. وتبرز سلسلة (روّاد المعرفة) دور الروّاد من الأدباء والمفكرين والباحثين والفنانين ممّن قدّموا إضافةً معرفيةً أو فنيةً في مجالهم.

وفاة كبير المستعربين الإسبان

توفي المستعرب والمؤرخ خوان برنيت في برشلونة عن عمر ناهز ٨٨ عاماً، ومن أبرز إنجازاته ترجمة القرآن الكريم، وألف ليلة وليلة، اللتين أُعيدت طباعتهما مراراً على مدى عقود، إضافةً إلى كتابيه: أصول الإسلام، والأدب العربي، وغيرهما.

ويعدّ كتاب (ما تدين به أوربا للإسلام الإسباني)، الذي ألّفه عام ١٩٧٤م، الأشهر في أعماله، وقد تُرجم إلى كثير من اللغات، منها العربية، وأصدره اتحاد الكتاب العرب في دمشق عام ٢٠٠٤م في ترجمة لعبدالله محمد الزيات بعنوان: (الأصول العربية للنهضة الأوربية).

وُلد خوان برنيت في برشلونة عام ١٩٢٣م، ونال شهادة الدكتوراه من جامعة مدريد المركزية عام ١٩٤٨م عن أطروحته حول عالم الرياضيات المسلم ابن البناء المراكشي (١٢٥٦-١٣٢١م). وعيّن أستاذاً للغة والآداب العربية في جامعة برشلونة حتى تقاعده منها، ونال عدداً من الجوائز المهمة، منها جائزة الشارقة للثقافة العربية التي منحتها له اليونسكو عام ٢٠٠٤م على مجمل أعماله التي تجاوزت الأربعين كتاباً، وأكثر من ٣٠٠ بحث ومقال، يؤكد فيها أهمية دور الثقافة العربية في إسبانيا والغرب عامةً.

أخبار

في ذكراه الثانية والعشرين.. محمد عبدالحي يثير تساؤلات بأدبي الرياض



أقامت الجمعية السودانية للثقافة والفنون والآداب بالنادي الأدبي بالرياض ليلةً أدبيةً إحياءً لذكرى مرور ٢٢ عاماً على رحيل الشاعر الدكتور محمد عبدالحي تحت عنوان: (تأملات في العودة إلى سنار)، وذلك في مساء الأربعاء ١٧ رمضان.

وقد ألقى الدكتور عبدالله الوشمي كلمة النادي الأدبي، أثنى فيها على السودان، وأهل الثقافة في السودان، مشيراً إلى وجود أسماء كبيرة في السودان لها تأثيرها في السعودية والعالم العربي، ونوّه بأن النادي احتفل من قبل بالشاعرين مصطفى سند، وعالم عباس. وقرأت الدكتورة شيراز ابنة الراحل محمد عبدالحي مقاطع من (العودة إلى سنار):

حملَ العُودَ المُرنّا
وامتطى مُهراً جموحاً
وتغنّى .....
بينَ غاباتِ النخيلْ:
غِبتَ عنّا
لم تعُدْ
عادتْ عصافيرُ الأصيل
غِبتَ عنّا
أيها الطفلُ الجميلُ

وقال الأستاذ محمد عبدالجليل، الذي تولّى إدارة الأمسية: إن النادي الأدبي بالرياض يقوم بجهد ثقافي مقدّر من خلال احتفائه برموز الأدب والثقافة والفن، ليس من المملكة أو البلدان العربية فحسب، بل من جميع أنحاء العالم؛ لإثراء أنشطته من منطلق أن الثقافة تزدهر بالتعدّد، وظلّ النادي حاضراً عبر المنتديات الثقافية السودانية.

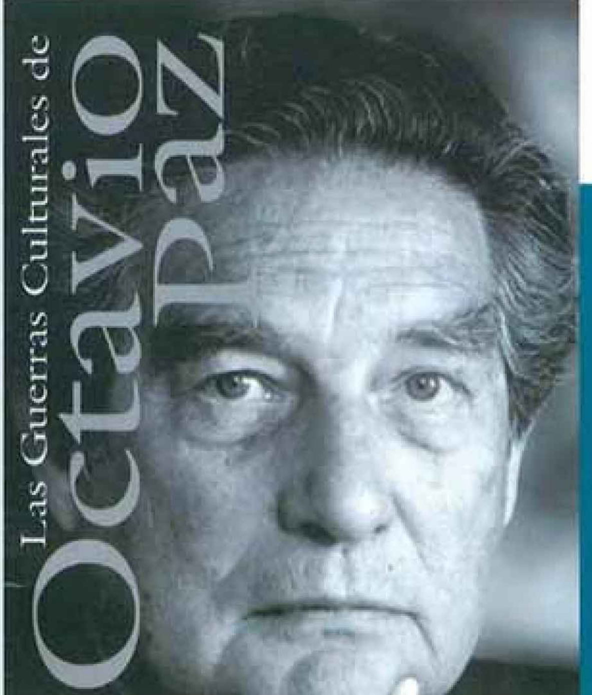
وتناول الأستاذ محمد مدني اهتمام الدكتور محمد عبدالحي بقضية الهوية، محلّلاً قصيدته (العودة إلى سنار)، وما فيها من هدوء وصخب. وتحدثت في الأمسية أيضاً عائشة موسى السعيد – رفيقة درب الشاعر الراحل الدكتور محمد عبدالحي – وشكرت الحضور، وقالت: استمتعتُ بكثير مما سمعتُ، وقد كان لي شرف الانتساب إلى عضوية هذا النادي، والمشاركة في أنشطته طوال سنوات عملي في جامعة الملك سعود.

وقدّم الأستاذ محمد جميل – أمين المكتب الثقافي في جمعية الصحفيين السودانيين في السعودية – مداخلةً عن مستويات التعبير لدى محمد عبدالحي، وشاعريته العالية. وانتقد الأستاذ ميرغني الشايب اختزال القصيدة في قضية الهوية، وتحميلها أكثر مما تحتمل. ودعا الأستاذ محمد السحيمي إلى ضرورة تكرار هذا التلاقي الثقافي السعودي السوداني؛ لما فيه من دعم لأواصر تاريخية وثقافية متعمقة الجذور.

نشر سيرة جديدة لأوكتافيو باث

يقوم الباحث الكوبي إنريكو ماريو خلال العام الحالي بنشر السيرة الذاتية الأكثر قرباً من حياة الشاعر المكسيكي أوكتافيو باث وأعماله، الحاصل على جائزة نوبل للأدب عام ١٩٩٠م.

وأقرب سيرة ذاتية صدرت عن حياة باث حتى الآن هي مجموعة من البحوث والدراسات عنه ظهرت عام ٢٠٠٤م في كتاب بعنوان: (شاعر بمناظر طبيعية) للكاتب غيليرمو شريدان. وكان ألبيرتو روي سانجيث قد وضع قبل ذلك في عام ١٩٩٠م كتاباً سمّاه (مدخل إلى أوكتافيو باث)، اشتمل على تفاصيل مهمة عن الشاعر. وأصدر خورخي أغيلار مورا الكتاب المثير للجدل، الذي أثار غضب الشاعر حين صدوره، مسلّطاً الضوء على التأريخ والأسطورة في أعمال باث، وكان بعنوان (الثنائي الإلهي). وبعد عدة سنوات، في عام ١٩٩٨م، أطلقت إيلينا بونياتويسكا كتابها (أوكتافيو باث.. كلمات الشجرة).

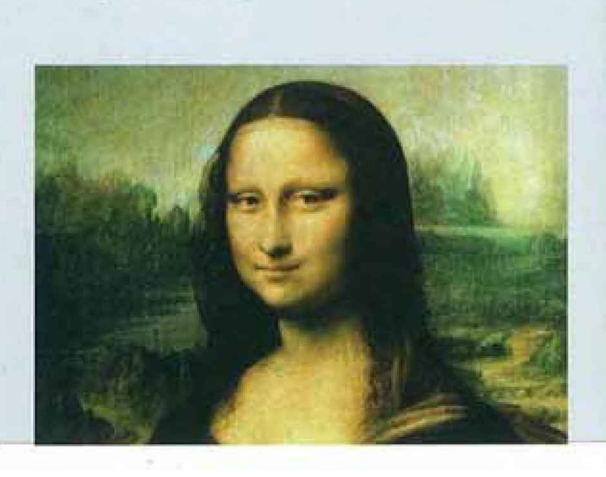


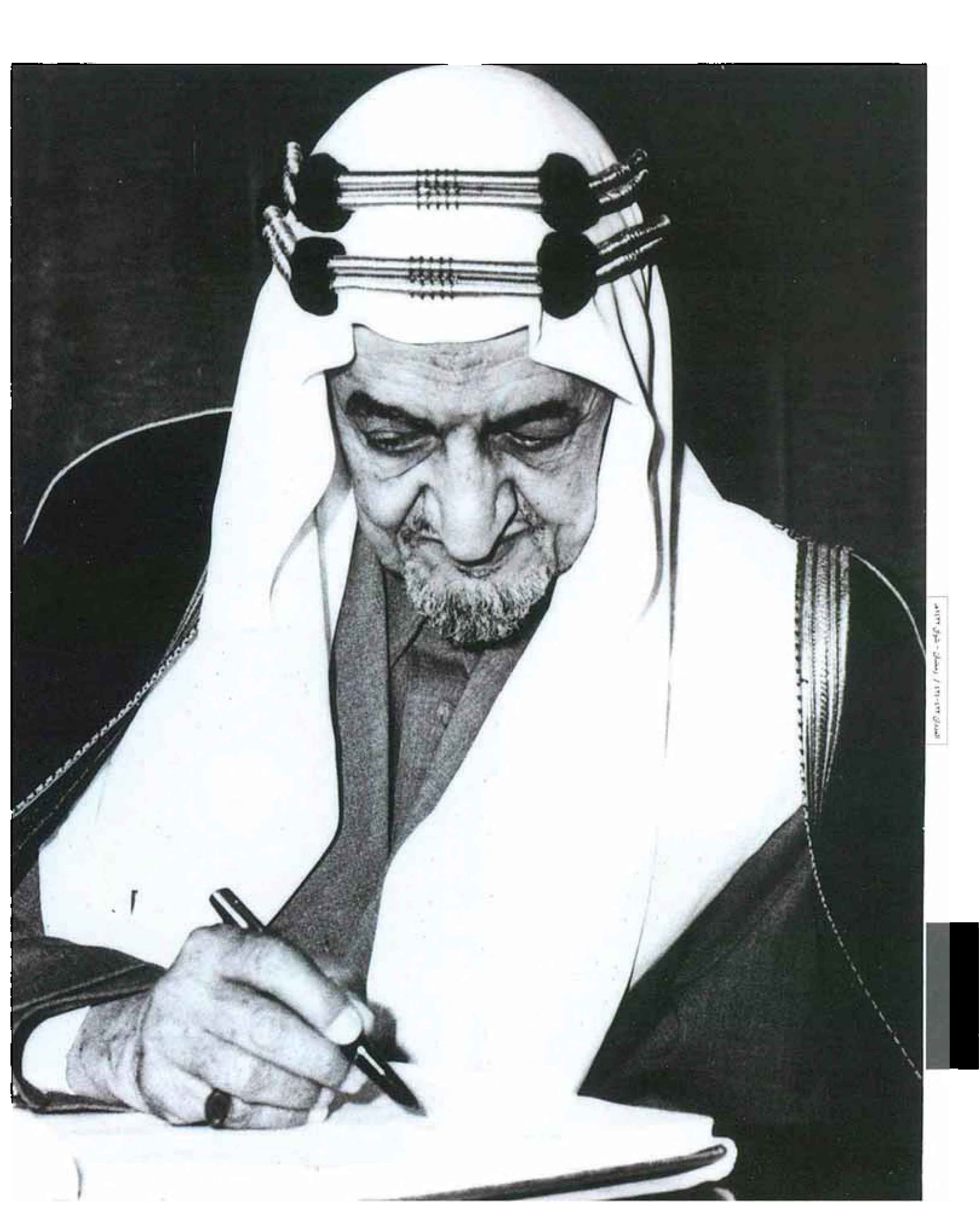
تكريم سارق الموناليزا بعد قرن

أصبح العامل الإيطالي الذي سرق الموناليزا من متحف اللوفر في باريس منذ قرن بطل مسرحية تصفه بالوطنية في إطار مهرجان صيفي في مسقط رأسه في مقاطعة لومبارديا الإيطالية. وأعلن مخرج المسرحية المعنونة بـ (محاكمة فينشينزو بيروجيا)، التي تأتي في إطار مهرجان مسرح دومينزا، وهي مدينة تقع على ضفاف بحيرة ماجيوري سيموني توفانين، قائلاً: «يُعتقد أن بيروجيا كان يتحلّى بحسّ الوطنية».

وترد صفة (السارق) بين مزدوجين على الموقع الإلكتروني الرسمي لمدينة دومينزا، الذي يتفادى أيضاً استخدام فعل (سرق)، مشيراً إلى أن تحفة ليوناردو دافينشي (سُحبت) من متحف اللوفر. أما رئيس بلدية دومينزا كورادو نازاريو مورو، فأكد أنه لا يعتزم أن يجعل من بيروجيا بطلاً على الساحة المحلية للمحافظة على سمعة المدينة، وقال: «نحن لا نريد أن نشتهر بصفتنا مسقط رأس سارق الموناليزا».

يُذكر أن الموناليزا سُرقت من متحف اللوفر في ٢١ أغسطس/ آب عام ١٩١١م؛ مما أثار ضجة كبيرة. وعُثر على اللوحة الشهيرة عندما حاول بيروجيا بيعها إلى تاجر عاديات في فلورانسا في ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩١٣م. وأكد السارق خلال محاكمته التي جرت في إيطاليا، وخفّضت عقوبته إلى ٧ أشهر من السجن، أن تصرّفه هذا نابع من حسّه الوطني.





الملك فيصل وتأسيس الجيش السعودي في مذكرات فوزي القاوقجي

زبير سلطان حميد قدوري
دمشق - سورية

تأتي أهمية شهادة القائد العربي فوزي القاوقجي في مذكراته عن الملك فيصل - رحمه الله - في سعيه إلى خدمة وطنه وأمته، سواء في تأسيس جيش نظامي حديث يحمي الوطن، ويمتلك الأسلحة الحديثة، والتدريب التقني العالي المستوى، أو في خدمة القضية الفلسطينية، أو توظيف جهده وعلاقته الدولية في إخراج المملكة من الأزمة المالية التي كانت تعصف بالعالم بما فيها الدول الأوربية الكبرى عام ١٩٣١- ١٩٣٢م؛ شهادةٌ مبكرةٌ في زمن مبكّر من تأسيس المملكة العربية السعودية.

لكن قبل عرض ما تضمّنت المذكرات عن الملك فيصل - رحمه الله - لا بد من تقديم نبذة قصيرة للقارئ من صاحب المذكرات فوزي القاوقجي.

وُلد فوزي القاوقجي في مدينة طرابلس اللبنانية عام ١٨٩٠م، والتحق بعد انتهاء دراسته الثانوية بالمدرسة الحربية في إستانبول، وتخرّج فيها ضابطاً برتبة ملازم، وخاض مع القوات العثمانية الحرب العالمية الأولى، وبعد خروج العثمانيين من بلاد الشام التحق بالجيش العربي السوري، وشارك ببسالة مشهودة في معركة ميسلون قرب دمشق في ٢٤ تموز/ يوليو عام ١٩٢٠م ضد القوات الفرنسية الغازية، التي قدمت لاحتلال سورية، واستطاع أن يأسر عدداً من الجنود الفرنسيين مع أن المعركة أسفرت عن هزيمة الجيش السوري الحديث؛ لقلة عدده وعدته أمام الجيش الفرنسي، كما أسفرت المعركة عن احتلال سورية.



كلفت الجامعة العربية القاوقجي عام ١٩٤٧م قيادة جيش الإنقاذ العربي لقود عملية تحرير فلسطين من الوجود الصهيوني وحماية القدس

قاد القاوقجي ثورة حماة عام ١٩٢٥م ضد الاستعمار الفرنسي، وخاض عدة معارك مع قوات الاحتلال خلال الثورة السورية، التي استمرت ثلاث سنوات (١٩٢٥- ١٩٢٧م). وكان يشكّل خلالها خطراً كبيراً على القوات الاستعمارية، وأطلق عليه السوريون يومها نتيجة كفاحه ضد المستعمر الفرنسي وبسالته وشجاعته لقب (الذئب الأحمر).

بعد انتهاء الثورة السورية عام ١٩٢٨م، طارده الفرنسيون بغية اعتقاله، إلا أنه هرب إلى مصر، ثم لجأ إلى الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله -، الذي حماه، وعيّنه بعد سنوات ضابطاً في الجيش، وكلّفه تأسيس جيش سعودي نظامي تحت إشراف الأمير الفيصل. وقد نمت بين الأمير فيصل وفوزي القاوقجي محبة وصداقة متينة، إلا أن بعض القوى الرافضة لعلمية التحديث التي كان يقودها الأمير فيصل - رحمه الله - حاكت ضد القاوقجي عدة دسائس، ومارست عليه ضغوطاً كبيرة أجبرته على الاستقالة والخروج من المملكة، وهذا الأمر سوف نوضّحه في متن المقالة.

قاد القاوقجي بعد مغادرة المملكة عدة عمليات حربية بين عامي ١٩٣٦ و١٩٣٧م ضد الوجود الصهيوني في فلسطين. وشارك في نصر الثورة العراقية ضد البريطانيين والوصي عبدالإله عام ١٩٤١م. ثم خرج مع قواته من العراق بعد إخفاق الثورة العراقية، كما هرب قائدها رشيد عالي الكيلاني إلى السعودية: ليحتمي بالملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله -. وخلال دخول القاوقجي إلى سورية من العراق عام ١٩٤١م أصابته طائرة بريطانية في دير الزور بجروح خطيرة نقل على أثرها إلى ألمانيا حيث تمّت معالجته في برلين. ثم عاد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية من ألمانيا إلى سورية. ثم كلّفته الجامعة العربية عام ١٩٤٧م قيادة جيش الإنقاذ العربي: ليقود عملية تحرير فلسطين من الوجود الصهيوني وحماية القدس. فقاتل مع جيشه العصابات الصهيونية في فلسطين قتالاً بطولياً، وبقي في فلسطين إلى أن دخلت القوات العربية في أيار/ مايو عام ١٩٤٨م، التي تولّت عملية الحرب ضد الوجود الصهيوني في فلسطين.

بعد احتلال الصهاينة فلسطين عام ١٩٤٨م عاد القاوقجي إلى مدينته طرابلس، واعتكف فيها، وبدأ بكتابة مذكراته عام ١٩٥٠م. وقد تعرّضت أوراقه في مركز الأبحاث إلى النهب بعد اجتياح القوات الصهيونية لبنان عام ١٩٨٢م: مما أفقد المكتبة العربية كثيراً من الوثائق والمعلومات المهمة التي تحتاج إليها.

ومن هذه السيرة الموجزة التي أوردناها عن فوزي القاوقجي تبدو لنا أهمية شهادته التاريخية عن الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله -، وعن دوره المهم في تلك المرحلة المبكرة البالغة الأهمية، سواء لبلده أم لأمته العربية الإسلامية، في سنوات قلّ فيها التدوين، وازدادت حاجة الأجيال إلى معرفة مجرياتها وأحداثها.



تحدث القاوقجي عن تصميم الأمير فيصل على تأسيس جيش نظامي قويّ حديث للمملكة، يدافع عن حدودها، ويعزّز قوتها

الفيصل وتأسيس الجيش السعودي النظامي

كتب فوزي القاوقجي في مذكراته خلال إقامته في المملكة بين عامي ١٩٢٨ و١٩٣٢م عن الدور الكبير الذي بذله الأمير الفيصل - رحمه الله - من أجل تأسيس جيش سعودي نظامي حديث يملك سلاحاً حديثاً متطوراً، ومُدرَّباً تدريباً عالياً على السلاح الحديث، ويتقن الفنون العسكرية الجديدة. وتحدث عن العوائق الكبيرة التي كانت تصنعها قوى في السلطة آنذاك من خارج الأسرة المالكة رافضة لعمليات التطوير والتحديث في مؤسسات المملكة الحديثة النشوء، التي كان يقودها الملك عبدالعزيز وأولاده، وفي مقدمتهم الأمير الفيصل - رحمه الله -. وأظهر في مذكراته مدى تلك العوائق والصعوبات التي كانت تواجه الأمير فيصلاً آنذاك في سبيل تحقيق هدف بناء الجيش النظامي الحديث، خصوصاً توفير المال الكافي لحاجات ذلك الجيش؛ بسبب رفض بعض القوى المؤثرة في وزارة المالية توفيرها، أو تقديمها، على الرغم من توجيهات الملك عبدالعزيز - رحمه الله -. وكان هدف تلك القوى هو منع تنفيذ مشروع تحديث الجيش.

تحدث القاوقجي في فصل من مذكراته بين عامي ١٩٢٨ و١٩٣٢م عن تكليف صدر من الملك عبدالعزيز للوطني السوري نبيه بك العظمة لتأسيس جيش نظامي في المملكة، وتضمّن التكليف أن يكون فوزي القاوقجي معاوناً له، ويعملان تحت إشراف الأمير فيصل بن عبدالعزيز - نائب الملك - وتوجيهاته وإمرته. وذكر أن الأمير فيصلاً كان متحمساً لتأسيس جيش نظامي للمملكة، وعمل على الرغم من كلّ العوائق على تسهيل مهمتهما، كما اطّلع على المنهج المفصّل الذي أعده العظمة والقاوقجي عن كيفية تأسيس الجيش، ووافق عليه، ووافق على طلبهما - من أجل الإسراع في التأسيس - بأن يقوما بتفقّد مستودعات الأسلحة في مكة وجدة، والتفتيش عليها، وتبيان الصالح منها، وأن يقدّما إليه تقريراً بعد انتهاء جولتهما على المستودعات يبيّنان فيه حال أوضاع تلك المستودعات. وذكر في المذكرات أن الأمير فيصلاً كان مرتاحاً فرحاً بعد انتهاء جولتهما، وقراءة التقرير الذي قدّماه إليه عن الجولة التفتيشية على المستودعات.

> بدأ القاوقجي بكتابة مذكراته عام ١٩٥٠م، وقد تعرضت أوراقه في مركز الأبحاث إلى النهب بعد اجتياح القوات الصهيونية لبنان عام ١٩٨٢م

وتتحدث المذكرات عن أن القاوقجي تسلّم بعد أشهر قليلة عملية تأسيس الجيش بطلب من الأمير فيصل ورعايته، بعد أن استقال نبيه بك العظمة، وعاد إلى سورية. وتحدث القاوقجي عن تصميم الأمير فيصل على تأسيس جيش نظامي قويّ حديث للمملكة، يدافع عن حدودها، ويعزّز قوتها، فكان يقدّم إلى فوزي القاوقجي كلّ أنواع المساعدة من أجل تسهيل مهمته، وذكر أنه وافق على كل طلباته التي تقدّم بها، ومنها أنه وافق على أن يجتمع الجيش عدا الوحدات الضرورية في جدة من أجل توحيد تدريبه، والتدريب على الأسلحة الحديثة. وتحدث عن الاستجابة السريعة للجندي السعودي في إتقان استخدام السلاح الحديث، وعلى تجاوبه السريع مع التدريبات العسكرية التي تقوم بها الجيوش الحديثة، وكان جزء من هذا الإنجاز يعود إلى رعاية الأمير فيصل ومساندته له في مشروعه التدريبي، فقال: «أبدى الجندي النجدي استعداداً عظيماً في تلقّي العلوم العسكرية والتدريب المنظّم؛ فلم تمض بضعة أشهر حتى كان الجيش بجميع أسلحته في مستوى يعادل مستوى الجيوش النظامية في الشرق»[1].

وتحدث فوزي القاوقجي عن تطور العلاقات بينه وبين الأمير فيصل؛ فقد تأسّست صداقة متينة بينهما نتيجةً لما وصل إليه الجيش السعودي النظامي من تدريب وإتقان عالٍ لاستخدام الأسلحة والفنون الحديثة.

ولتبيان ما وصل إليه الجيش السعودي من الحداثة خلال مدة زمنية قياسية قصيرة، وافق الأمير فيصل على طلب القاوقجي أن يقدم الجيش الحديث عرضاً عسكرياً أمام الملك عبدالعزيز وضيوفه ورجال السلك الدبلوماسي الخارجي المعتمدين من دولهم بمناسبة يوم جلوسه في جدة عام ١٩٣١م؛ بهدف أن

يرى العالم مدى ما وصل إليه الجيش النظامي السعودي من مستوى رفيع. وجرى العرض العسكري بعد عرضه على الملك وموافقته على العرض. فيذكر القاوقجي أنه كان يوماً متميزاً في تاريخ المملكة والجزيرة العربية، فكان العرض ناجحاً من حيث التنظيم، وعرض الأسلحة الحديثة المختلفة، وقد تم الاستعراض أمام جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - والأمراء الوزراء وكبار رجال الدولة والسفراء وجماهير غفيرة في جدة، فأثنى الملك عبدالعزيز على الأمير فيصل وقيادة القاوقجي والضباط والجنود، وبارك لهم هذا النجاح. كما أهدى القاوقجي سيفاً وسيارةً وفرساً بمناسبة نجاح العرض.

وتحدث القاوقجي عن الجهود والرعاية التي كان يقدمها الأمير فيصل لتذليل الصعاب التي كانت تواجه حاجات الجيش وطلباته الكثيرة، وذكر أنه سعى إلى حلّ مشكلة تأخّر رواتب الجند بسبب الضائقة المالية التي كانت تمرّ بها المملكة والعالم عام ١٩٣١م؛ بسبب الانهيار المالي العالمي في أوربا.

الفيصل وتذليل عوائق تحديث الجيش

أوضحت مذكّرات القاوقجي مدى إخلاص الأمير فيصل من أجل بناء جيش نظامي قويّ للمملكة، وجهده الشخصي الفاعل من أجل تذليل المشكلات التي كانت تواجه بناء هذا الجيش، وفي مقدمتها الروتين البطيء في بعض الدوائر في أثناء دراسة طلبات الجيش وحاجاته. وتحدث فوزي القاوقجي عن أن هذا الروتين البطيء دفعه إلى أن يطلب من الأمير فيصل إعفاءه من منصبه، خصوصاً التباطؤ في الاستجابة للطلبات المالية التي تقدّم بها إلى ابن وزير المالية، التي كان يراها ضروريةً للجيش، فقال: غادرت جدة، وذهبت إلى مكة، «وواجهت الأمير فيصل، وأعلمته بما جرى بيني وبين ابن سليمان بالحرف الواحد، وطلبت منه إعفائي من الخدمة، فقال لي: لا تفعل يا فوزي، وإذا أحد يجب أن يطلب إعفاءه من الخدمة فهو أنا، وهذا مقدّر، ويجب علينا احتماله، وإنها فرصة تُخبر الملك بما جرى بكتاب عنها، وسأكون حاضراً عنده لمعاضدتك»[٢].

وعملاً بنصيحة الأمير فيصل كتب القاوقجي مذكّرةً ضمن مذكّراته إلى الملك عبدالعزيز تضمّنت شرحاً لحالة الجيش قبل تسلّمه، وما وصل إليه من تطوّر وتحديث بعد تسلّمه له، وقدّم فيها عدداً من المقترحات التي يحتاج إليها الجيش، ووافق عليها الأمير فيصل، وأمر بتنفيذها، وقدّم إلى الملك ما يواجه الجيش من عوائق لتحقيق مشروع تحديثه، خصوصاً في المسألة المالية. وذكر أن الأمير فيصلاً اطّلع عليها، ثم اصطحبه معه إلى الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، وسهّل له الدخول عليه. وبعد أن وقف القاوقجي أمام الملك خرج الأمير فيصل من المكان؛ ليعطي القاوقجي حرية شرح الأمور للملك، فسلّم القاوقجي الملك عبدالعزيز المذكرة.

وتتحدث المذكرات عن أن الملك عبدالعزيز بعد أن اطّلع على المذكرة، واستمع إلى القاوقجي، استدعى ابن سليمان على الفور، وحين امتثل أمامه قال له: «أيش وراك مع فوزي سنمه»، فقال ابن سليمان: «سمعاً وطاعةً». وتحدث القاوقجي بعد ذلك أنه خرج من عند الملك وإذا فيصل ينتظرني بسيارته، ولما سألته عن سبب خروجه، قال: «كي لا يشكّ الملك في اتفاقنا على هذا الأمر، وأعلمته بما جرى، فقال: والله ما


وافق الأمير فيصل على طلب القاوقجي أن يقدم الجيش الحديث عرضا عسكريا أمام الملك عبدالعزيز وضيوفه عام ١٩٣١م

هي بشارة، فتوقّعت مكيدةً يحيكها ابن سليمان. كما توقّع ذلك الأمير فيصل»[٣].

وتحدث القاوقجي عن الصعوبات التي لم يستطع أن يحلّها في عملية تحديث الجيش، خصوصاً عدم قدرته على حلّ مسألة تأخّر رواتب الجيش والمدرّبين الطيّارين الإنجليز، الذين اشتكوا إلى السفير البريطاني تأخّر رواتبهم، وذكر أن وزارة المالية كانت تتعمّد تأخيرها، وهذا الأمر - كما يقول القاوقجي - دفعه إلى التفكير في الاستقالة من منصبه، وأعلم الأمير فيصلاً بما يفكّر، وقال: «ولما أيقنتُ أنه يستحيل أيّ عمل مفيد، وتقديم أية خدمة مع هذا الوضع، صمّمت أن أفاتح الفيصل في أمر إعفائي من الخدمة ثانيةً»[٤].

ويظهر من المذكرات أن الأمير فيصلاً اتّخذ بعض الإجراءات لمصلحة القاوقجي؛ مما دفع ابن سليمان إلى زيارة القاوقجي. ويذكر القاوقجي أن ابن سليمان أظهر له إخلاصاً وتقديراً خلال زيارته، لكنه في ختام الزيارة نصحه بأن يقدّم استقالته من الجيش خيراً له. وبعد زيارة ابن سليمان سافر

الملك فيصل مع الرئيس حافظ الأسد في الجولان



تظهر لنا مذكرات القاوقجي الروح العربية والإسلامية للملك فيصل - رحمه الله - تجاه قضايا أمته، والدفاع عنها

القاوقجي إلى الطائف بحجة تفتيش حاميته وتفقّدها؛ إذ كان فيها آنذاك الملك والأمير فيصل، وهدفه الحقيقي إعلام الأمير فيصل بما دار بينه وبين ابن سليمان، ودعوته القاوقجي إلى الاستقالة. فيقول القاوقجي: «صارحت الأمير (يقصد الأمير فيصلاً) بما عزمتُ عليه، وأصرّ عليّ بألاّ أفعل، وأقنعني بوجوب التريّث إلى أن نجد طريقة»[٥].

ومع مرور الزمن تظهر المذكرات اشتداد أزمة القاوقجي مع ابن سليمان حول توفير المال للجيش، وإعادة تفكير القاوقجي مرةً ثانيةً في الاستقالة، وعزمه على مغادرة المملكة. وعندما علم عدد من أصدقائه السوريين الموجودين في المملكة تفكيره في الاستقالة حاولوا أن يثنوه عما يفكّر ويرغب، وكان من بينهم: فؤاد حمزة، ويوسف ياسين، والدكتور مدحت شيخ الأرض، والأمير عادل أرسلان. ويذكر القاوقجي أنهم أخفقوا في إقناعه بالعدول عن الاستقالة والمغادرة.

وتتحدث المذكرات عن أن الأمير فيصلاً تدخّل لإقناعه بالعدول عن الاستقالة من خلال حرصه على بناء جيش سعودي حديث مع وجود كل العوائق، وطلب من القاوقجي الاستمرار في عمله. ويتحدث القاوقجي عن حرص الأمير فيصل على الاستمرار في عمله قائلاً: «وأخيراً طلبني الأمير فيصل إليه، وكان صديقي الحميم، قال لي: لا تكن أحمق وأبله؛ فهذه الحادثة هي خير فرصة تستثمرها ضد ابن سليمان». ويتابع القاوقجي قائلاً: «أصرّ - الأمير فيصل - عليّ أن أبقى، فطلبت منه إمهالي. وكان الملك بدوره أرسل إليّ كتاباً يعلمني فيه أنني محسوب عليه، وأن عليّ وعلى أمثالي التحمّل. وقد أمر لي بما يرضيني». وذكر القاوقجي أن الأمير عادل أرسلان زاره مرةً ثانيةً، وقال له: «إن مغادرتك البلاد بعد هذا الكتاب غير لائقة». وأكد أن الذي دعاه إلى صرف النظر عن الاستقالة هو إصرار الأمير فيصل على بقائه، وأنه أقنعه بالبقاء في عمله[٦].

وكان لهذا الموقف النبيل من الأمير فيصل، وحرصه على استمرار عملية تحديث الجيش، وعلى أن الذي يقود عملية التحديث هو القاوقجي، والتخفيف من الصعوبات التي يلاقيها، ومن الضغوط النفسية التي تتولّد عنده بسبب تلك الصعوبات، أثر كبير في بقاء القاوقجي في عمله. وتحدث

القاوقجي عن ازدياد قربه من الأمير فيصل بعد هذه الحادثة، وأنه أصبح مستشاره ومرافقه. فيقول: «لازمتُ بعدئذ الأمير فيصل: حيث أصبحت مستشاراً خاصاً له، فلم أفارقه في إقامة أو سفر أو اجتماع، خصوصياً كان أو رسمياً»[١].



اهتمام الملك فيصل بالجيش في كل مراحل حياته

الفيصل ومساندة ثوار فلسطين

تظهر لنا مذكرات القاوقجي الروح العربية والإسلامية للملك فيصل - رحمه الله - تجاه قضايا أمته، والدفاع عنها، وهذا الأمر تبديه المذكرات عن قضية فلسطين في بواكير أزمتها مع العدو الصهيوني. فتذكر موقفاً نضالياً له خلال الثورة الفلسطينية التي نشبت عام ١٩٢٩م، واستمرّت حتى عام ١٩٣٢م. فيذكر القاوقجي أن ثوّار فلسطين راسلوه في عام ١٩٣١م وهو في المملكة بما يجري في فلسطين، وطلبوا



حافظ الأمير فيصل على سرية رحلة القاوقجي، وتأمين وسائل الخروج من المملكة والعودة إليها بعد تنفيذ مهمته في فلسطين

منه النصيحة، واستشاروه في مواجهة الاستيطان الصهيوني والاستعمار البريطاني. يذكر القاوقجي أنه أعدّ لهم مذكرةً تضمّنت خططاً ثوريةً مسلّحة للقيام بثورة مسلحة لمواجهة الهجرة اليهودية المنظّمة والواسعة إلى فلسطين، وأرسلها إلى الثوار في فلسطين. فطلب منه الفلسطينيون اللقاء معه في القاهرة لشرح الخطط التي وضعها.

يقول القاوقجي: إنه أعلم الأمير فيصلاً بما قام به مع الثوار الفلسطينيين، وبطلبهم منه أن يحضر إليهم لمناقشة الخطط التي وضعها، وأطلع الأمير فيصلاً على الخطط، وطلب منه أن يساعده على وضع تعديلات على تلك الخطط، وأشار القاوقجي إلى أن الأمير فيصلاً اطّلع على الخطط، لكنه لم يذكر أكان الأمير قد عدّل عليها أم لا، بل أشار إلى اطّلاعه وموافقته عليها.

ومن إيمان الأمير فيصل بقضية فلسطين، وحقها في طرد الغزاة المستوطنين اليهود، تبنّى قضية مساعدة القاوقجي على لقاء الفلسطينيين، فسهّل له السفر من المملكة في سرّية تامّة، والعودة إليها بعد ذلك، فقال: «ففاتحت الأمير فيصلاً بما أنويه، وطلبت منه أن يساعدنا ببعض (التعديلات) يقوم بها،

ثم استرخصته بالذهاب إلى مصر، ورجوتُ أن يبقي سفرتي مكتومة. ففعل.[٨].

ويعدّ ما تحدث به القاوقجي في مذكراته عن دور الملك فيصل في مساعدته على السفر سراً إلى القاهرة وفلسطين للقاء قادة الثورة الفلسطينية، واطّلاعه على مخطّطات مستقبلية لتفجير الثورة، ثم طلب القاوقجي من الملك فيصل رأيه فيها، وتقديم النصائح والإرشادات وفق خبرته في مثل هذه الحروب والانتفاضات، وطلب القاوقجي التوسع في الخطة، ومباركة الفيصل لها، دليلاً على اهتمام الفيصل بالقضية الفلسطينية منذ بداياتها في عشرينيات القرن الماضي، ومساندته تحريرها، ومنع الاستيطان الصهيوني فيها.

حافظ الأمير فيصل على سرية رحلة القاوقجي، وتأمين وسائل الخروج من المملكة والعودة إليها بعد تنفيذ مهمته في فلسطين. ومن قرأ من الباحثين والدارسين تاريخ تلك المرحلة التاريخية في عام ١٩٣١- ١٩٣٢م يعرف خطورة ما أقدم عليه الأمير فيصل آنذاك؛ للأسباب الآتية:

- أن المملكة في تلك المدة كانت تتلقى مساعدات من بريطانيا في مستوى التدريب العسكري والإداري، وهذا العمل الذي قام به الأمير فيصل في حال كشفه سيغضب الحكومة البريطانية، ويؤدي بها إلى توجيه عتاب أو قطع للمساعدات؛ لأن الحكومة البريطانية آنذاك كانت تستعمر فلسطين، وتساند وتغضّ الطرف عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين؛ فهي التي أصدرت وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩١٧م، الذي تضمّن إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين.

- كان العالم والمملكة يواجهان تدهوراً اقتصادياً عالمياً شمل معظم دول أوربا وغيرها من دول العالم، أدى هذا التدهور إلى وجود ضائقة مالية في المملكة وفي عدد من دول العالم، وكانت المملكة بحاجة إلى قروض مالية من بريطانيا وأوربا لسدّ بعض العجز المالي آنذاك، وكشف ما قام به الأمير فيصل، والضابط المشرف القاوقجي الذي تحت إمرته، من عمل عسكري في فلسطين ضد الهجرة الصهيونية، وسياسة الحكومة البريطانية في فلسطين، سيجعل تلك الدول تمتنع عن مساعدة المملكة على رفع العجز المالي الذي تشكو منه.

- أن كشف الأمر في المحافل السياسية في المملكة والعالم سيؤدي إلى إحراج الأمير فيصل داخل المملكة تجاه الملك عبدالعزيز والحكومة السعودية؛ مما يضعف موقفه وتأثيره في رسم السياسة الداخلية والخارجية.

- سيعطي هذا الأمر فرصةً لخصوم الأمير فيصل، خصوصاً مجموعة ابن سليمان، لزرع الفتنة، وحياكة الدسائس التي كانت تُحاك ضده وضد توجّهاته لتحديث المملكة، ورفع الروتين الإداري فيها، ومحاربة الفساد.

لكن إيمان الأمير فيصل بعدالة قضية فلسطين، ومشروعية رفض الاستيطان الصهيوني فيها، وحماية المقدسات الإسلامية، والدفاع عن الشعب الفلسطيني في حقه في أرضه واستقلاله، كانت دوافع لدى الفيصل - رحمه الله - بالإقدام على حماية القاوقجي، وتسهيل خروجه وعودته إلى المملكة سالماً، وأن يحتفظ في نفسه بخطط الثورة في فلسطين،



ويحفظ أسرارها. فكانت رعاية الله - عزّ وجلّ - له كبيرة، فبقيت رحلة القاوقجي إلى فلسطين وعودته إلى المملكة سرية، ولم يعلم بها الإنجليز ولا أي أحد داخل المملكة.

رحلة الفيصل إلى أوربا

تحدث القاوقجي في مذكراته عن دور الأمير فيصل في تفكيك الضائقة المالية التي كانت تمرّ بها المملكة عام ١٩٣١-١٩٣٢م، وذكر أن الأزمة الاقتصادية كانت عامةً في العالم، وبلغت أقصى حدودها في أوربا، وأن المملكة تأثرت بها تأثيراً بالغاً؛ فكاد المال الاحتياطي من الدولة ينفد؛ إذ كانت واردات المملكة المالية تعتمد بشكل رئيس على موسم الحج، ولم تعد هذه الواردات في ذلك العام تكفي حاجات المملكة. فظهر عجز مالي، وضائقة خطيرة.

وذكر القاوقجي اتفاق الحكومة السعودية على أن يقوم الأمير فيصل برحلة إلى بعض العواصم الأوربية من أجل الحصول على قرض مالي، وذكر أن الأمير كان ينوي اصطحاب القاوقجي معه في هذه الرحلة، إلا أن ابن سليمان حال دون ذلك؛ بحجة أن الأمير فيصلاً لا يمكن أن يصحب معه القاوقجي إلى باريس ولا تزال يداه تقطران من دماء الفرنسيين.

وغادر الأمير فيصل المملكة، يرافقه فؤاد حمزة، إلى عدة بلدان أوربية من أجل تفكيك الأزمة المالية التي كانت تمرّ بها المملكة، والحصول على دين مالي من تلك الدول الأوربية ومراكزها المالية لحل الأزمة، وتسيير أمور المملكة حتى تنقشع الأزمة المالية التي يمر بها العالم، ومن بينه المملكة. واستطاع الأمير أن يحصل على المال اللازم خلال رحلته إلى عدة عواصم أوربية بفضل قدراته السياسية والاقتصادية، وقدرته على الحوار وإقناع المراكز المالية في تلك الدول، ولما يملك من ثقة عالية في الإدارات والسلطات المالية والاقتصادية في تلك البلدان.

معاناة القاوقجي بعد سفر الفيصل

تحدث القاوقجي في مذكراته عن المعاناة الشديدة التي لاقاها بعد سفر الأمير فيصل من الرافضين لتطوير الجيش وتحديثه، وازدياد الدسائس والوشايات عليه؛ مما أدى إلى

شهادة حق

مذكرات القاوقجي مهمة، لأنها تحدثت عن حقبة تاريخية بين أعوام ١٩٢٨ و١٩٣٢م، تضمنت شهادة حقّ في دور الأمير فيصل - رحمه الله - في بناء جيش حديث ونظامي للمملكة، وتذليل كلّ الصعاب من أجل هذا الهدف، وموقفه تجاه قضية فلسطين، وسعيه من أجل حلّ الأزمة المالية التي كانت تمرّ بها المملكة والعالم كله. شهادة من بطل عربي قاتل من أجل فلسطين، وخدم أمته العربية والإسلامية طوال حياته. الملك نذر نفسه في سبيل دينه ووطنه وأمته.

اعتقاله والتحقيق معه بضعة أيام. كما حاولوا الإيقاع به لدى الملك عبدالعزيز، حتى إنه قُدّم معتقلاً إلى وليّ العهد الأمير سعود. وعندما ظهرت الحقائق، وفُضحت الدسائس التي كان تُحاك ضده أمام وليّ العهد، طيّب خاطره، وأمر له بدار وخدم وعبيد، وأجرى له الأرزاق ومرتباً. وقال القاوقجي عن ذلك: «وأعطاني حريةً في التنقّل والتنزّه في الرياض وخارجها. ولقد أنساني ما لاقيته طيب قلب هؤلاء الأمراء»[٩].

وتحدث القاوقجي عن لقاء له مع الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في الرياض بعد ذلك؛ إذ أرسل إليه ابن معمر - رئيس الديوان - يبلغه عفو الملك، ويطلب منه أن يحضر إلى الملك. وعندما التقى الملك عبدالعزيز طيّب خاطره، وأكرمه. يقول القاوقجي عن هذا اللقاء: إن الملك عبدالعزيز قال له: «إننا نحن أهلك وعشيرتك، فإن أحببت جوارنا فأنت عند أهلك، وإن أردت الخروج من البلاد فالرأي رأيك»[١٠].

تظهر المذكرات أن الملك عبدالعزيز كان يرغب في بقاء القاوقجي، واستكمال ما قام به من تحديث الجيش السعودي النظامي؛ فعندما طلب من الملك السماح له بالخروج من المملكة أمهله، ثم أرسله إلى الأمير فيصل، الذي قدم الطائف بعد سفرته الخارجية الناجحة؛ لما يعرف لما للأمير فيصل من حظوة ومحبة في قلب القاوقجي. وزيادةً في التكريم قدّم إليه العطايا والهدايا، وخصّص له سيارةً وسائقاً يوصله إلى الأمير فيصل في الطائف.

خروج القاوقجي من المملكة وهو يحمل المحبة والود للأمير فيصل

تحدث القاوقجي عن وصوله إلى الطائف، وعن ترحيب الأمير فيصل الحارّ به، وعن عودة الصداقة المتينة والمودة بينهما، وطيّب الأمير خاطره، حتى إنه عدّ ما أصابه من بعض الدسائس والاعتقال تخفيفاً لما أصابه بسبب الاعتقال؛ فقال: إن الأمير قال له بحضور الأمير عبدالله الفيصل - رئيس ديوان الشورى - والسيد مهدي - مدير الأمن العام: «إن كلّ ما أصاب فوزي هو بسببي، وإنه يصعب على الرجل الشريف الآتي من خارج البلاد أن يعيش فيها، وكانت هذه الكلمات لي خير عزاء»[11].

وذكر القاوقجي أنه عاد إلى عمله، إلا أنه هذه المرة قرّر الخروج من المملكة؛ خوفاً على كرامته وحياته من دسائس جديدة عليه، وأكّد أن الأمير فيصلاً كان يلحّ عليه خلال هذه المدة حتى يصرفه عن فكرة ترك عمله ومغادرة المملكة، وذكر أنه لم يطاوعه هذه المرة؛ خوفاً من مكيدة جديدة له. ويظهر أن الملك عبدالعزيز علم نية القاوقجي ترك عمله، ومغادرة المملكة، فطلب من الأمير فيصل إقناع القاوقجي بالبقاء، وقال له في برقية أرسلها إليه: «اتّفقوا مع فوزي على إبقائه في الحجاز بأيّ شرط كان»[12].

وذكر القاوقجي أن الأمير فيصلاً كان فرحاً عندما تلقّى برقية الملك: فقد كان يأمل أن يقنع القاوقجي بالبقاء، إلا أن القاوقجي كان هذه المرة قد قرّر نهائياً الخروج من المملكة. وذكر القاوقجي الحوار الذي دار بينه وبين الأمير فيصل في هذا الشأن، فقال: «سألته: هل تستطيع حمايتي من إهانة أو أذى يلحق بي إذا وقعتُ في مكيدة جديدة إلى أن يظهر الحق؟ قال: والله لو تقع على رأس عبدالله - ويعني ولده - لا أستطيع ذلك. فقلت له: إذاً يا سمو الأمير، الأشرف لي ولك أن أترك البلاد، وألاّ أؤخذ مرةً ثالثةً من بين يديك، وعيناك تنظران، فأسجن، وأهان، وأنت لا تستطيع عمل أيّ شيء. فتأثر كثيراً، وقال: والله الحق معك، توكّل على الله، وعسى ألاّ يكون هذا آخر العهد بيننا. فتركت الطائف، وتوجّهت إلى جدة، وأنا محفوف بكرم الأمير وعطفه، وركبت الباخرة متجهاً إلى مصر»[13].



تظهر المذكرات أن الملك عبدالعزيز كان يرغب في بقاء القاوقجي، واستكمال ما قام به من تحديث الجيش السعودي النظامي



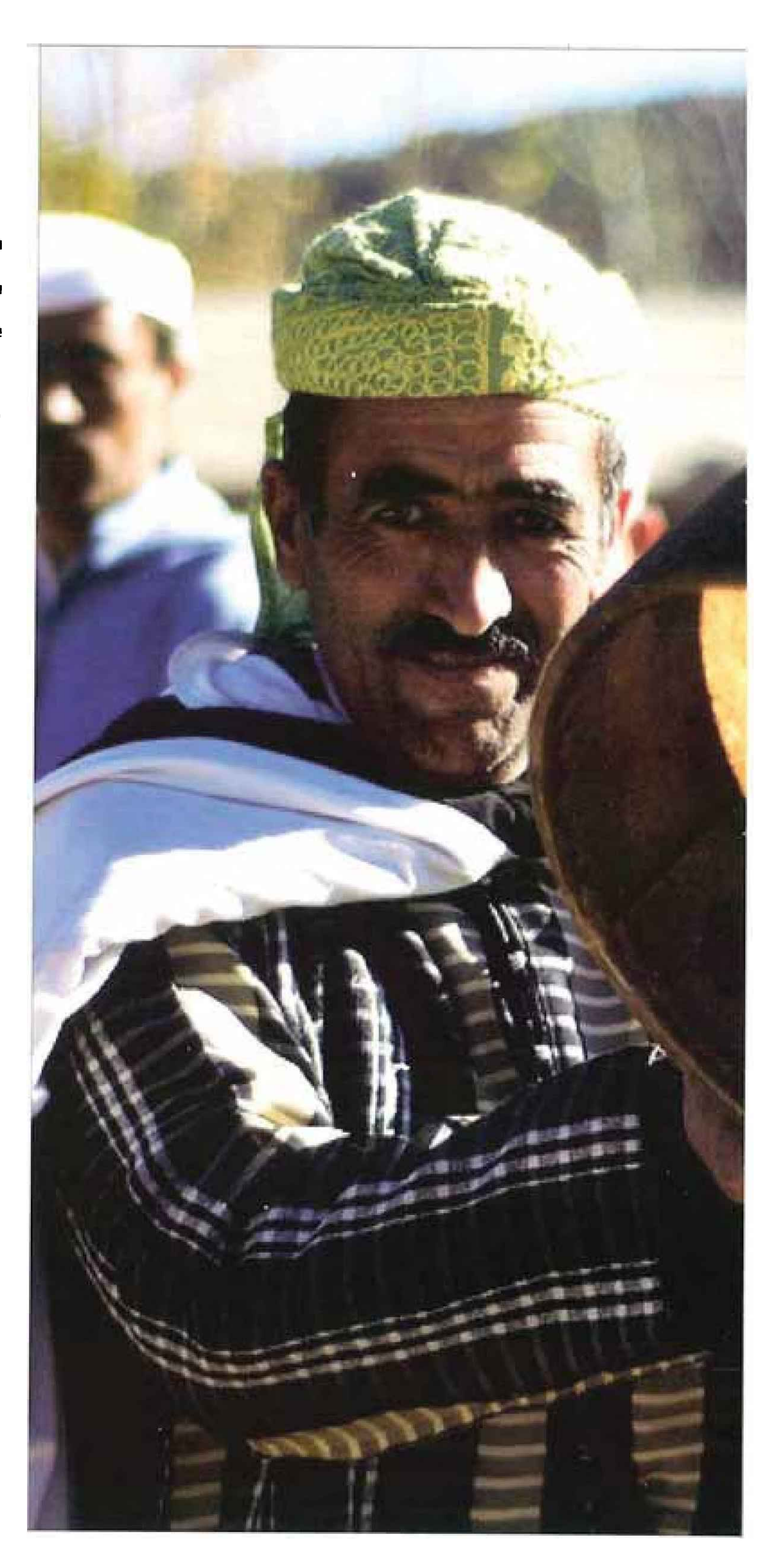
المراجع

(١) مذكرات فوزي القاوقجي، تقديم وإعداد: د. خيرية قاسمية، دمشق: دار النمير، ١٩٩٥م، ص١٥٩، ١٦٠.
(٢) مذكرات فوزي القاوقجي، ص١٦١.
(٣) مذكرات فوزي القاوقجي، ص١٦١.
(٤) مذكرات فوزي القاوقجي، ص١٦٢.
(٥) مذكرات فوزي القاوقجي، ص١٦٢.
(٦) مذكرات فوزي القاوقجي، ص١٦٤.
(٧) مذكرات فوزي القاوقجي، ص١٦٤.
(٨) مذكرات فوزي القاوقجي، ص١٦٥.
(٩) مذكرات فوزي القاوقجي، ص١٧٠.
(١٠) مذكرات فوزي القاوقجي، ص١٧٠.
(١١) مذكرات فوزي القاوقجي، ص١٧١.
(١٢) مذكرات فوزي القاوقجي، ص١٧١.
(١٣) مذكرات فوزي القاوقجي، ص١٧١.



إيفران.. مدينة خضراء في قلب الأطلس المغربي

حميد الأبيض
فاس - المغرب



إيفران مدينة مغربية تعيش دائماً ربيعها وسط كلّ فصولها، تتحدى قسوة الطبيعة لتبتهج بكل ألوان زرقة السماء وبياض الثلوج، ورماديات الشتاء وألوان لا تُحصى في مدينة وديعة وهادئة في قلب الأطلس المتوسط، سمّوها (سويسرا المغرب)، و(تورتيت): أي: الحديقة الدائمة الاخضرار، عربون طبيعة أخّاذة بجمالها.

عين زائر إيفران تجد لها متعة التباهي، وحساً جمالياً يرقى بالروح إلى ذوق سام ومعنى في هذه المدينة التي لها جذور تاريخية تتغذاها من غاباتُ الأرز وجبالها الشامخة، وشلالات وينابيع وضايات، ومهرجانات استلهمت أصالتها من الطبيعة والتاريخ ولون الكلمة، لمنح المتلقي حرية التمتع ببصمة تعبيرية راقية.

ما أحلى إيفران.. وجمالو

لم يخطئ المطرب المغربي إبراهيم العلمي حين شدا بصوته الطروب أغنيته المشهورة (ما أحلى إيفران، وما أحلى جمالو)، التي أبرز فيها مكانة هذه المدينة الخضراء في قلوب المغاربة، وما تزخر به من طقس وثروات طبيعية ومؤهلات سياحية تجعل منها قبلة السياح المغاربة والأجانب في الصيف والشتاء.

في عام ١٩٢٨م اكتشف المقيم العام الفرنسي إيريك لابون هذه المدينة الوديعة الواقعة على مساحة ٣٩٧٥كم مربع من إقليمي صفرو والحاجب شمالاً إلى إخنيفرة جنوباً، ومن بولمان شرقاً إلى إخنيفرة غرباً، في الوسط الشمالي المغربي على بعد نحو ٢٠٠كم شمال شرق العاصمة الرباط.

تتميّز إيفران بجمالها وغناها ببيئات بيولوجية مهمة ساهمت في تطوير الصخور الأم وتنوّعها من عصور جيولوجية مختلفة، يخصّ العارفون بخباياها بالذكر منها -البازالت سمة العصر الرباعي، والصلصال الأحمر والرمادي من العصر الثلاثي، والشيست البدائي، إضافةً إلى صخور الألوفية والكلوفية وغاباتها وروافدها المائية.

ويبقى طقس إيفران الجبلي، ومناخها المتوسطي ذو الشتاء القارس والصيف الرطب، أكبر مشجّع للوافدين عليها ممّن تستهويهم تلك الأجواء، ويفضلونها على البحر وشواطئه.

إضافةً إلى التدرج البيومناخي الذي يراوح بين شبه الجاف والرطب، والناتج من الاختلاف في العلو والارتفاع والتمايزات المهمة بين الجبل والسهل.

إيفران.. مدينة ملكية

يحلو لبعض الناس نعت مدينة إيفران بـ(المدينة الملكية) أو (مدينة الملتقيات والقرارات التاريخية)؛ بسبب الاهتمام الذي أولاه لها الملك الراحل الحسن الثاني منذ أن أصبحت مقراً للعمالة بظهير ملكي صادر في ١٨ سبتمبر عام ١٩٧٩م. هذا الاهتمام الملكي جاء بعد نحو خمسة عقود من تدشين الاستعمار الفرنسي المدينة بمرسوم وزاري في ١٦ سبتمبر عام ١٩٢٩م. قبل أن تتم ترقيتها إلى السلم البلدي في يوم ١٤ يناير عام ١٩٤٧م، قبل نحو ٨ أعوام من استقلال المغرب.

واحتضنت المدينة عدة ملتقيات دولية على عهد الملك الراحل، خصوصاً جامعتها (جامعة الأخوين) الواقعة عند مدخلها الشمالي، والمسماة بهذا الاسم تيمّناً بالعلاقة التاريخية التي ربطت ملكي المغرب والسعودية.

وكانت إيفران دوماً المدينة المفضّلة للملك الراحل الحسن الثاني للاستجمام والراحة واستقبال الضيوف؛ مما جعله يولي تنميتها وتهيئتها اهتماماً خاصاً تواصل قبل ١٢ عاماً مع عهد الملك محمد السادس.

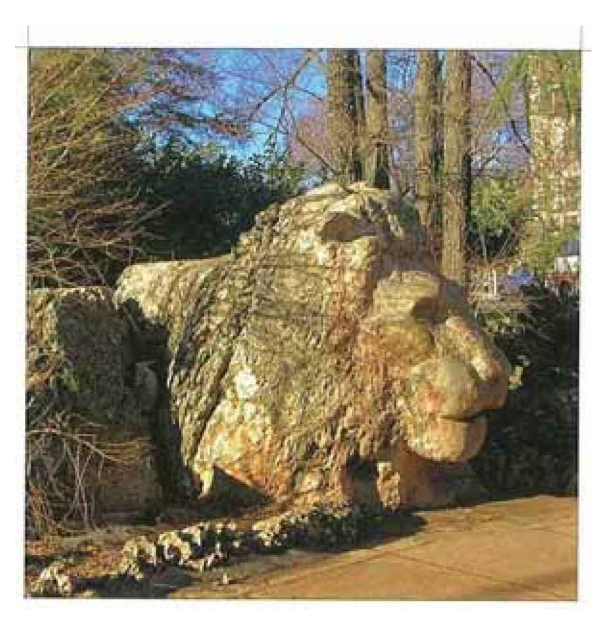
الطبيعة.. ثراء سياحي في إيفران

قبلة سياحية لا بديل عنها

توفر إيفران على عدة مناطق متميّزة بغنى مؤهلاتها



كانت إيفران دوماً المدينة المفضّلة للملك الراحل الحسن الثاني للاستجمام والراحة واستقبال الضيوف؛ مما جعله يولي تنميتها وتهيئتها اهتماماً خاصاً



تمثال أسد إيفران الشهير

السياحية، خصوصاً رأس الماء، وخرزوزة، وعين فيتال، والبحيرة الاصطناعية، وميشلفين، وضاية عوا، وأزرو، ووادي إيفران، وعين اللوح، وبنصميم، وتيزكيت، التي تشكّل عناوين جذب في كلّ الفصول، ومصدر إنعاش مدخول سكانها المعتمدين في حياتهم على الفلاحة والسياحة.

يجد الزائر ما يمتّع نظره في كلّ بقعة بإيفران، خصوصاً في زاوية وادي إيفران، وقريتها، وشلالاتها، ومدينة عين اللوح الجبلية، ومهرجانها الوطني في فنّ أحيدوس الأمازيغي، المتميّز دولياً، الذي ينظّم في أغسطس من كل عام، وتصوّف زواياها لإعلاء سمو الروح، خصوصاً في سيدي المخفي، وسيدي عبدالسلام.

بينابيعها المختلفة في بنصميم وضايات أمناس وحشلاف ويفرح ويفر وعوا، وبأسدها القابع وسط هذه المدينة الجميلة.

زوّار إيفران يستهويهم تمثال الأسد وزئيره الخافت على غرار تلهّفهم لاكتشاف ما تزخر به من مناظر خلابة تستحقّ التفقّد والزيارة، خصوصاً في عين فيتال

ومحطة التزحلق على الثلج التي تعدّ أول محطة من نوعها في المغرب، وعيونها، وبحيراتها، وغاباتها؛ تقف إيفران شامخة بسمعتها السياحية المهمة التي جعلت منها قبلةً لا بديل عنها.

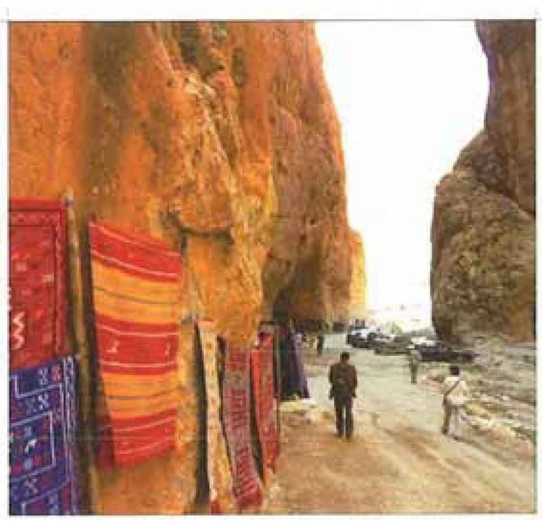
وإضافةً إلى ما تزخر به من كهوف، خصوصاً في منطقة تزكيت، فالمخيمات الصيفية التي تستقطب الآلاف من المستفيدين سنوياً، خصوصاً في مناطق بنصميم ورأس الماء وخرزوزة، ومخيمات الأعمال الاجتماعية لمختلف القطاعات الحكومية، تؤدي دوراً سياحياً مهماً وأساسياً زاد من شهرة إيفران.

مواقع تستحق الزيارة

تعدّ زاوية وادي إيفران الواقعة على الطريق الرابطة بين جماعة وادي إيفران ومدينة مريرت على بعد نحو ٢٠كم من واد إيفران من أهم المواقع السياحية، ويتميز هذا الوادي باحتضانه أكبر شلال مائي في إيفران، وتحدّر قاطنيه من الشرفاء العلويين، وما يتخلّل مصبّ النهر من مواقع جبلية وغابوية جميلة، وتوفّره على سمك التروتة، وهذا الموقع يتوفّر على مأوى واحد، في ظلّ خصوصية في تسويقه، عكس ما عليه الحال بالنسبة إلى ضاية عوا والبحيرات الخمس التابعة لها، خصوصاً ضايات أحشلاف وإيفر وإيفراح، المتميزة بكونها من المناطق الرطبة المعروفة بمنتجاتها الاقتصادية والفلاحية الوافرة، خصوصاً التفاح وتربية الدواجن.

وتنال هذه المناطق حصة الأسد من زيارات الميسورين ومحدودي الدخل مع أنها مجرد نقطة عبور في اتجاه مدينة إيفران؛ إذ يعدّ وادي تيزكيت وعين فيتال وشلال العذراء وموقع الأسد أهم المزارات التي تسجّل أرقاماً قياسية خلال الصيف، فيما تعدّ منطقة ميشلفين من أهم مواقع التزحلق المتد نشاطها أخيراً ليشمل مجال تسلّق أشجار الأرز، خصوصاً ضمن مهرجان تورتيت الثقافي.

وتعدّ منطقة مودمام من المناطق الداخلة في إطار المتنزه الوطني في إيفران، وتحظى بدورها باهتمام زوّار المنطقة لمعاينة القردة المتجمعة، ولاحتضانها دار الأرز التي ستكون على شكل متحف للتنوع البيولوجي والطبيعي في منطقة



صخور إيفران من عناصر جمالها

الأطلس المتوسط؛ بسبب موقعها المهم عند مفترق الطرق بين الطريق الرئيسة رقم ١٣، والطريق الثانوية المؤدية إلى ضاية أفنور عبر ممر الأرزنة.

وتمتاز عين كحلا بتوافر كمية هائلة من أشجار الأرز والاستغلاليات الغابوية، شأنها شأن شجرة كورو؛ إذ يحبّذ بعض الناس زيارتها لتفقّد حال هذه الشجرة، والاستمتاع بلحظات مع القردة، وعين أجعبون البعيدة بخمسة كيلومترات من منطقة عين اللوح الموجود فيها منتجع سياحي.

وتقع بحيرة ويوان في قمر جبل، ويقصدها المصطافون من المنطقة وخارجها، وتُعرف بدورها بصيد السمك والصيد البري، وتعدّ من المزارات المحبّذة لدى الميسورين، شأنها شأن قيساريت الموجودة على الطريق إلى تلك البحيرة؛ لتوفّرها على محطة لتربية صنف خاصّ من الغزال المجلوب من كندا.



يحظى تمثال الأسد القابع في شموخ بقلب إيفران بأكبر اهتمام من زوّار المدينة الملايين الذين أخذوا صوراً تذكارية بالقرب من هذا التمثال منذ إحداثه قبل أكثر من سبعة عقود خلت

غورو.. شجرة عمرها ثمانية قرون

في ذلك الموقع الغابوي الجميل غير البعيد من منطقة أزرو الساحرة تقف شجرة لا ككلّ أشجار الأرز في العالم، شامخة لم تنل من إشعاعها السنوات الخوالي، اسمها شجرة (غورو): نسبةً إلى مكتشفها، وهي معروفة في كل ربوع المغرب وخارجه؛ مما يجعلها مزاراً سياحياً مفضلاً لمئات السياح والزوار المغاربة.

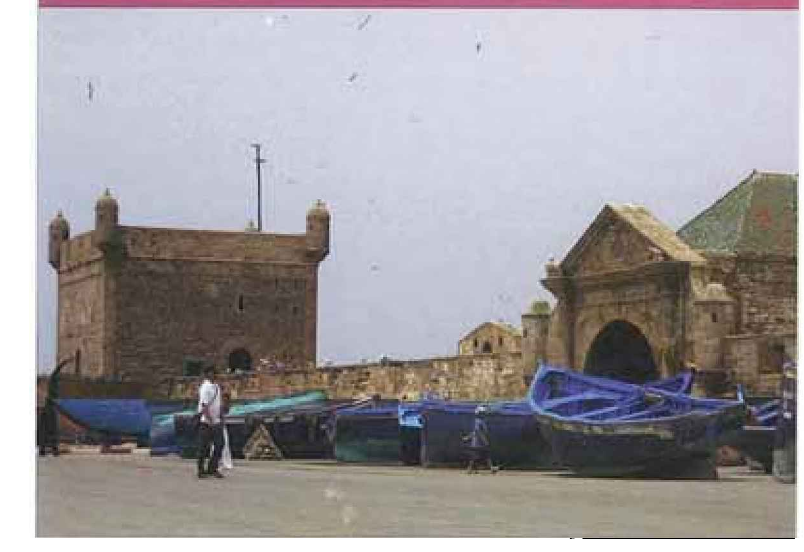
من هذه الشجرة الضاربة جذورها في عمق التاريخ، ومن سمعتها ووجود القردة في الموقع، ومن أعمال موسمية مرتبطة بها، يقتات عشرات الشباب والأطفال والكهول، إما من بيع الكاوكاو؛ الفاكهة اليابسة التي يفضّل الزوار كسب ودّ القردة بها، وإما من كراء الدوابّ، وإما من الاتّجار في بعض الصناعات التقليدية المحلية.

الشجرة الخالدة توجد في تراب جماعة بن صميم، التي يفوق عمرها الثمانية قرون، وتمتد على طول كبير على شكل يد معافة، على بعد ١٣كم ونحو نصف ساعة من الطريق شمال الطريق بين أزرو وإيفران على بعد نحو كيلومترين من الأولى؛ إذ تضفي أشجار الأرز جماليةً قلّ نظيرها على جبال شاهقة.

وبحسب روايات السكان، التي تبقى بعيدة التصديق، فـ(غورو) الذي سُمّيت باسمه الشجرة التي تعدّ أقدم وأكبر شجرة في القارة السمراء، هو جنرال فرنسي بيد واحدة، هاجمه (الطليان) قبل ثمانية قرون و٢٠ سنة بعد فرار جيشه وخوفهم من العدو، فلم يجد سوى هذه الشجرة للاحتماء بها، وهذا سرّ شكلها في نظرهم: مما يعدّ شيئاً لا يمكن تصديقه بالعودة إلى كتب التاريخ والبحث فيما إذا كانت حرباً قد اندلعت في المنطقة بين الفرنسيين والإيطاليين.

وأكثر من ذلك يؤكّد سكانها أن أسد الأطلس الذي اندثر من المنطقة في النصف الأول من الستينيات بعد نقل آخر أسد إلى تمارة هو من حال دون وصول الجيش الإيطالي إلى غورو وشجرته التي يبست قبل ست سنوات خلت على إثر أشغال باشرها المكتب الوطني للماء الصالح للشرب لحفر بئر، وكانت موضوع دراسة من باحثين أمريكيين قبل نحو سنتين.

مشروع محطة إيفران السياحية المندمجة أحد أهم ثماني محطات سياحية مبرمجة ضمن مخطط (بلادي)، الرامي إلى الارتقاء بالسياحة



أسد شامخ وأرقام زيارة قياسية

يكاد يحظى تمثال الأسد القابع في شموخ بقلب إيفران بأكبر اهتمام من زوّار هذه المدينة الخضراء، ملايين الزوّار أخذوا صوراً تذكارية بالقرب من هذا التمثال منذ إحداثه قبل أكثر من سبعة عقود خلت، بل «ما من أحد زار المدينة ولم يأخذ صورة تذكارية بجانبه تؤرّخ رحلته»، إلى حدّ يجعله أهلاً لدخول صفحات موسوعة جينيس للأرقام القياسية من بابها الواسع من دون استئذان.

يجثم (أسد الأطلس) في وسط حديقة بمركز المدينة، وهو صخرة منحوتة كان من ورائها هنري جان مورو - مدرّس الفنون التشكيلية في الرباط - وأنجزه عام ١٩٣٠م بمساعدة مجموعة من المساجين الألمان.

زوّار إيفران يستهويهم تمثال الأسد وزئيره الخافت على غرار تلهّفهم لاكتشاف ما تزخر به من مناظر خلابة تستحقّ التفقّد والزيارة، خصوصاً في عين فيتال التي أعيدت هيكلة منبعها ومحيطه بشكل أعادها إلى طبيعتها الخلابة، إضافة إلى البحيرة القابعة في وسط المدينة، وكلّ ما يحيط بها من غابات الأرز والصنوبر وكثير من الأشجار النادرة الوجود التي تعدّ بحقّ من أهم الخصوصيات البيئية للمدينة، وتجعل منها «جنة خضراء لا تذبل على مدار الفصول والأزمنة».

عدة مآثر ومواقع سياحية تتوفّر عليها مدينة إيفران وتشتهر بها، تضحي على مدار الفصول، خصوصاً في الصيف، قبلة لآلاف الزوار من مختلف ربوع الوطن ومن خارج حدوده، لكن يبقى تمثال الأسد «المعلم الذي لا يفوّت أيّ أحد من الزوار الفرصة دون تفقّده، أو على الأقلّ أخذ صورة تذكارية بجانبه».

هدوء لوزان المغرب

هدوء (لوزان المغرب) - كما يحلو لبعض الناس نعتها - يستهوي كثيراً من المغاربة والأجانب؛ إذ يضرب الإقبال عليها أرقاماً قياسية، خصوصاً في يوليو وأغسطس، بينما تتفاوت حظوظ بعض المزارات بشكل يفرز صنفين من الزوار، بعضهم أغنياء يبحثون عن مواقع خاصة جداً، وآخرون لا حول لهم غير الانصهار مع بقية الناس البسطاء.

هذه الحقيقة يثبتها عزيز فلاحي - المهتم بالمجال





السياحي في إيفران - في حديثه عن فنادق بغرف من الطراز العالي قد يقدّر ثمن حجزها بآلاف الدراهم المغربية، متحدثاً عن تنامي قطاع المأوي الجبلية في الإقليم بشكل يجعله من أهم المناطق المصنفة في إطار اتفاقية (رمسار) الخاصة بالمناطق المصنفة عالمياً. وأكد فلاحي وجود تطور مهم في مجال المأوي، وميلها إلى السياحة النظيفة، على عكس ما كانت عليه في أوقات سابقة. وأشار فلاحي إلى تطوّر البنية التحتية مع تطبيق مشروع (بلادي)، وبناء أكاديمية محمد السادس لألعاب القوى، ووجود جامعة الأخوين، مؤكداً أن إقليم إيفران يتوفّر على مؤهلات يمكن أن تجعله (قطباً سياحياً)، خصوصاً في مجال السياحة الجبلية والبيئية.

عدد وافر من المنشآت السياحية

تشير أرقام المندوبية الإقليمية للسياحة في إيفران إلى وجود ١٧ فندقاً مصنّفاً بطاقة استيعابية تقدر بـ١٢٩٠ سريراً، مقابل عدد مماثل من الفنادق غير المصنفة بطاقة ٣٧٧ سريراً. وأكدت أن شهر أغسطس هو أكثر أشهر السنة تسجيلاً لليالي المبيت بنحو ١١٣٦٤ ليلة، مقابل ٨٤٣٧ ليلة مسجّلة خلال شهر يناير.



تنشيط ثقافي لإقلاع سياحي

كان لإنشاء المهرجان الدولي تورتيت، الذي يبلغ دورته الخامسة خلال الصيف المقبل، دور في تشجيع السياحة في إيفران؛ بسبب أهميته في تحقيق الرواج التجاري والسياحي الضروري، وتعريفه بنفائس المدينة وما تنتجه من خيم ومنتجات تقليدية ومواد عطرية وتجميلية، خصوصاً في بنصميم وعين اللوح، لكن ذلك يحتاج إلى مزيد من التسويق، خصوصاً على المستوى الدولي.

ويتحول إقليم إيفران طوال شهري يوليو وأغسطس من كلّ عام إلى قبلة ثقافية وفنية بامتياز؛ لاحتضانه خمسة مهرجانات في أربعة مواقع مختلفة، تتوخى جميعها إبراز مؤهلات الإقليم، وجعله نقطة جذب ثقافي، موازاةً مع الإقبال المتزايد عليه في هذا الفصل من الفارين من صهد صيف مدنهم وأقاليمهم وقراهم، والباحثين عن تنشيط وازن وفضاءات طبيعية تنعش أجسامهم.

من بحيرة ضاية عوا ومهرجان البحيرات في محطته الرابعة ستكون الانطلاقة، على أن تفتح أزرو أذرعها لاحتضان زوّار ثاني مهرجان ثقافي لها، يعقبه مباشرة مهرجانا تورتيت والفيلم العربي القصير المتوحّدان في تظاهرة واحدة تحتضنها إيفران وأزرو بشكل متواز، على أن يكون مهرجان عين اللوح خاتمة تنشيط ثقافي تحتاج إليه مدينة تنشط شرايينها الثقافية كل صيف.

متحدثة عن ٦٦٥٠٩ ليلات مسجّلة خلال سنة ٢٠١٠م.

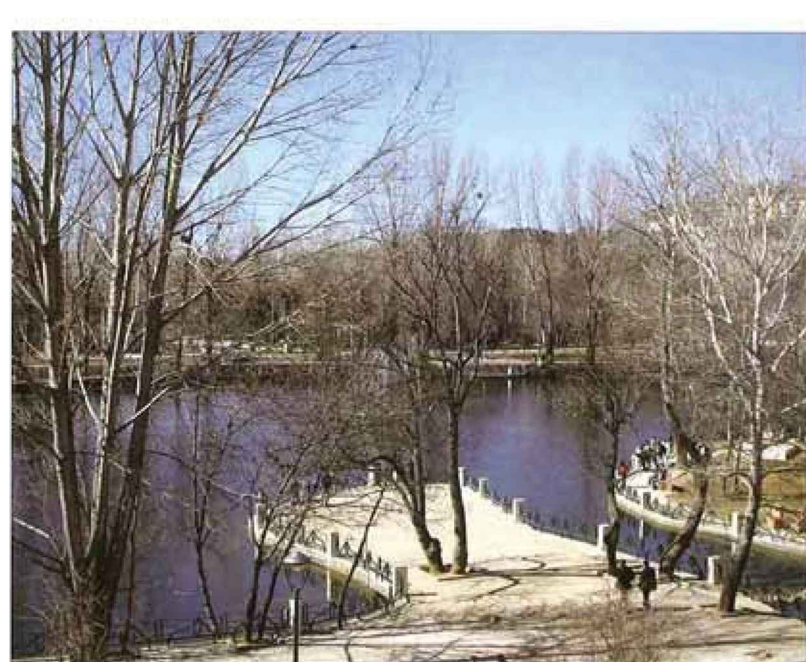
تلك الأرقام لا تميّز بين الموجّه منها إلى السياحة الجبلية وغيرها، وبين نسب الزيارة في كلّ موقع على حدة، وبين طبقات السياح الوافدين الذين يرتفع عددهم بشكل كبير جداً خلال نهاية الأسبوع إلى درجة استحالة العثور على مأوى في كثير الأحيان، خصوصاً خلال انعقاد المهرجان الدولي تورتيت، المولود الثقافي المُراهن عليه لمزيد من تسويق الصورة السياحية للإقليم.

ويقول عزيز فلاحي: إذا استغلّت هذه المعطيات بالشكل الأكمل ستجعل إقليم إيفران يضاهي كبرى المناطق العالمية المهمة في مجال السياحة الجبلية والبيئية من قبيل هولندا وسويسرا وكندا وتركيا واليونان، خصوصاً بالنظر إلى تنوّع المؤهلات والطاقات السياحية والمنتجات المحلية التي تساهم في تثمين الموروث الثقافي المحلي من قبيل إنتاج خيمة الأطلس المتوسط.

محطة إيفران السياحية المندمجة

يعدّ مشروع محطة إيفران السياحية المندمجة أحد أهم ثماني محطات سياحية مبرمجة ضمن مخطط (بلادي)، الرامي إلى الارتقاء بالسياحة الداخلية بثمانية مدن مغربية، ويروم توفير عرض إيوائي ملائم لحاجات الأسر المغربية بطاقة استيعاب إجمالية تقدر بنحو ٥٧٦٤ سريراً، منها ٣٥٢ سريراً في تسع إقامات فندقية عمودية، وعدد مماثل من الأسرة في ١٥ إقامة فندقية أفقية، و١٠٦٨ سريراً في ١٤ إقامة سياحية، وأربعة آلاف سرير في مخيم دولي، وتشكّل المخيمات المبرمجة طبقاً لمعايير الجودة العالمية ٥١٪ من مجموع الأسرّة المنتظر توفيرها، مقابل ٣٠٪ للشقق السياحية، و١٩٪ للإيواء الفندقي.

ولم يغفل المشروع، الذي يعدّ أول مشروع سياحي من مخطط (بلادي)، المقام على مساحة ٤٠ هكتاراً و٦٧ آراً في أرض سلالية بمنطقة أيت الطالب سعيد، إقامة مجمع ومحلات تجارية وقاعات للسينما ومطاعم ومرافق خدماتية وأخرى ترفيهية مميزة. وسيتيح المشروع المنجز بغلاف مالي يقدر بـ٣٥٨ مليون سنتيم في إطار الاتفاقية المبرمة بين الحكومة المغربية والشركة المغربية الكويتية للتنمية في ١٨ إبريل عام ٢٠٠٨م إنجاز أول نادٍ مغلق للتزلج على الجليد في القارة الإفريقية، وصالة لممارسة رياضة البولينج، وملاعب متعددة لممارسة رياضات التنس وكرة اليد، ومرافق رياضية أخرى، ومجموعة من المسابح المغطاة والمكشوفة. وينتظر أن يساهم في توفير منتج سياحي وسكني ومرافق ترفيهية متنوعة، ورفع طاقة الإيواء بما ينسجم مع جمال إيفران المميزة بالمناظر الطبيعية الخلابة، وجعلها مقصداً سياحياً ترفيهياً على مدار السنة. وفازت مجموعة cmkd، التي تعدّ من الشركات السباقة إلى الاستثمار في القطاع السياحي بمشروع تجهيز هذه المحطة وتطويرها في إطار (مخطط بلادي) الرامي إلى النهوض بالسياحة الداخلية عبر إنشاء ٨ محطات سياحية مندمجة جديدة في مختلف أنحاء المغرب، مواكبةً لمساعي الحكومة الهادفة إلى رواج السياحة الداخلية لتحقيق إقبال محلي يتجاوز ٩ ملايين إقامة ليلية خلال عام ٢٠١٢م من خلال منتج سياحي يتيح الفرصة لمتوسطي الدخل من الأسر المغربية.



بنت

جمايكا كنسيد(*)

ترجمة: محجوب عباس

الرياض – السعودية

اغسلي الملابس البيضاء يوم الاثنين دائماً، وانشريها على كومة الحجارة لتجف. اتركي الملابس الملونة ليوم الثلاثاء، ثم علّقيها على حبل الغسيل. إياك أن تمشي حافية القدمين عند اشتداد حرارة الشمس. وعند إعداد الشوربة أو كفتة القرع تجنّبي الزيوت المحلاة. الملابس الداخلية صغيرة الحجم تنقع فور خلعها. وعند شراء أيّ قماش قطني لصنع بلوزة لطيفة لنفسك تأكّدي من خلوّ القماش من العلكة، والا تهلهلت البلوزة بعد الغسل أو عند الكيّ مباشرةً. تناولي طعامك بشكل لائق؛ حتى لا يثير اضطراباً معوياً للآخرين. واعلمي أن أفضل طريقة لإعداد السمك المملّح هي نقعه في الماء ليلاً قبل طبخه في اليوم التالي.

وخلال عطلة نهاية الأسبوع، حاولي المشي كالنساء المحترمات، لا النساء الفاجرات اللاتي تشمرين بجاذبية نحوهن. وعندما تمشين في الأسواق والميادين العامة حاذري التحدث مع أيّ صبيّ، حتى لو كان تائهاً يسأل عن بعض إرشادات الطريق. والأهم من ذلك ألاّ تأكلي الفاكهة عندما تسيرين؛ حتى لا يتحلّق الذباب حول رأسك، ويتبعك أينما اتّجهت. هكذا تثبتين زراً قديماً أو جديداً، وتصنعين له ثقباً مناسباً. هكذا تشرعين في تعديل الكُمّين والكَفّين المتهدلين. والا بدوت مثل أولئك النساء الفاجرات المستهترات اللاتي ترغبين – كما أعرف – أن تكوني إحداهن. هذا الأمر هو ما ينبغي فعله عند كيّ قميص والدك الرمادي؛ حتى لا يتغضّن. وهكذا تكوين سرواله الرمادي.

وعند زراعة البامية لا بد أن يكون الحوض بعيداً من المنزل؛ لأن شجرة البامية لها موهبة فذة في استدراج النمل الأحمر. أما الداشين، فيغمر بمياه كافية في أثناء النمو، والا ستشعرين بشيء كالأكلان في جوف الحلق عندما يصبح جاهزاً للقطف والطبخ والأكل. هكذا تنظّفين الأركان المصيبة، هكذا تنظّفين الغرف، هكذا تنظّفين البيت كله بقضه وقضيضه. هكذا تبتسمين لشخص لا يعجبك كثيراً، هكذا تبتسمين لشخص لا يُطاق، وتبتسمين هكذا لشخص سمح النفس والسجايا، أو من كان حبك له بلا ضفاف. سفرة العشاء تعدّ على هذا النحو، وهكذا تعدّينها في وجود ضيف مهم. هكذا ترتّبين سفرة الغداء، وسفرة الإفطار، وسفرة الشاي. واذا كنت بين أناس لا تعرفينهم ظاهراً وباطناً فتصرّفي هكذا، والا سيكتشفون صحة نصائحي لك بمقاومة نزعتك الخفية للتأسّي بالنساء الفاجرات وصديقات السوء.

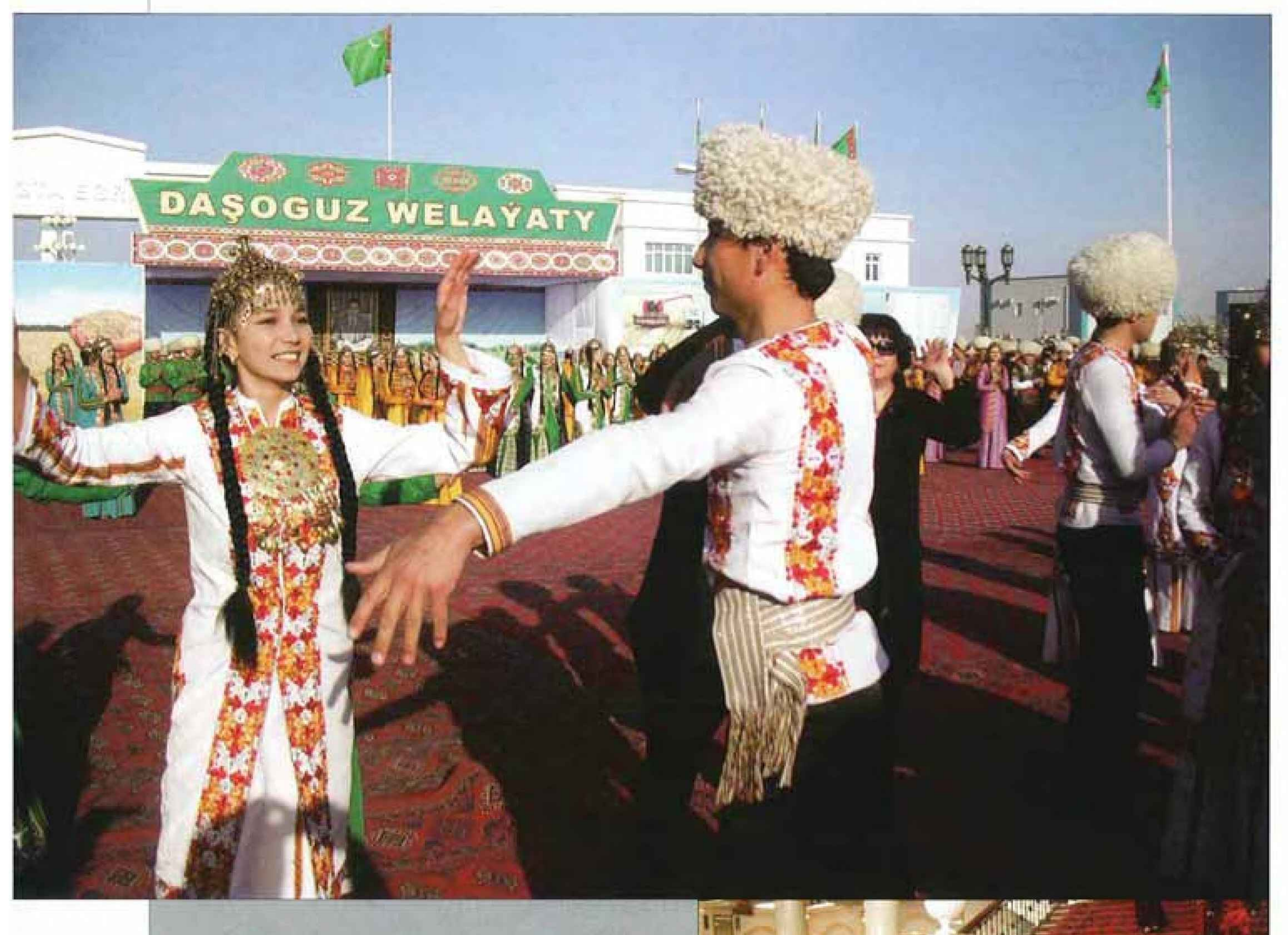
احرصي على نظافة جسمك يومياً؛ حتى لو اضطررت إلى استخدام اللعاب. لا تلتقطي الأشياء الواقعة في قارعة الطريق؛ لأنها تنقل ما لا يُحصى من الأمراض المعدية. كما لا ينبغي للبنت أن تنحني كالأولاد لرفع زهرة من الأرض أو لدى مزاولة لعبة ماربلز. لا ترمي الطائر الأسود بالحجارة؛ فقد لا يكون طائراً، ولا أسود، ولا الاثنين معاً. هكذا تعدّين حلوى الخبز. أما جرّة البهارات فتصنع هكذا. بهذه الطريقة تركّبين علاجاً ناجعاً لنزلات البرد. وهكذا نصنع أدوية للتخلص من الجنين حتى قبل

أن يصبح جنيناً. هكذا تصطادين الأسماك. أما الأسماك التي تنفرين منها فتُعاد إلى الماء هكذا؛ حتى لا يصيبك مكروه. هكذا تتمرّين على الرجال، بينما يتمرّون عليك بالأسلوب ذاته. هكذا يكون الحبّ. وإذا لم تنجح هذه الطريقة فهناك طرائق لا حصر لها. وإذا أخفقت هذه بدورها فما عليك سوى الاستسلام، وتقبل هذا الوضع بصدر رحب من دون أيّ إحساس بالمرارة.

هكذا تبصقين إلى فوق، وهكذا تتحرّكين برشاقة حتى لا ينزل البصاق على كتفك أو رأسك أو ظهرك. هذه هي الطريقة المثلى لتدبّر الأمور؛ فعلى سبيل المثال: عندما تشترين خبزاً اضغطي على كل حبة بأصابعك للتأكد من أنه طازج وليس خبز اليوم السابق. لكن ماذا أفعل إذا منعني الخبّاز من ذلك؟. هل تلمحين إلى أنك ستصلين في نهاية المطاف إلى ذلك الدرك الذي يخوّل خبازاً بائساً تصنيفك ضمن النسوة غير الجديرات بالاقتراب من طاولة الخبز وملامسة الخبز بإصبع واحد أو اثنين؟!.

(*) وُلدت جمايكا كنسيد في جزر الأنديز عام ١٩٤٩م، وتعيش حالياً في نيويورك. ومع أنها هاجرت إلى أمريكا في سنّ مبكرة إلا أنها مهووسة تماماً بمسألة الهوية والجذور والأصول والمنابت، وقد عبّرت عن كلّ تلك الهموم في مجموعاتها القصصية ورواياتها، خصوصاً روايتي: في قاع النهر (١٩٨٤م)، ولوسي (١٩٩٠م).



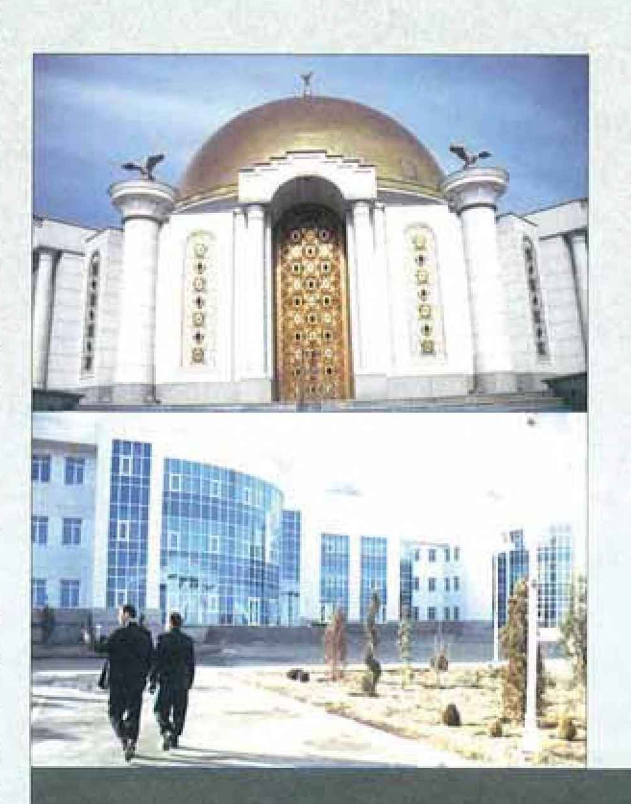


في حضرة الإمام جارالله الزمخشري المكي

عباس صالح طاشكندي
جدة – السعودية

احتفل التركمانيون في المدة التي بين الثالث والخامس من المحرم سنة ١٤٣٢هـ (١٠- ١٢ مارس/ آذار ٢٠١١م) بشاعرهم الكبير نور محمد عندليب، وذلك في مسقط رأسه بمدينة (داش أوجوز) شمال العاصمة (عشق أباد). وعلى بُعد ما يزيد على ألف كيلومتر منها.

وقد شرفت بحضور الاحتفال في معية الأستاذ الدكتور يحيى محمود بن جنيد الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ورئيس تحرير مجلة الفيصل الثقافية، والأستاذ عبدالله يوسف الكويليت نائب رئيس التحرير.



قبالة الواجهة الشرقية من سور زمخشر القديم يقع الضريح القائم حاليا للعلامة الزمخشري، ويبلغ طول ارتفاع مبناه قرابة خمسة عشر مترا

أطلال زمخشر

تقع أطلال قرية زمخشر التاريخية وبقايا سورها، وقلعتها الشهيرة بالقرب من مدينة (داش أوجوز)، الواقعة في إقليم خوارزم، وعلى بُعد أربعين كيلومتراً منها. فالمنطقة حالياً خالية من السكان ويُطبق عليها صمت رهيب، إلا من صرير الرياح الباردة التي تضرب بقايا السور الطيني الكبير، الذي كان يلف زمخشر من أطرافها كافة.

يا له من منظر مهيب حين تقف على أطلال مدينة خالية، وقد كانت قبل ما يزيد على ألف عام، عامرة تعج بسكانها من العلماء والعامة.

ولك أن تتخيل مبانيها، وأزقتها، وأسواقها، ومدارسها في ذلك الزمان، بينما يمكنك أن تصيح من أعلى أسوارها، فلا مجيب إلا من رجع الصدى، وبقايا من رفات الأولين، رحمهم الله.

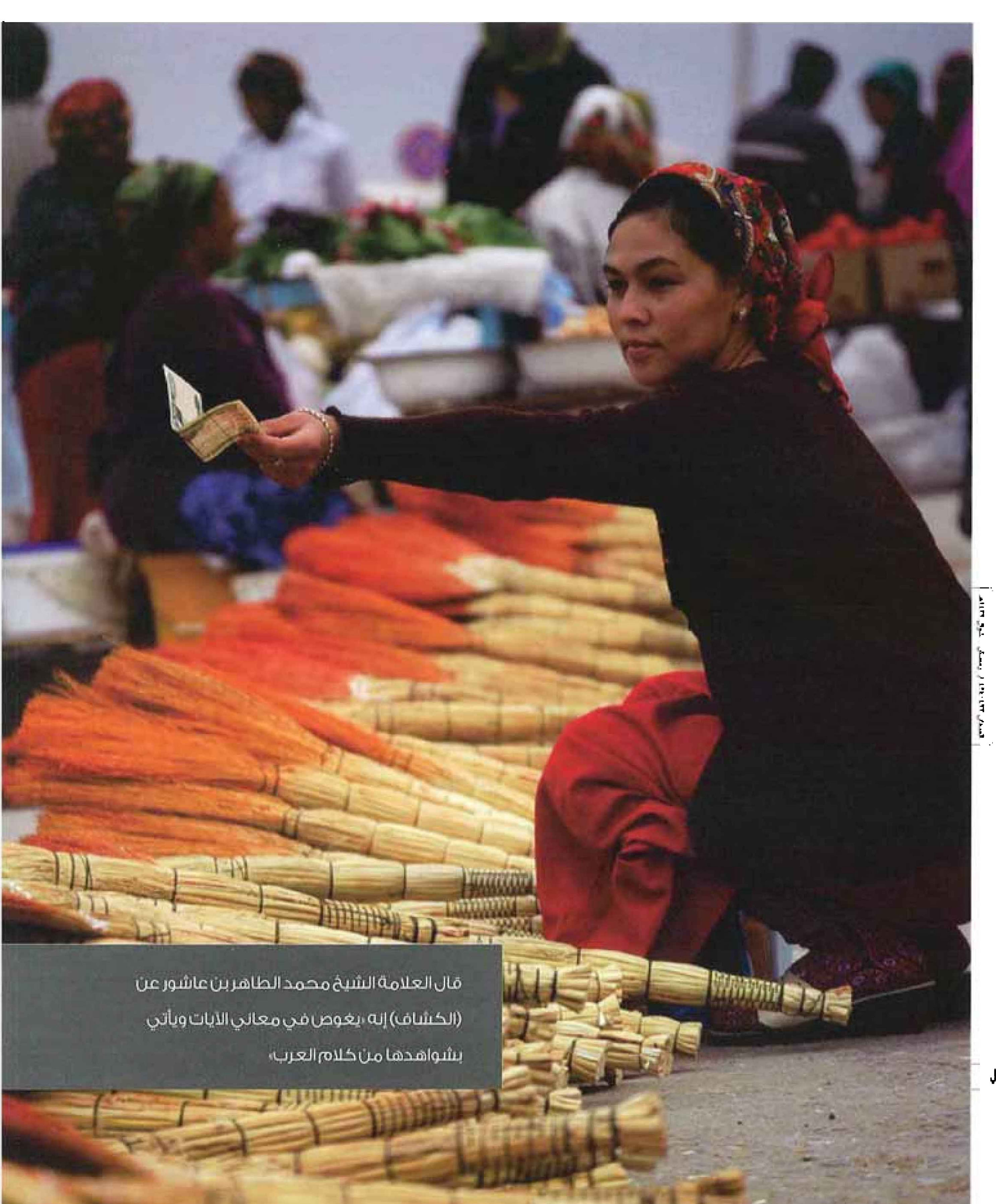
على مدخل أطلال زمخشر هناك ضريح كبير للإمام العالم أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري المكي، المولود سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م والمتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م في جورجانية خوارزم. وقد بني على طراز العمارة السلجوقية.

ذكر ابن بطوطة في رحلته المشرقية أنه رأى بخارج خوارزم قبراً للعلامة أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، وعليه قبة في قرية زمخشر بخوارزم.

زمخشر هي إحدى قرى خوارزم المحصنة بأسوار عالية، وكانت تقع في منطقة صحراوية، بردها قارس، وحرها لافح، وكان الماء يصل إليها عبر قنوات من نهر خوارزم الكبير.

كتب التاريخ والأماكن لا تذكر شيئاً عن أسباب شهرة زمخشر إلا انتساب العالم الكبير الزمخشري المكي إليها. يقول عنها: ياقوت الحموي في (معجم البلدان): «قرية جامعة في نواحي خوارزم، إليها ينسب أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري النحوي الأديب». كما ذكرها ابن كثير في (البداية والنهاية) وغيرهما، ممن أحاطا بالأماكن والبلدان.

وقد اندثرت زمخشر منذ حقب، ولم يبق منها في الوقت الحاضر إلا أطلال سورها القديم، الذي يرتفع عن الأرض قرابة عشرة أمتار أو تزيد، ولكنه في بعض أجزائه ما زال متماسكاً على الرغم من السنوات الطويلة التي مرت على بنائه، قاوم خلالها



قال العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عن (الكشاف) إنه «يغوص في معاني الآيات ويأتي بشواهدها من كلام العرب»



أسماء الفائزين

العدد المزدوج ٤١٧-٤١٨
الربيعان ١٤٣٢هـ

الفائز الأول: إلياس الهواري أحبايو - طنجة - المغرب.
الفائز الثاني: ماجدة حسن رضوان القوي - بورسعيد - مصر.
الفائز الثالث: سليمان فليح الغريب - عمان - الأردن.
الفائز الرابع: رشا علي الفقي - حلب - سورية.
الفائز الخامس: الحسن محمد إبراهيم آل حزيمي - أبها - السعودية.
الفائز السادس: جمال عبدالله - بنان - تونس.
الفائز السابع: عالية نور الدين فرحان - أبو ظبي - الإمارات.
الفائز الثامن: منى السيد قرني راشد - مدينة الشمال - قطر.

حل مسابقة

العدد المزدوج ٤١٧ - ٤١٨
الربيعان ١٤٣٢هـ

١- كلمة (أستاذ) تعني المعلّم، ويرجع أصلها إلى اللغة الفارسية.
٢- منشئ حدائق بابل المعلقة هو نبوخذ نصر.
٣- بيكاسو هو أول من رسم الحمام رمزاً للسلام.

CUT IT OUT

أسئلة مسابقة

العدد المزدوج ٤٢٣- ٤٢٤
رمضان - شوال ١٤٣٢هـ

١- من هو القائد العربي الذي فتح الصين؟

....

٢- ما أكبر خليج في العالم؟

....

٣- كم عدد عيون النحلة؟

....

الاسم: .... **المدينة:** .... **ص.ب:** .... **هاتف:** ....
العنوان: .... **الدولة:** .... **الرمز البريدي:** .... **ناسوخ:** ....

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة ثالثة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات الإخوة القراء المتابعين للمسابقة تمت زيادة قيمة الجوائز، بعد أن سبق مضاعفتها من قبل.

فقد تم رفع قيمة الجائزة الأولى من ١٠٠٠ ريال إلى ١٥٠٠ريال، والجائزة الثانية من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ريال، والجائزة الثالثة من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ ريال، والجائزة الرابعة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ريال، والجائزة الخامسة من ٢٥٠ ريالاً إلى ٣٥٠ ريالاً، والجائزة السادسة من ١٥٠ ريالاً إلى ٢٥٠ ريالاً، وتظل الجائزتان السابعة والثامنة على ما كانتا عليه.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



قسيمة اشتراك أفراد (مخفضة)



الاسم: ....

العنوان: ....

المدينة: ....

الدولة: ....

ص.ب: .... الرمز البريدي: .... هاتف: .... ناسوخ: ....

- قيمة الاشتراك السنوي لـ (١٢ عددًا) ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.
- ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصدق لأمر مجلة الفيصل الثقافية، أو يتم توريدها في حسابنا رقم (٠٠١ - ٠٥٥٥٠٥ - ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني، شارع العليا العام - الرياض. آيبان: ٥٠٠١ ٥٥٥٠ ٠٠٤٠ ٠٠٠٠ ٤٥٠٠ ASV٩
- يشترط إرفاق القسيمة مع طلب الاشتراك.

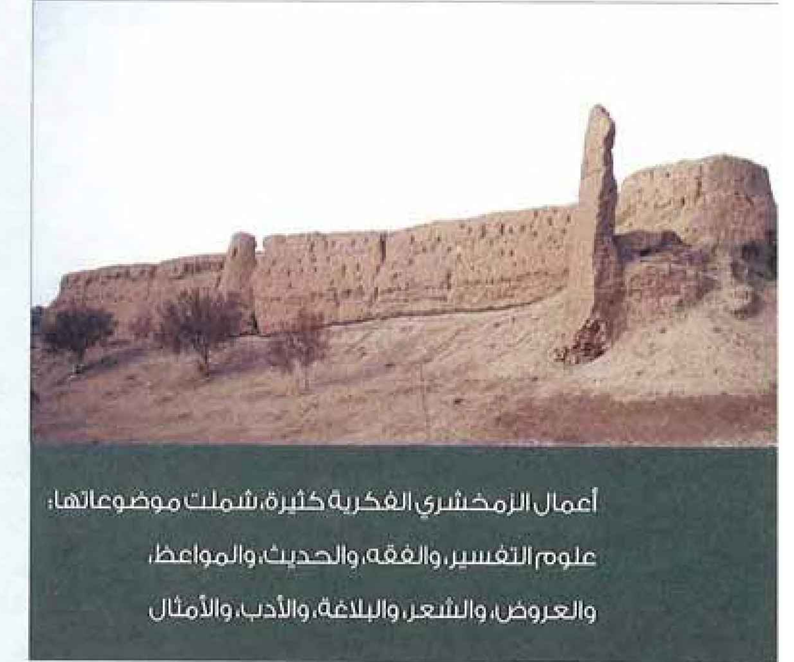
ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية - هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥/٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

أزماناً طويلة من الإهمال، استمرت حتى حكم السوفييت؛ فضلاً عن الظروف المناخية القاسية في المنطقة.

بعض أركان السور تبدو عليها آثار تحصينات ترتفع عن مستوى السور، وتشكل قلاعاً صغيرة لتحصين المدينة من الغزاة، كما يبدو أنه كان للسور عدة بوابات، لم يبق منها شيء، إلا ما يبدو من الفراغ الظاهر بين أجزاء السور، موحياً أنه كان هناك عدد من الأبواب.

ضريح الزمخشري

قبالة الواجهة الشرقية من السور، يقع الضريح القائم، حالياً، للعلامة الزمخشري. ويبلغ طول ارتفاع مبناه قرابة خمسة عشر متراً، والمبنى مربع الشكل، ضلعه نحو أربعة عشر متراً. وتبرز عن المبنى واجهته الأمامية، التي تضم مدخلاً به باب خشبي مزخرف، وتعلوه لوحة خضراء اللون، كتب عليها باللغتين التركية والروسية ما يدل على أن المبنى هو ضريح العلامة جارالله الزمشخري، وكتب عليها تاريخ مولده ووفاته.



أعمال الزمخشري الفكرية كثيرة، شملت موضوعاتها: علوم التفسير، والفقه، والحديث، والمواعظ، والعروض، والشعر، والبلاغة، والأدب، والأمثال

وللمبنى قَيِّمٌ يتولى العناية به، والقيام بتلاوة القرآن الكريم في أدبار الصلوات.

وهذا المبنى هو غير المبنى الذي ذكر ابن بطوطة في رحلته المشرقية أنه رأى قبراً خارج خوارزم للعلامة الزمخشري، وأشار إلى وجود قبة عليه، حيث لا تظهر في المبنى الحالي آثار قبة. ويبدو أنه قد أعيد بناؤه مرات، ثم قامت الحكومة التركمانية بإعادة ترميمه والعناية به كما يبدو من وضعه الحالي.

القرية الأثرية

أما قرية زمخشر المجاورة، والمحاطة بسياج، ولا يسمح بدخولها إلا بإذن رسمي من الدولة، فإنه لم يبق منها إلا سورها الكبير، وبقيت على ما كانت عليه من أطلال، ولا أثر لترميمات أو أعمال حفر أثرية في الوقت الحاضر. وربما تكشف الأيام المقبلات عن بقايا أثرية في تلك الأطلال البكر، إن تمكنت السلطات التركمانية من توجيه الاهتمام بالتنقيب والترميم والدراسة لهذه القرية الأثرية، التي صنفت من الآثار التاريخية.

وعوداً إلى سيرة الإمام العلامة أبي القاسم جارالله محمود بن عمر فخر خوارزم وجارالله الزمخشري المكي نجد أنه كان يمثل رابط اتصال مهم بين الثقافة الإسلامية في خوارزم، والثقافة العربية في مكة المكرمة، في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

عُرِفَ الزمخشري بكنية، هي: أبو القاسم، ويلقب فخر خوارزم، وجارالله. ولقب(فخر خوارزم) أطلقه هو على نفسه، وجاء في مقدمات كتبه. أما جارالله فقد أطلقه على نفسه في أثناء مجاورته مكة المكرمة، وكان يعتز بهذا اللقب أيما اعتزاز، وهل هنالك ما يسمو على شرف الجوار بمكة، وجوار بيت الله الحرام، والمشاعر المقدسة؟

وكان الزمخشري يتغنى بشرف الجوار حتى قبل مجيئه إلى مكة من خوارزم، إذ قال في ذلك شعراً:

قامت لتمنعني المسير تماضر
أنّى لها وغرار عزمي باترُ
سيري تماضر حيث شئت وحَدّثي
إني إلى بطحاء مكة سائر

حتى أنيخ وبين أطماري فتـــى
للكعبة البيت الحـرام مجـاورٌ
سأقيم ثَمَّ وثَمَّ تدفن أعظمـــي
ولسوف يبعثني هنـاك الحاشـرُ

رحل الزمخشري، مبكراً، من مسقط رأسه زمخشر، إلى بخارى دارساً، ومنها إلى خراسان، فأصفهان، فبغداد، حتى انتهى به المطاف إلى مكة المكرمة، التي وصلها سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م، وهو في الخامسة والأربعين من عمره. وفيها وجد مناخاً علمياً راقياً في حلقات العلماء بالمسجد الحرام، ومكاناً رائعاً للتعبد بجوار بيت الله؛ فكان أن تفرغ الزمخشري للأمرين معاً. كان غاية ما يتمنى أن يقضي بقية حياته في الرحاب المكية، وأن تكون مكة مكان منيته.

كان الزمخشري معاقاً، إذ عانى من بتر في إحدى ساقيه، عوضتها ساق خشبية.

يقول محمد بن علي الطبري في كتابه (إتحاف فضلاء الزمن): إن الإمام جارالله الزمخشري عاش في مكة زمن ولاية الأمير حمزة بن وهاس، من أشراف بني سليمان، وقال: إنه كتب كتابه (الكشاف في حقائق التنزيل) باسم السيد عُلَي بن عيسى بن وهاس، الذي مدح الزمخشري بأبيات كثيرة، منها قوله:

وكم للإمام الفرد عندي من يد
وهاتيك مما قد أطاب وأكثرا
أخي العزمة البيضاء والهمة التي
أنافت به علامة العصر والورى
جميع قرى الدنيا سوى القرية التي
تبوأتها داراً فداء زمخشرا
وأحرى بأن تزهى زمخشر بامرئ
إذا عد في أسد الشرازمخ اشرا
فلولاه ما ضن البلاد بذكره
ولا طار فيها منجداً ومغورا
فليس ثناه بالعراق وأهله
بأعرف منه بالحجاز وأشهرا

استقر بمكة زمناً ثم سافر إلى خوارزم، حيث بقي مدة زمنية لم تطل، حتى عاد ثانية إلى مكة، ليقضي بها اثنتي عشرة سنة منقطعاً للتأليف، ثم عاد إلى خوارزم لقضاء مدة فيها، لكن منيته عاجلته في مسقط رأسه بجورجانية خوارزم، في الثامن من ذي الحجة سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م ودفن هنالك بعد حياة حافلة بالدراسة والتأليف، وكان معظمها في مكة المكرمة.

آثاره العلمية

أعمال الزمخشري الفكرية كثيرة، شملت موضوعاتها: علوم التفسير، والفقه، والحديث، والمواعظ، وكتب في النحو، والعروض، والشعر، والبلاغة، والأدب، والأمثال. وله عدد من المعجمات منها: كتاب (أساس البلاغة)، وكتاب (الجبال والأمكنة والمياه)، وكتاب (المقدمة)، وهو معجم عربي فارسي.وقد كتب محمد أحمد قاسم مقدمة ضافية لكتاب (أساس البلاغة)، ترجمة فيها للزمخشري، وأشار إلى تصانيفه المطبوعة التي بلغت ثمانية عشر كتاباً، وآثاره المخطوطة التي لم تر النور بعد، وقد تبلغ سبعة وثلاثين كتاباً في شتى المعارف. كما قدم لكتاب (أساس البلاغة) مستعرضاً طبعاته المختلفة وخصائص الكتاب.



أنموذجات تأثير لغة العامة (المكيون منهم خاصة، والحجازيون عامة)، كثيرة في كتاب الزمخشري (أساس البلاغة) بل أكثر من أن تحصى

إن (أساس البلاغة) معجم دلالي في اللغة العربية. أجاد الزمخشري في شرح المفردات بكل من المعاني المعجمية، والمعاني المجازية، بل إنه توسع في شرح المعاني المجازية على نحو غير مسبوق في المعجمات، مما جعله متفرداً في هذا المنحى، متميزاً عن بقية معجمات اللغة؛ يضاف إلى ذلك تأثره في طرح مفرداته بلغة المكيين الحجازية.

يدلل على ذلك محمد بن شريفة الذي كتب دراسة بعنوان (أصداء مكية وحجازية في أساس البلاغة للزمخشري)، كشف فيها عدة شواهد في شرح المفردات اصطلاحاً ومجازاً، كانت متأثرة بلغة الحجازيين عامة والمكيين بصفة خاصة.

ابن شريفة وأساس البلاغة

استخرج ابن شريفة عدداً من مفردات (أساس البلاغة) المتضمنة شواهد من لغة أهل مكة والمدينة والطائف، استشهد بها الزمخشري، وقدم شرحاً لمعانيها الاصطلاحية والمجازية، وهذا ما يوضح بجلاء مدى تأثره بالبيئة المكية التي عاش فيها سنوات طويلة من حياته. وأشار ابن شريفة إلى بعض المفردات، ومنها:

- مادة (ت و ر)، فقد كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالتَّوْر، وهو إناء صغير، يقول الزمخشري: ومررت بباب العمرة على امرأة تقول لجارتها: أعيريني تويرتك، وفي هذا إشارة إلى جذور مادة (ت و ر) في لغة العامة من المكيين.
- مادة (ش ق ق) يقول عنها: سمعت بمكة من تقول لحامل الجوالق: اسْتَشْقَّ به، أي: حَرِّفه إلى أحد شقيه حتى ينفذ من الباب. فالأبواب في مكة كانت ضيقة.
- مادة (ر ن ج) يقول عنها: سمعت صبيان مكة ينادون على المُقل: ولد الرانج وهو الجوز الهندي، والمُقل هو ثمر الدوم، شبهوه بثمر جوز الهند، ترغيباً فيه وإعلاء من شأنه.
- مادة (ب هـ ش)، يقول: فلان من أهل البهش، أي من أهل الحجاز؛ لأن البهش هو المُقل الرطب ينبت به.
- مادة (ع ر د)، يقول عنها: وسمعت في طرق مكة صبياً من العرب وقد انتحى عليه بعير يقول: ضربته فعَرَّد عني.
- مادة (ع ض ب) ويقول عنها: وقف علي شيخ من أهل السَّراة بالمسجد الحرام، فقال لي: ما عَضْبك؟ فقد كان الزمخشري معضوب الرجل، أي إن إحدى رجليه كانت مقطوعة، وكان قد رَكَّب مكانها رجلاً خشبية.
- مادة (ص ق ر)، ويقال: رطب مصقر، أي مصبوب عليه دبس الرطب، وأهل مكة يصبون الدبس على الرطب، ويضعونه في البراني، وهو الإناء الذي يحفظ فيه العسل.
- مادة (د ق ق)، يقول عنها: سمعت باعة مكة ينادون عليها الدُّقَّه، وهي الكزيرة المدقوقة.
- مادة (ل ث م) وأدخل عليها كلمة (المُلَثَّمَة) إذ كان الحجاج يتلثمون: لما حَوَوْا إحراز كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا.
- مادة (ح م ط) يقول فيها: الطائف بلد النبق والحماط، رأيت شجرة هناك أدواحاً عظاماً، وكأين من حماطة استظللت بها وقِلْتُ تحتها وأكلت من ثمارها.
- مادة (ب خ ن ق) يقول عنها: وتبخنقت المرأة: تبرقعت. وأَمْلَتْ علي أم هبة أم مثواي بالطائف في كتاب اسْتَكْتَبتنيه إلى ابنتها بمكة: خفرة تقول لكم يا عمتي: أشكو إليك حرّ العُرّي في وجهي فأرسلي إلي مِنْ مخاضب حنائكم ما أتبخنق به. ويقصد بمخاضب الحناء خرق الخضاب.
- مادة (ج ر م) يقول أهل الحجاز: أعطيته كذا جريماً من التمر، وهو مد النبي ﷺ.
- مادة (س ل أ)، يصف بها سمن الحجاز. فإن كان خالصاً طرياً فهو سلاء، وهو عند أهل الحجاز سمن الغنم الصافي الرقيق الطيب الريح، الذي يشبه ماء الورد في القوارير، لا يغيره مرور المدد الطوال.
- مادة (ن هـ ر)، يقول: سمعت من بعض شحاحذة الحجاز يقول لأصحابه: ليس الرجل من يكترث لأول نهرة ولا الثانية ولا الثالثة.

قرية زمخشر المجاورة، والمحاطة بسياج، ولا يسمح بدخولها إلا بإذن رسمي من الدولة، لم يبق منها إلا سورها الكبير

- مادة (فَ رْ خ)، يقول: سمعت العرب يقولون: فلان فرخٌ من الفروخ، يريدون ولد زنا.
- مادة (هـ و ش)، يقولون: وقعت هوشة في السوق، وهو أن ينفر الناس لخوف يلحقهم.
- مادة (مَ كَ ك)، يقول عنها: سمعتهم يقولون لأهل مكة: المُكُوك، فقد استولى على مكة ناجم من بلاد نجد فطردوه، فلما خرج قال: خذوا مُكيكَتكُم.

اعتزاز بالكشاف

أنموذجات تأثير لغة العامة (المكيون منهم خاصة، والحجازيون عامة)، كثيرة في كتاب الزمخشري (أساس البلاغة) بل أكثر من أن تحصى، مما يمكن القول معه: إن (معجم الزمخشري) يجسد الخاصية البلاغية للغة العامة في مكة المكرمة في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

كتب الزمخشري في مكة المكرمة واحداً من أهم كتبه في التفسير، وهو (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)، وفرغ من تأليفه سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م. وقيل: إن الزمخشري قد أودع كتابه هذا، الذي عرف مختصراً بالكشاف، داخل جوف الكعبة المشرفة، يريد المناظرة حوله، لما رمي فيه من تأثر بفكر المعتزلة.

كان الزمخشري شديد الاعتزاز بكتابه (الكشاف)، وفيه قال أبيات شعر كثيرة، منها:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد
وليس فيها لعمري مثل كشافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته
فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وله قصيدة قال فيها:

تالله ما الكشاف إلا واحد
في فنّه، أنّى له بمكاف
أوصافه في كلّ قطر شاسع
طارت بأي قوادمٍ وخواف
ألقت عليه النّور مكة واكتسى
من وشي يمنة يمنها الأفواف
فبمثله تُستنزل البركات من
حوض الغمام وغيثه الوكّاف
لو كان في أولى الزمان مصنّفاً
ما كان إلا عمدة الأسلاف

قال العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عن (الكشاف): إنه «يغوص في معاني الآيات ويأتي بشواهدها من كلام العرب، ويذكر كلام المفسرين، وينحو نحو البلاغة والعربية».

إن الوقوف على أطلال زمخشر، وأمام ضريح العلامة أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري المكي أعادنا إلى الوراء قرابة ألف عام، حين كان التواصل بين علماء المشرق والمغرب على درجات كبيرة من الحيوية تضمهم مراكز العلم في خراسان، ومرو، وبغداد، ومكة المكرمة، وغيرها من الحواضر الكبرى.

ولعلنا ندعو دولة تركمانستان الفتية أن تنفض عن غبار ما اندرس من آثار مراكزها الإسلامية في مرو الشاهجان، وسرخس، وبيهق، وزمخشر، ونسا، وغيرها من الحواضر التي انتسب إليها علماء أعلام كانت لهم صولات وجولات في الفكر الإسلامي.

المراجع

١- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان (بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م).
٢- رحلة ابن بطوطة، محمد بن عبدالله بن إبراهيم، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٩٢م).
٣- الزمخشري، جارالله أبو القاسم الخوارزمي، أساس البلاغة، (بيروت: المكتبة المصرية،٢٠٠٢م).
٤- حسين نصار، المعجم العربي، نشأته وتطوره (القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٦٨م).
٥- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون، ١٩٩٧م).
٦- شريفة، محمد بن شريفة، أصداء مكية وحجازية في (أساس البلاغة) للزمخشري، مجلة العرب، ع٤٢، ج١، (رجب وشعبان ١٤٢٧هـ).



الشهداء

شعر: سمير فزاج

القاهرة – مصر

هُم أصدقائي وما قابلتهم أبدا
وما رأت مقلتي في حُسنهم أحدا

سالتْ دماهم على الأسفلت ثائرة
فهيئوا بدم من أمرنا رشدا

سقيتم الأرض في التحرير مهجتكم
ورغم أسفلتها قد أثمرت بلدا

جعلتم الموت عيداً في معيتكم
حتى اشتهينا جميعاً أنْ نموت غدا

لوْ تخطئ العين في إحصاء عدتهم
لا يخطئ القلب من أحبابه عددا

غزوا فؤادي قصيدي في براءتهم
واستوطنوا بجلال حكي من سردا

تمسكوا بحياة الشعب فانطلقت
أرواحهم نحو أفق لا يحد مدى

مدوا حناجرهم للصمت تسحقه
حتى بدا الرعد للأسماع رجع صدى

الآن مصر استعادت مجدها ثقة
من والد يهب الأوطان ما ولدا

مُحَمَّدٌ كان في التحرير رافقه
عيسى المسيح وفي تحريرنا اتحدا

جيلٌ أرادوا له أن يمتطى فأبى
وجدَّ في محو جلاديه واجتهدا

وأسقطوا هُبَل الملعون معبده
وطاردوا من فلول البغي من عبدا

جيل الأسود التي جاعت بغابتها
فانظر مصير الذي قد جَوَّعَ الأسدا

جيلٌ رأى حلمه ينهار فانتفضتْ
فيه العزيمة والإصرار فاتقدا

ووزعوا غدهم فينا فصار لنا
أبهى غدٍ فاق في إشراقه الأبدا

رموه بالنار علّ الموت يردعه
فعانق النار في عشق كما وعدا

كُفّي دموعك يا أم الشهيد فما
مات الشهيدُ وما راحت دماه سدى

تماوجت روحه فينا بثورته
فحركت من دم الأحرار ما ركدا

كُفّي دموعك يا أم الشهيد فقد
كفاه من سوأة الأيام ما شهدا

فما قضى نحبه إلا ليمنعها
تلك الدموع التي مسته فارتعدا

كُفّي دموعك فالأجواء عاطرة
بطيب أنفاسه حتى إن ابتعدا

حلّ اليقين محل الروح فانطلقت
وسابقتْ روحه نحو العلا الجسدا

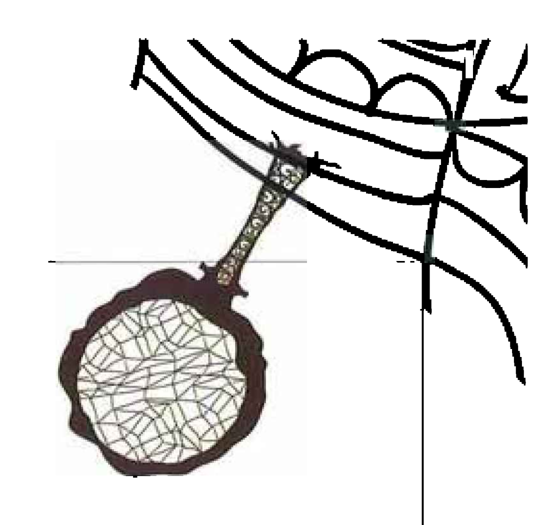
كُفّي دموعك فالشمسُ التي طلعت
تهديه إشراقها حتى وإنْ رقدا

كُفّي دموعك ليس القبر منزله
فالقبر لا يحتوي النيل الذي صمدا

كُفّي دموعك فالجنّاتُ في يده
فاستبشري وكُلي من كفه رغدا

وحسب كل شهيد أنَّ سيرته
بريئة ليس فيها (ذل) أو (سجدا)

لو أدرك الدهرُ من أبناء عزته
لقبّلَ الدهرُ من هذا الشهيد يدا



كناشة التراث

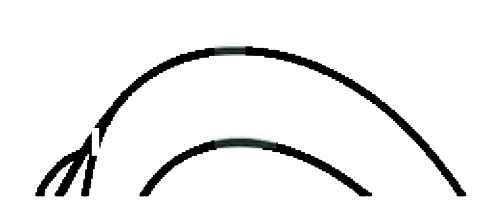
تاريخ مدينة السلام

وأخبار محدثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها وواردِيها

تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٣٩٢ - ٤٦٣هـ)

أخبرني عبدالغفار بن محمد بن جعفر المؤدّب، قال: حدثنا عُمر بن أحمد الواعظ. قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الفضل أبو العباس المؤذن جارٌ لنا قال: سمعتُ هارون بن عبدالله الحمّال، يقول: جاءني أحمد بن حنبل بالليل فدقّ الباب عليّ. فقلتُ مَن هذا: فقال أنا أحمد. فبادرتُ أن خرجت إليه فمَسّاني ومَسّيتُه. قلت: حاجةٌ يا أبا عبدالله؟ قال: نعم شغلتَ اليومَ قلبي: قلتُ: بماذا يا أبا عبدالله؟ قال: جزتُ عليك اليوم وأنت قاعدٌ تحدّث الناس في الفيء، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدّفاتر. لا تفعل مرةً أخرى. إذا قعدت فاقعد مع الناس.

أمر أمير المؤمنين المأمون الفَرّاء أن يؤلّف ما يجمع به أصولَ النحو وما سمع من العرب. وأمرَ أن يُفرَد في حُجرةٍ من حُجَر الدار، ووكّل به جواري وخدماً يَقُمن بما يحتاج إليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشرف نفسُه إلى شيء. حتى إنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة. وصَيّر له الورّاقين، وألزمَه الأمناء والمُنفقين. فكان يُملي والورّاقون يكتبون. حتى صَنّف الحدود في سنين. وأمر المأمون بكَتْبه في الخزائن. فبعدَ أن فرغَ من ذلك خرج إلى الناس يُملّ كتابَ «المعاني». وكان وَرّاقيه سَلَمة وأبو نَصْر. قال: فأردنا أن نَعدّ الناسَ الذين اجتمعوا لإملاء كتاب «المعاني» فلم يُضبط. قال: فعَدَدنا القُضاة فكانوا ثمانين قاضياً. فلم يَزَل يُملّه حتى أتمّه. وله كتابان في «المُشْكل»، أحدهما أكبرُ من الآخر. قال: فلما فرَغَ من إملاء المعاني خَزَنه الوراقون عن الناس ليكتسبوا به. وقالوا: لا نُخرجه إلى أحد إلا من أرادَ أن ننْسخه له على خمس أوراق بدرهم. فشَكى الناسُ ذلك إلى الفَرّاء فدعا الورّاقين فقال لهم في ذلك. فقالوا: إنما صَحِبناك لننْتفع بك، وكل ما صَنّفته فليسَ بالناس إليه من الحاجة ما بهم إلى هذا الكتاب. فدعنا نَعِش به. قال: فقاربوهم تَنْتفعوا وينتفعوا. فأبَوا عليه. فقال: سأريكم. وقال للناس: إني مُملّ كتابَ معانٍ أتمّ شرحاً. وأبسَطَ قولاً من الذي أمللتُ. فجلس يُملّ. فأملّ «الحمد» في مئة ورقة فجاء الورّاقون إليه فقالوا: نحن نبلغ للناس ما يحبون. فنَسَخوا كل عَشْر أوراق بدرهم.



أخبرنا أبو سعد الماليني، قال: أخبرنا عبدالله بن عَدي: قال: حدثنا يحيى بن زكريا بن حَيُّويه، قال: حدثنا العباس بن إسحاق، قال: سمعتُ هارون بن مَعروف، يقول: قدمَ علينا بعض الشيوخ من الشام وكنتُ أول من بَكَّرَ عليه. فدَخلتُ عليه فسألتُه أن يُملي عليَّ شيئاً، فأخذَ الكِتاب يُملي عليَّ فإذا بإنسان يدقُّ البابَ. فقال الشيخ: مَن هذا؟ قال: أحمد بن حنبل، فأذن له، والشَّيخُ على حالته والكتابُ في يده لا يتحرَّك. فإذا بآخر يدقُّ الباب. فقال: الشيخُ: مَن هذا؟ قال: أحمد الدُّورقي. فأذن له. والشيخُ على حالته والكِتابُ في يده لا يتحرك. فإذا بآخر يدقُّ الباب، فقال الشيخ: مَن هذا؟ قال: عبدالله ابن الرومي. فأذن له، والشيخ على حالته والكِتابُ في يده لا يتحرك. فإذا بآخر يدقُّ الباب، فقال الشيخ: مَن هذا؟ قال: أبو خَيْثمة زُهير بن حَرب، فأذن له والشيخ على حالته والكتاب في يده لا يتحرك. فإذا بآخر يدقُّ الباب، فقال الشيخُ: مَن هذا؟ قال: يحيى بن مَعين. قال: فرأيتُ الشيخ ارتَعَدت يَدُه وسَقَط الكتابُ من يده!

أخبرني عبدالصمد بن عليّ بن محمد بن المأمون الهاشمي، قال: أخبرنا عليّ بن عُمر السُّكَري، قال: حدثنا أبو القاسم عيسى بن سُليمان القُرَشي، قال: أنشدني داود بن رُشَيْد، قال: أنشدني يحيى بن مَعين (من الكامل):

المالُ يَذهَبُ حِلُّهُ وحَرامُهُ
طُرّاً وتَبْقَى في غَدٍ آثامُهُ

ليسَ التَقيُّ بمتّقٍ لإلهِهِ
حتى يَطيبَ شَرابُهُ وطَعامُهُ

ويطيبَ ما يحوي وتَكْسِبُ كَفُّهُ
ويكونَ في حُسنِ الحديثِ كَلامُهُ

نَطَقَ النبيُّ لنا بهِ عن رَبِّهِ
فعلى النبيِّ صَلاتُه وسَلامُهُ

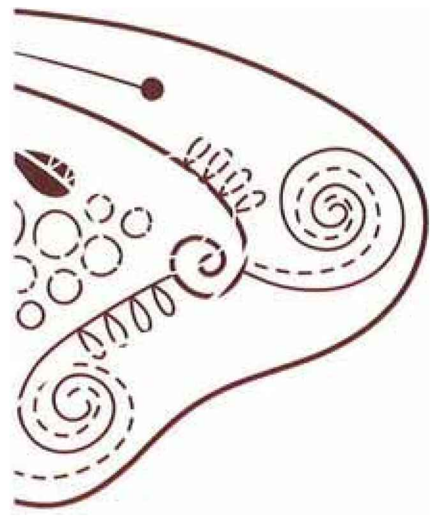
حدثنا أحمد بن علي البادا، قال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان، قال: حدثنا محمد بن الحُسين بن حُميد بن الرُّبيع، قال: حدثنا سُليمان بن الرُّبيع، قال: سمعت الفضْل بن مُقاتل الخُراساني ذكر عن عبدالرزاق ابن هَمّام الصَّنْعاني، قال: سمعتُ محمد بن عُمارة يقول: رأيتُ أبا يوسف وزُفَر يوماً افتتحا مسألة عند أبي حنيفة من حين طَلَعت الشمس إلى أن نودي بالظهر، فإذا قَضَى لأحدهما على الآخر قال له الآخر: أخطأتَ ما حجَّتك؟ فيخبرُه حتى كان آخر ذلك أن قضى لأبي يوسُف على زُفَر حين نوديَ بالظهر. فقامَ أبو يُوسف، قال: فضَرَب أبو حنيفة على فَخِذِ زُفَر وقال: لا تطمعنَّ في الرِّياسة بأرض يكون هذا بها.

حدثني أبو القاسم عُبيدالله بن عليّ بن عُبيدالله الرُّقّي، قال: حدثنا أبو أحمد عُبيدالله بن محمد بن أحمد المُقرئ. قال: حدثنا أبو بكر الصُّولي، قال: حدثنا الحسن بن الحُسين الأزدي، قال: حدثني أبو الحسن الطُّوسي. قال: كنا في مجلس عليّ اللِّحياني وكان عازماً على أن يُملي نوادرَهُ ضِعْفَ ما أمْلى، فقال يوماً: تقول العرب: مُثْقَلٌ استعان بِذَقَنِه، فقامَ إليه ابنُ السِّكِّيت وهو حدثٌ فقال: يا أبا الحسن إنما هو تقول العرب: مُثْقَل استعانَ بِدَفَّيْه، يريدون الجَمل إذا نهض بالحِمْل استعان بجَنْبيه، فقَطع الإملاء. فلما كان في المجلس الثاني أمْلى، فقال: تقول العرب: هو جاري مكاشري، فقامَ إليه يعقوب بن السِّكِّيت فقال: أعزَّك الله، وما معنى مكاشري؟ إنما هو مكاسري كِسْرُ بيتي إلى كِسْر بيته. قال: فقَطَع اللِّحياني الإملاء، فما أمْلى بعد ذلك شيئاً[1].

الهوامش

١- قال صاحب شرح التصحيف والتحريف بعد سياقته هذا الخبر ٢١: «أما قول يعقوب: فلان مكاسري بسين غير معجمة فهو كما قال، وقد وهم فيه اللحياني، وأما قوله: بدفيه، فقد ظلمه يعقوب في ردّه عليه، فقد رواه أكثر الكوفيين: بذقنه بالقاف والنون، ورواه أبو عبيدالقاسم بن سلام مثل ذلك أيضاً. وإنما أرادوا أن البعير إذا أراد أن ينهض استعان بعنقه وذقنه، ومن هذا قيل: ناقة ذقون، وهي التي يرجف ذقنها في سيرها، وتقول العرب: لألصقن حواقنه بذواقنه، أي- أعلاه بأسفله».

حيدر مصطفى البدراني (البشعان)
السعودية - الرياض



أحن إليك

أحن إليك لو تدرين من قلب
براه الشوق والحب
أحن لمنهل عذب
به الأطياف تغمرني
فأسبح في شذا حلمي
وأبحث عنك كي أروي
غليل جوانحي الظمأى
لأمحو كل آلامي
أغذي جوع حرماني
بدمع العين أطفي حرقة الكبد
وأمسح صاب أحزاني
كفاني البعد ما ألقاه
من سقم ومن حزن ومن ألم

ألمٌ يذيب أحشائي
من قلبي
سحاب الهجر... أشجاني
ومزق ثوب أخيلتي
إليك أزف أشعاري
ودمع عيونيَ الجاري
إلى روض المنى أذكي
توقد لهفتي الحرى
أقدمها عبيراً فائح العطر
عرائس من مخيلتي
واكليلاً من الغار. لآلئه بها عيناي تكتحل
تراءت من كوى الغيب

شعر



جون كراكستون





بيتر هيلتون



وليام سكوت

الفن البريطاني المعاصر من اللابناء إلى التجريد

محمود أحمد شاهين

دمشق - سورية

يتميّز الفن التشكيلي البريطاني المعاصر - كالإنسان البريطاني - بالاتزان والهدوء والعقلانية في تعامله مع الاتجاهات الفنية الجديدة: فهو لا يأخذ كلّ ما يفرزه التشكيل العالمي من هذه الاتجاهات دون تمحيص أو تدقيق، ولا يتعامل بردّ الفعل السريع مع التيارات الحديثة. أو يقلّدها، أو ينسج على منوالها، بل يدرسها بإسهاب، ويقرؤها بعمق: فيلفظ منها ما لا يناسبه، ويأخذ ما يناسبه، بعد أن يصبغه بصبغته، ويسمه بسمته البريطانية التي يحفرها بعمق وهدوء وتأنٍّ شديد.

والفن التشكيلي البريطاني المعاصر - كالثقافة البريطانية عامةً - لا تستعجل التواصل مع الشعوب الأخرى، ولا يسكنها هاجس نقل اتجاهاتها وكشوفها الجديدة إلى الآخر، كما تفعل أغلبية الثقافات الأوربية الأخرى: لذلك فإن معارض الفن التشكيلي البريطاني قليلة الحضور في حيواتنا التشكيلية العربية، بل نادرة. ومن هنا شكّل المعرض الذي شهدته أروقة كلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق قبل أحداث سورية الأخيرة أول لقاء مهم وحقيقي ومباشر للفن البريطاني المعاصر مع المتلقي السوري. حمل المعرض عنوان: (من اللابناء إلى التجريد)، وضم ستاً وعشرين لوحة أصلية متعددة القياسات والتقانات والأساليب، تعود إلى ثلاثة وعشرين فناناً وفنانة، يمثّلون حقبة الأربعينيات والخمسينيات من تاريخ حركة التصوير البريطاني، والحراك الأسلوبي والصياغي والثقافي الذي انتاب هذا الفن خلال الحرب العالمية الثانية وانعكاساتها على مضمون التجارب البارزة وشكلها، التي أفرزتها هذه المرحلة التي كان الفن التشكيلي العالمي عامةً، والفن التشكيلي الأوربي خاصةً، يعيش مرحلة تفاعلية خصبة مع الاتجاهات الفنية الحداثية التي أفضت إلى ولادة الاتجاهات المعاصرة، ليس على صعيد الفنون التشكيلية فحسب، وإنما طالت مظاهر الثقافة الأوربية عامةً.

انعكست تجربة الحرب ومعانيها في إنتاج الفنانين، آخذةً عدة أشكال، أبرزها العنف والاحتجاج التاريخي على أسبابها، ونتائجها، والمآسي التي خلّفتها، خصوصاً أن الحرب العالمية الأولى هي الأخرى كانت قد تركت آثارها الكبيرة على هذا الإنتاج، خصوصاً في ألمانيا حيث جدّدت المدرسة التعبيرية كما جددت الواقع الاجتماعي نفسه، ودفعت حوادث الحرب وأحداثها الداداثيين إلى صبّ لعناتهم وسبابهم. وإطلاق تحدياتهم التي حملت غيرهم من الفنانين الشباب على النظر إلى العالم نظرة قلق، وأن يجدوا فيه مرارة ومأسوية.

هذه الصورة عادت وتكرّرت في أعقاب الحرب العالمية الثانية: إذ تدخّل النازيون في كل شيء ضمن المجتمعات الأوربية التي اجتاحوها، بما في ذلك الثقافة والفنون. فلاحقوا الفنانين التشكيليين الحداثيين، وأغلقوا تجمّعاتهم، وطردوا بعضهم خارج بلدانهم.

وعلى العكس من عشرينيات القرن الماضي وثلاثينياته، التي شهدت حالةً من التفاعل الفني الخلاق بين اتجاهات الفن التشكيلي الأوربي ومدارسه، وأفرزت عدداً مهماً من التجارب والتجمعات الفنية، جاءت حقبة الحرب العالمية الثانية التي أحدثت خللاً في هذا الفضاء الإبداعي البصري: إذ تركّز اهتمام

روبرت كولكون



الفنانين الأوربيين بشكل عام، والبريطانيين بشكل خاص، في أحداث الحرب وواجباتهم الوطنية. كما أدى نقصان الموارد بالفنانين التشكيليين البريطانيين إلى العمل مع الحكومة فناني حرب رسميين.

يرصد المعرض تطوّر الفن البريطاني بعد الحرب العالمية الثانية؛ إذ أدى الدمار السائد حينها بالفنانين البريطانيين إلى العودة إلى النهج التعبيري والطبيعي في الفنّ، الذي اشتغلوا عليه واستخدموه وسيلةً لاستيعاب الصدمة، وإعادة بناء هويتهم المهتزة.

إن اختيار لوحات المعرض جاء بهدف تقديم أمثلة على تنوّع الأساليب الفنية في هذه المرحلة، وإظهار كيفية استعادة الفنانين إنتاجهم الإبداعي، واكتشافهم طرائق جديدة في الأساليب التي استخدموها في الرسم وقراءة التمثيلات البصرية لمحيطهم. ومنذ خمسينيات القرن الماضي لُوحظ ظهور بوادر حماس ورشاقة جديدين على هذا الصعيد، تمثّلا في العناوين التي

وليام كولد ستروم



الفنان روجر هيلتون، والفنان بيتر لايتون اقتصرت لوحتاهما على مساحات لونية بيضاء تؤطرها خطوط سوداء مرسومة بعفوية مطلقة

أطلقوها على لوحاتهم، وفي مضامينها أيضاً.

بالعودة إلى أعمال المعرض والعنوان الذي حمله (من اللابناء إلى التجريد)، والأصح (من التفكيك الواقعي إلى التجريد)، نجد أن هذه الأعمال تنضوي في ثلاث فئات، هي: الأعمال الواقعية المختزلة المفعمة بالخيال ورغبة الانعتاق من السائد والمألوف في هذا الاتجاه، والأعمال الواقفة في البرزخ الفاصل بين التشخيص والتجريد، وفيها يظهر تململ الفنانين أصحابها، ورغبتهم في استكشاف الضفة الأخرى؛ أي: الضفة التجريدية الشكلانية، والأعمال التجريدية، وهي الأقلّ حضوراً في المعرض.

تفكيك الواقعية

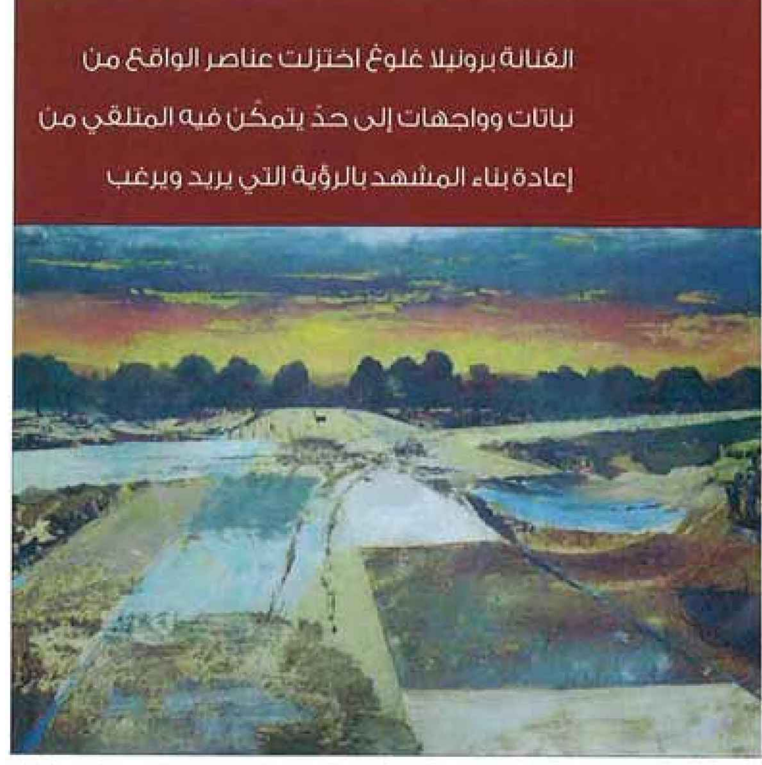
يمثّل الاتجاه الأول عشرة فنانين، تنوّعت لديهم الواقعية واختلفت من فنان إلى آخر؛ إذ تماهت بالسوريالية تارةً، وبالتعبيرية تارةً أخرى، وهي لدى الجميع تخرج عن إطار الواقعية الكلاسيكية التقليدية، التي وسمت الفن التشكيلي الأوربي أحقاباً طويلة، ثم انحسرت قليلاً لمصلحة الاتجاهات الحديثة وما بعد الحديثة، ثم للفنّ المفاهيمي والتجريدي والمركّب، والطليعي وما بعد الطليعي، وغيرها من الاتجاهات المعاصرة التي خرجت عن (التابو) اليوناني - الروماني شكلاً ومضموناً، ثم أخذت

في الانحسار بعد أن انتفت الأسباب التي كانت وراء ولادتها (الحروب الأوربية، والثورة الصناعية، والخواء الروحي الذي تلبّس الإنسان الأوربي عامةً، والمثقّف خاصةً)، لمصلحة التيارات الكلاسيكية والواقعية التي أخذت في العودة تدريجياً وبقوة إلى الحركات التشكيلية الأوربية المعاصرة.

لدى الفنان ميشيل إيرتون (١٩٢١- ١٩٧١م) تأخذ الواقعية بعداً تعبيرياً رومانسياً ساحراً، يتألق من خلاله الإنسان مع الطبيعة، والمسحة الكاريكاتيرية مع العمق السوريالي، خصوصاً أنه أغرق لوحته بجوّ ليليّ رافل بالأسرار، وبناها بواقعية مختزلة. أما الفنان ستانلي سبنسر (١٨٩١- ١٩٥٩م)، فقد شارك بلوحتين، تناول فيهما الطبيعة الخلوية، والطبيعة مع مقبرة، بأسلوب واقعي مفعم بالتعبير والخيال، ينحاز من خلاله بوضوح إلى موضوعات الريف والطبيعة التي لا يقدمها كما هي في الواقع، وانما يقوم بحقنها برؤى عميقة تعكس موقفه الخاصّ مما يرسم. ويقدم الفنان جون كراكستون (١٩٢٢م) في لوحته عالماً واقعياً مختزلاً مفعماً بالرموز، يجنح فيه نحو تبسيط مسحوي مدروس يقارب روح التكعيبية. ويماهي الفنان ريتشارد ألبيرت (١٩١٩- ١٩٤٥م) في لوحته التي تناول فيها منظراً طبيعياً روح التجريد الذي ينهض من الواقع ليعيد تفكيكه وبناءه من جديد بعد إلغاء كثير من الثرثرة الشكلية التي لا تخدم التعبير، وإنما تضعفه، وهو ما انعكس إيجابياً على إيحاءات اللوحة التي جاءت مكتنزة بكثير من الحزن والكآبة. ويقارب الفنان جون ألدردج (١٩٠٥- ١٩٨٣م) في لوحته التي تناول فيها منظراً طبيعياً في جوّ كامد تجربة الفنان ألبيرت من حيث عشقه الطبيعة والريف، وإسقاط هواجسه الذاتية على مفردات الطبيعة وعناصرها؛ مما أكسبها رؤية عميقة ودلالات بعيدة. ويعيد الفنان وليام غولد ستروم (١٩٠٨- ١٩٨٧م) في لوحته التي تناول فيها مشهداً من مدينة صياغة الواقع برؤية مختزلة وشفيفة، وألوان فائقة الانسجام والتوافق؛ مما يقاربها من الحلم. وكذلك فعل الفنان كيث باينز (١٨٨٧- ١٩٧٧م) في لوحته (طبيعة صامتة)، التي ترفل بتوافق لوني كبير، وتنمّ على كآبة وحزن شديدين. ويكثّف الفنان روبرت كولكون (١٩١٤- ١٩٦٢م) في لوحته (الطلبة) الشكل الإنساني إلى الحدّ الذي يستطيع من خلاله تقديم فكرته بعمق، تاركاً للمتلقّي فسحةً للتخيّل. ولأنه تعامل مع فنّ الحفر المطبوع ومارسه، فقد حملت لوحته تأثيرات واضحة من هذا الفن، خصوصاً اختزال المساحات اللونية، وقوة حضور الخطّ حولها. وهذا الأمر فعله الفنان فيكتور باسمور (١٩٠٨- ١٩٩٨م) في لوحته (حديقة)؛ إذ اختزل أشكال الطبيعة ومفرداتها إلى الحدّ الذي يمنح مفاتيح العبور إلى جوهر جمالياتها العميقة التي لا تتبدى دوماً، وليس بمقدور التصوير الواقعي الحرفي المباشر تقديمها. أما الفنان جون براتبه في لوحته (ثلاثة أشخاص وطاولة)، فقدم صيغة واقعية بتقنية لونية كثيفة ونافرة وضاجّة بالحركة، لكنها مفعمة بالتعبير.

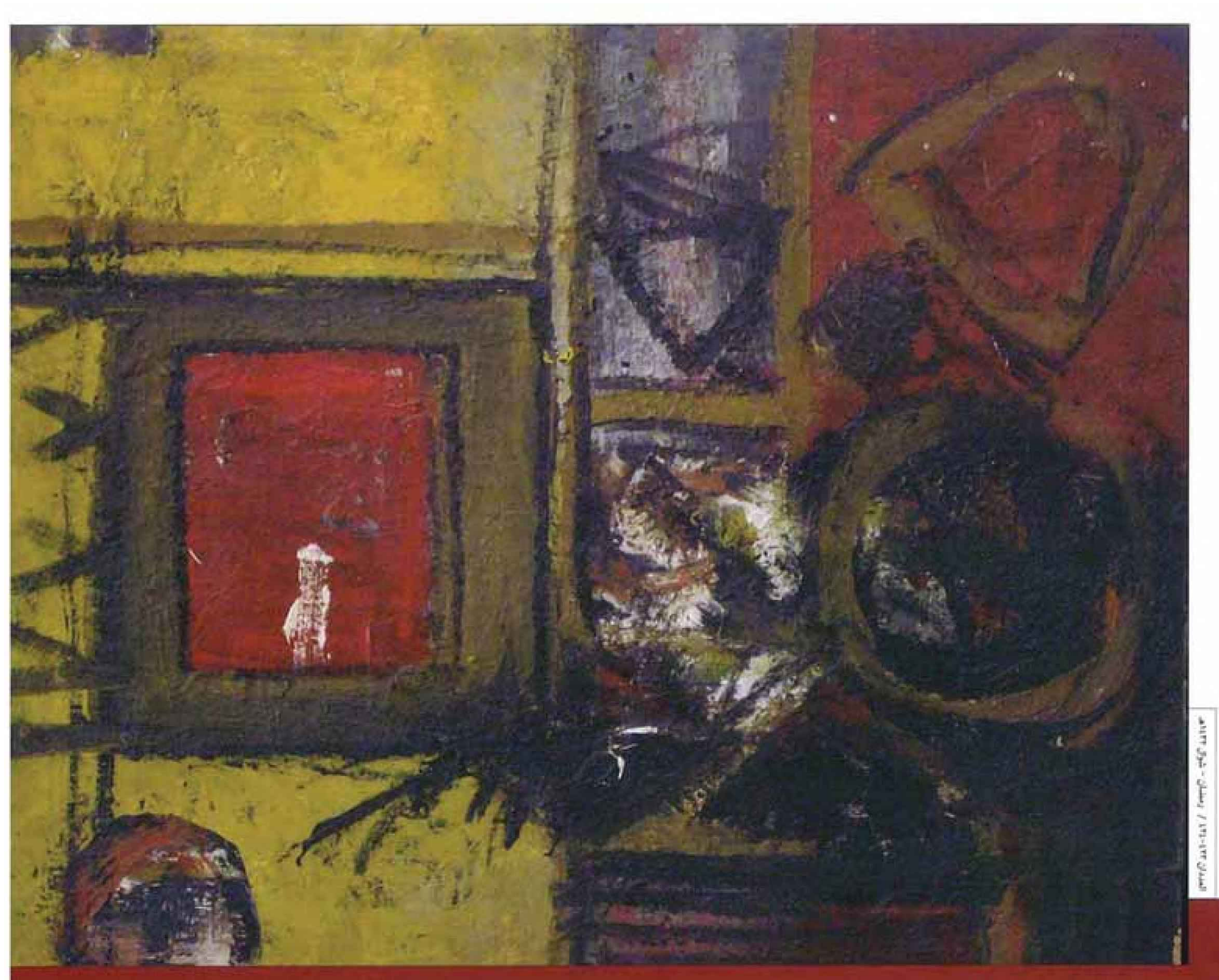
بين التشخيص والتجريد

يمثّل الاتجاه الفني الواقف بتردّد بين (التشخيص) و(التجريد) سبعة فنانين، أولهم الفنان رودريغو مونيان



ريتشارت ألبرت

ألان دافي



استنتاجات

من خلال هذه القراءة لأعمال الفنانين التشكيليين البريطانيين، الذين شاركوا في معرض (من اللابناء إلى التجريد)، نخلص إلى جملة من النتائج، أولها وأهمها تفاعل الفنّ التشكيلي البريطاني مع محيطه الأوربي، واستعارته معظم الاتجاهات والأساليب الفنية التي سادته بعد قيام ثورة الحداثة التي بدأت مع سيزان، واستمرت حتى يومنا هذا، رافعةً جملةً من الشعارات والأهداف؛ منها: ضرورة الإبداع والابتكار والتجديد، وعدم محاكاة الواقع واتباع الأصول التقليدية، والتخلّي عن الدور الديني والوعظي الأخلاقي للفنّ لمصلحة التعبير الحر والتجربة الذاتية، وحقن الواقع بالخيال والحس، والاقتراب من معنى الفن الزماني، ومحاولة إيجاد وسائل وتقانات تعبير جديدة وغير مألوفة، وإدخال بعضها على البعض الآخر؛ حتى انهارت الحدود بين الرسم والنحت والحفر المطبوع والتصوير الضوئي بولادة تقنية التلصيق (الكولاج)؛ إذ أدخلت تقانات النحت والحفر والتصوير الضوئي إلى اللوحة، وأدخلت تقانات الرسم والتصوير والصورة الضوئية إلى النحت والحفر المطبوع.

إلا أن هذا كله لم يمنع الفن التشكيلي البريطاني المعاصر من الاحتفاظ بجملة من الخصائص والسمات التي ميّزته من غيره، أهمها وأبرزها التصاقه الوثيق بمجتمعه وبيئته الطبيعية، ورصانته التي صانته من التيارات العبثية المفلوشة والمتطرفة، هذه التيارات والاتجاهات التي جاءت أقرب إلى اللعب والسلوك المرضي منها إلى الفن.

(١٩١٠- ١٩٩٠م)، الذي عالج في لوحته منظراً طبيعياً باختزال شديد، وانسجام لوني كبير، عمّق دلالته بتشكيلات معدنية مقحمة على الطبيعة؛ مما يعكس حالة الخراب الاستفزازية التي يجترحها الإنسان بحقّ الطبيعة. ويشارك الفنان روبروت ماكبرايد (١٩١٣- ١٩٦٦م) بلوحتين، تناول فيهما موضوع (الطبيعة الصامتة) بصياغة واقعية مختزلة؛ إذ حوّل الشكل إلى مساحات لونية مؤطّرة بخطوط صلبة، وهو ما رأيناه في تجارب كثير من الفنانين الأوربيين، خصوصاً التكعيبيين. كذلك فعل الفنان غراهام سوثرلاند (١٩٠٣- ١٩٨٠م) في لوحتيه اللتين جمع فيهما بين عناصر مختلفة بأسلوب مختزل يوائم بين اللون الشفيف والخط القوي. الصياغة نفسها نجدها في لوحة الفنان بن نيكلسون (١٨٠٤- ١٩٨٢م)، الذي مزج فيها بين تشخيص مختزل وتجريد كثيف للأشكال، إنما من خلال تقشّف لوني واضح، وإعادة صياغة مختزلة للواقع. وهو ما فعله أيضاً الفنان وليام سكوت (١٩١٣- ١٩٨٩م) في لوحته (طبيعة صامتة)؛ إذ تحوّلت مشخّصاته إلى إشارة كثيفة منضدة فوق مساحات لونية صريحة وكامدة، لكنها منسجمة. في الاتجاه نفسه، ذهبت الفنانة برونيلا غلوغ (١٩١٩- ١٩٩٩م) بلوحتها (البيت الأخضر في الشتاء)؛ إذ اختزلت عناصر الواقع من نباتات وواجهات إلى حدّ يتمكّن فيه المتلقي عبر الصيغة التي انتهت إليها من إعادة بناء المشهد بالرؤية التي يريد ويرغب.

الأعمال التجريدية

يمثّل الاتجاه التجريدي الخالص سبعة فنانين، هم: جون تونراد (١٩٠٠- ١٩٧١م)، الذي شارك بلوحة دعاها (نصب)، وفيها قدم تكويناً حركياً يحمل طابعاً نصبياً معدنياً أو حروفياً، غلبت عليه الألوان الكامدة. وقدّم الفنان جون ويلس (١٩٠٧- ٢٠٠٠م) لوحة تتماهى بين التجريدية والتكعيبية عبر ألوان كامدة هي الأخرى. وعلى نحو مشابه جاءت لوحة الفنان آلان دايفي (١٩٢٠م)، التي تواكبت فيها الألوان القوية والخطوط الصلبة والأشكال الحركية المستفزة للعين والإحساس. عكسها تأتي لوحة الفنان بريان وينتر (١٩١٠- ١٩٧٥م)، الحاشدة بضربات ريشة عجلى ومنظّمة في آن واحد، وهي مع كثافة بقعها اللونية وقتامتها إلا أنها تبدو قطعةً موسيقيةً معزوفةً بإتقان؛ مما يجعلها قادرةً على إطراب العين والإحساس معاً. وتمضي لوحة الفنانة وليمنا بارنز غراهام (١٩١٢- ٢٠٠٤م) في التجريد اللوني والخطي إلى حدّ كبير من الشفافية والغموض، مع طغيان الخطوط وسطوتها على اللون. ويصل التجريد إلى أقصى تطرّفه لدى الفنان روجر هيلتون (١٩١١- ١٩٧٥م)، والفنان بيتر لايتون (١٩١٨- ١٩٦٤م)؛ إذ اقتصرت لوحتاهما على مساحات لونية بيضاء تؤطرها خطوط سوداء مرسومة بعفوية مطلقة لدى (هيلتون)، وفي التوجّه نفسه تمضي لوحة لايتون، إنما بإيقاع تتباين فيه المساحات اللونية، وتختلف دلالاتها وإيحاءاتها.

ميشيل إيرتون



المـــراجـــع

- أعمال معرض الفن البريطاني (من اللابناء إلى التجريد)، والدليل الورقي المتواضع الذي رافقه وقدّم معلومات مقتضبة عن المشاركين فيه.

عبدالرزاق بن سعود المانع
السعودية - الرياض

كسرتُ عنق الزجاجة (٢)

سأمضي إليكم
إذا انزاحَ ليلٌ غشومٌ
يغلّفُ شوقي إلى خفقة في المساء
إذا ما طرا حُبُّكم في دمي
أو هفتْ للرحيلِ
خماصاً
طيورُ اندهاشي
إلى حيث يمتصني الليلُ
شوقاً
إلى ربعكمْ
عند إشراقة الحرفِ
يوم اللقاء
(ولستُ بحلال التلاع...)[١]
ولستُ (جميلَ)[٢]
ولكنني العاشقُ المنتمي للعصور
لكل العصور
وشاهدُها
يومَ أن هامَ (قيسٌ) بليلى
ويومَ اعتلى (العبدُ) حرّاً[٣]
جميعَ الخيولِ
وساقَ الغنائمَ، قاد الرجالَ
وأعلنَ بين الجموع:
(أنا العبدُ الذي خُبرتَ عنه...)
هو العشقُ
يخلقُ منا شموساً، نموراً
وصُلبَ حديدِ
هو الحبّ يهدي لنا من جديدِ
حياةً
ربيعاً
فنغدو نسيماً عليلاً
لهُ صولةُ السيفِ
صوتُ الحقيقهْ
ويروي إلى الدهر إسماً
وتاريخَ شعبِ
وقد كنتُ أبغي المضيَّ إليكمْ
ولكنني أفقد العزمَ للإقتحامِ
فعجزي يبعثرني كالجرادِ
وتزرعني وحدتي
في مهبِّ الرياحِ
وحيداً

شعر

فأدعو المحبينَ

أدعو الغيومَ تحوّمُ حولي

فتنثالُ فوق جراحي السماءُ

وأصغي

هناك تراتيلُ تحيي مواتَ المنى

وأبصرُ في وجهها الواعدَ الشوقَ

حلماً سعيداً

يلوّنُ روحي

ويبعثها من جديدٍ

عروساً

كأيام سعدي

فأندسُّ في قلبها

كي أجدَ الشباكَ

وأغدو طليقاً

من التيه وحدي

وحين عرفتُ الطريقَ

دلفتُ

إلى هدأةِ الروحِ وحدي

عليه..

سأغدو إليكم

وعندي من الليلِ ليلٌ

وعندي نهاري

وعندي نجومي، وغيمي، وشمسي

وعندي من العشقِ بحرٌ

وعندي دموعي

وحزني، وسعدي

واني

بعشقي المقيم

سعيدٌ و... حرّ

****

القائل هو طرفة بن العبد:

١- ولست بحلال التلاع مخافة

ولكن متى يسترفد القوم أرفد

٢- جميل بن معمر صاحب بثينة الشاعر الفذ والفارس الشجاع.

٣- عنترة العبسي القائل:

أنا العبد الذي خُبرتَ عنه

وقد عاينتني، فدع السماعا

طرقات الحب السحرية

عبد الباقي يوسف
الحسكة - سورية

أنفضتني عيناي عندما انفتحتا فجأة واتجهتا إلى الساعة المعلقة في الحائط : الخامسة وست دقائق. لا أعرف كيف أخذتني الإغفاءة في ذروة الانتظار لكن أذكر أنني بقيت إلى الثالثة والنصف.

أزحت الستار، السماء تفسل وجهها المبارك بضوء الفجر .. فتحت النافذة، تسرّب هواء قارس إلى دفئي كما لو كان ينتظر الدخول منذ ساعات.

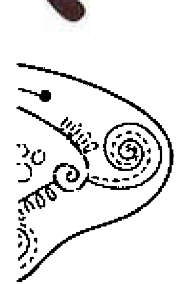
انتبهت إلا أنني أقف حافياً. تركتُ النافذة مفتوحة وتراجعت إلى الوراء، رغبت في العودة إلى فراشي الدافئ بقوة لكن الموعد أبعد الفكرة، ففي السابعة والنصف ستصل ستقطع مسافة ثمانين كيلو متراً وستصغي لثلاثين أغنية لفيروز في السيارة حتى تهبط.

لا بد أنها متيقظة الآن.. تستعد للخروج أو الركض من فراشها، قالت: إنها ستصعد في رحلة السادسة والنصف الصباحية الأولى، وستكون هنا في السابعة والنصف يخرج الضباب من فمها مثلما كانت في الشتاء الماضي.

ها هي ذي سنة أخرى تمضي كالحلم، ها هو ذا اليوم ذاته، وها هي ذي ذاتها وقد كبرت سنة أخرى. مرة أخرى تقنع أهلها بضرورة الحضور إلى مديرية التربية بشأن عملها كمعلمة، خلال هذه السنة كانت البرقيات السريعة والرسائل والهواتف وكانت القبلات التي لا تصل كانت تحكي في منتصف الليل وفجأة تقفل الخط وتقول : لا بد أن أحداً يسرق الحديث. لا بد أن هناك لص أحاديث. وفي اليوم التالي تقول : ألن يكون هناك لصوص على حركاتنا عندما نموت في المقابر.

أعرف أننا نتسول الحب وهاهي ذي ستتسولني وهاأنا ذا سأتسولها سنتسول اثنتي عشرة ساعة متواصلة من جيوب هؤلاء الحراس ولا أخفي أنني أرتب لهذا اللقاء السنوي منذ عشرة أيام وأهيئ كلي له. علاقتي بها تحمل كل خصوصياتي وحتى لا يحدث خلاف اتفقنا على عدم التفكير في أي ارتباط يمكن له أن ينهي هذه العلاقة، اتفقنا على طفولية علاقتنا ،تهمس لي ما تخفيه وأهمس لها بخفية تامة ما أخفيه عن العالم وما أخفيه عن حالي ستكون هنا.. أجل مرة أخرى سنلتقي وحدنا في مكان مغلق بمفاتيح الروح، سأقول لها ما لا أقوله لها حينما تدخل مرة جديدة بخطواتها الصغيرة كأنها تدخل أول مرة .. كأنها تدخل آخر مرة .. وعندما تجلس وتضع حقيبتها بجانبها، مرة أخرى ستنظر إلى آلة التسجيل وتقول بخفوت: أريد أن أستمع الأغاني في بيتك.. نكهتها هنا غريبة، وفي فترات الاستراحة ستقلب الأشرطة والكتب والصور والصحف، ستبحث عن شيء ما لا أعرفه ولا تجده كعادتها.. حينما تمضي اثنتي عشرة ساعة متواصلة، ستقول قبل ذهابها في اللحظات الأخيرة جملتها في أذني مرة أخرى: جئت في الرحلة الأولى، وسأذهب في الرحلة الأخيرة، سينتظرني مقعدي الذي حجزته ربما ستتأخر الرحلة خمس دقائق في انتظار خطواتي المتأخرة الراكضة. ستعانق الروح الروح، ستعانق الحواس الحواس وستلتقي نظراتنا طويلاً مرة أخرى، ستقول ما تعجز عن قوله في الأحاديث الهاتفية التي تشعلها.

طرقاتها.. يا لوقع طرقاتها على سمعي.. ستعود تلك الطرقات



المباركة مرة أخرى تقع على بابي وأي محظوظ هذا الباب.. هل سيحتمل أن يبقى مغلقاً للحظات وهي تطرقه أم أنه سينفتح إجلالاً لوقوفها ولبخار الصباح الذي يخرج من فمها وأنفها.

استحممت. حلقت ذقني. ارتديت ثياب العيد. لمعت حذائي. بعد أن شطفت كل ركن من أركان البيت. رتبت كل شيء. لأول مرة منذ سنة كل غرض يجلس ويقف في مكانه. بخخت ما في قنينة العطر على ثيابي وعلى كل البيت بجدرانه وسقفه.. وملأت فيروز البيت كله وهي تغني بصوتها الصباحي للعيد والمطر. أنفضتني طرقة. هرعتُ إلى الباب. كانت على باب جاري. عدت إلى الداخل والساعة بلغت السابعة والنصف إلا خمس دقائق. بعد دقائق ستصدح تلك الطرقات الخالدة مرة أخرى على بابي. لم يسبق لهذا الباب أن أسمعني أرق وأحن من هذه الطرقات. وأي طرقات أخرى من أي يد كانت لا ترتقي إلى جمالية طرقاتها. لم يسبق لي أن استمعت إلى تلك الموسيقا المدهشة التي تبعثها طرقاتها إلى سمعي.. إنها أحد أسرار تلك الطرقات الموسيقة.. مرة فكرت أن أسجل تلك الطرقات لكنني خفت أن تخفي حرارتها. تكون باردة. خفت أن تفقد قداستها.خفت أن أسيء إلى جماليتها. هاهي ذي ستطرق بكبرياء على بابي. كل حواسي في حالة ترقب لطرقاتها المرتقبة.. طرقاتها الساحرة.. طرقاتها التي لا تشبه طرقات مخلوق آخر غيرها.

وقعتْ طرقاتٌ على بابي. هرعتُ بسرعة.. فتحتُ الباب: هل ستعطيني شيئاً؟

عدت إلى الداخل حملت رغيفاً وناولته للطفلة الحافية التي ترتجف ربما من الجوع والبرد معاً.

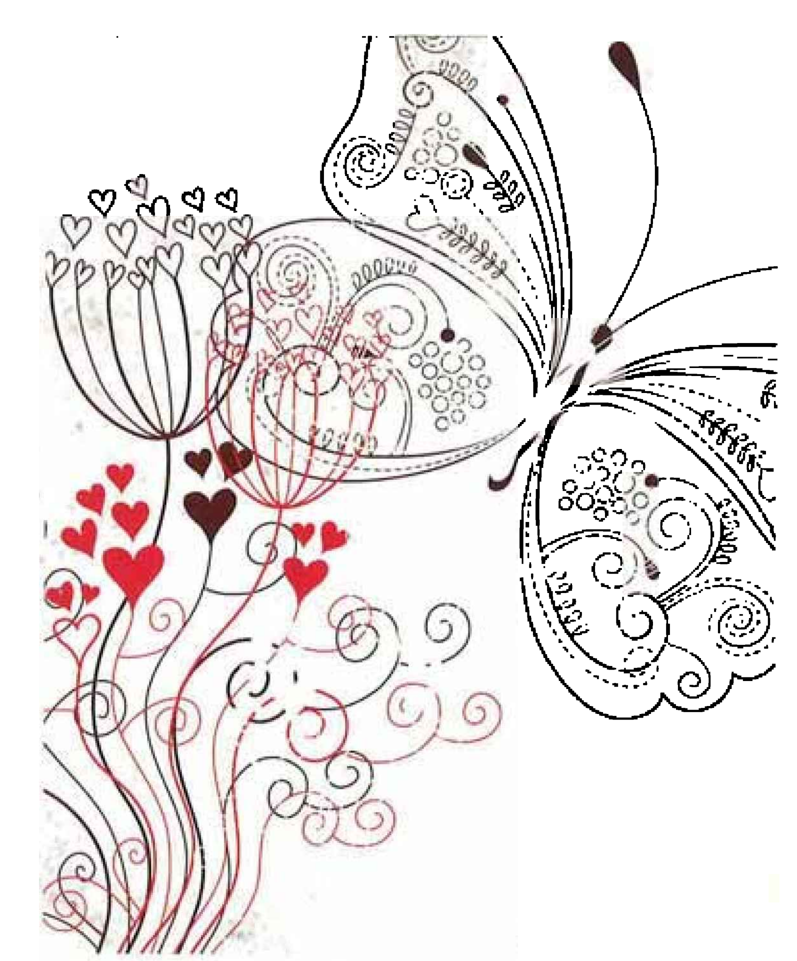
اشتعلت كل حواسي في انتظار تلك الطرقات.. صرت كالمدمن الذي يستعد لفعل أي شيء.يا لتلك الطرقات الجليلة . طرقات من سارت ثمانين كيلو متراً من أجل أن نلتقي. طرقات أنتظرها من سنة كاملة تحمل معها نكهة العيد. وبغتة ارتجفت مفاصلي.. سرت نشوة في عروقي.. ترنح سمعي. وخرجت من العالم. دخلت عالم طرقاتها. طرقاتها.. طرقاتها.. أجل. طرقاتها التي ملأت كل مفاصلي وفراغات الروح. هاهي ذي طرقاتها المدهشة تقع على روحي وحواسي. وها أنا ذا أدخل عالم طرقاتها الهائل..أستحم بموسيقاها. أتعطر بها. وصوتها الصباحي الاحتفالي يعلو: افتح.. أم أنك لا تسمعني.. وتزغرد الطرقات..أمد يدي : هل حقاً سأخرج من عالم طرقاتها؟

وعادت كفي. تراجعت إلى الوراء ارتمى جسدي المخدر على كرسي. انغلقت عيناي والطرقات تخترق العروق. والنبرة الاحتفالية تقفز من خلف الباب: افتح ألا تسمع صوتي. أم أنك لست هناك؟... هذه المرة تنبض طرقاتها العيدية مع القلب يستولي الخدر عليّ في عالم الطرقات الذي يزيده الصوت إدهاشاً..

تتسارع الطرقات..يرتفع إيقاعها.. تبدو صاخبة كنهايات بتهوفن الثرية بكل الآلات والإيقاعات دفعة واحدة والصوت يعلو..يخفت الصوت تخفت الطرقات وأغفو.. لا أدري كم من الوقت مضى على إغفاءتي. وعندما صحوت شعرت بأنني عدت من عالم آخر.. تذكرت طرقاتها نظرت إلى الساعة .كانت الثامنة والنصف .احتلني شعور بالألم والخجل: كم كنت سخيفاً معها!

فتحتُ الباب وسارعتُ إلى موقف السيارات. بحثتُ عنها في الشوارع. ولم أعثر لها على رائحة.

عدتُ إلى البيت خائباً ومنكسراً كشبح. لفت نظري ورقةٌ بيضاء كتبتْ عليها بخط مرتبك مرتين: أتيتُ ولم أجدك ... أتيتُ ولم أجدك.





حوار

الدكتور محمد شافعي أنطونيو

من البوذية إلى الإسلام

حاوره في جاكرتا

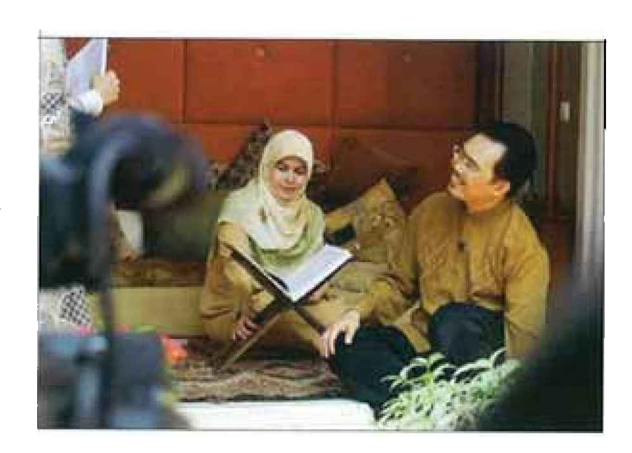
محمد السبيطلي

الرياض-السعودية

التقيته في جاكرتا، بعد اتصال هاتفي بيننا. لم أكن أعرفه من قبل سوى بعض ما قرأته عنه على الشبكة العنكبوتية. لكنه كان يسمع عن مؤسسة الملك فيصل الخيرية، وعن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، حيث أعمل، بمدينة الرياض. وعلى هذا الأساس رحّب بلقائي وبادر إلى زيارتي بالفندق. ثم دعاني إلى مرافقته لزيارة المبنى القديم بجامعة تزكية بمدينة بوغور، حيث حضرت اجتماعاً له مع أولياء الطلاب الخريجين. عند ذلك فوجئت بالحفاوة التي كان يُستقبله بها الطلاب وأولياؤهم. كان الجميع ينحنون تحية له، على الطريقة الآسيوية مع ضم الكفين دون مصافحة. ثم قمنا بزيارة المبنى الجديد للجامعة، وهو المركز الإسلامي بضاحية سنتول، المدينة الجميلة والهادئة التي تقع على مشارف بوغور للقادم من جاكرتا. وهنا أيضاً، المفاجأة الثانية، وهي رؤية القبّة الجميلة المحاطة بأربع مآذن لمسجد المركز الذي اختير له تسمية «أندلوسيا» (أي: الأندلس)، تذكيراً بالإنجازات العلمية والمعمارية والحضارية العامة للمسلمين في الغرب وتخليداً لها.

بعد ذلك التقيته أكثر من مرّة، وبخاصة تلك التي كانت في مطعم «ديرتنا» العربي في منطقة كيمانغ، جنوب مدينة جاكرتا. حيث دار بيننا حديث طويل عن الثقافة والسياسة في العالم العربي. وكان ذلك على عشاء عربي شرقي أعدته أيادي عائلة أردنية كريمة استوطنت جاكرتا منذ زمن. في مطعم «ديرتنا» ظننت أنني سأفاجئ الدكتور أنطونيو بدعوته إلى مطعم عربي، لكن ثبت أنه يعرف العائلة القائمة على المطعم منذ إقامته في عمّان. فكانت فرصة له لتجديد الذكريات مع صاحب المطعم وزوجته اللطيفة. أخذتنا أطراف الحديث إلى الأردن، ومصر، وماليزيا وأستراليا وإندونيسيا، وتونس. صحيح أنه لايعرف تونس، لكن تطرقنا إلى الأوضاع فيها، والطبيعة التسلطية لنظام «بن علي»، وفساده، مما جعله يُشّبه حكم سوهارتو في إندونيسيا الذي أطاحت به ثورة الشباب عام ١٩٩٨م. والذي اتّهم بقتل قرابة مليون شخص من المعارضين لحكمه.

تبلورت لدينا فكرة إجراء هذا الحوار في أثناء الحديث عن السيرة الذاتية للدكتور محمد شافعي أنطونيو،





عن إسلامه، ثم دراسته بالأردن، وزيارته للأزهر بالقاهرة، ودراسته العليا بماليزيا، وتخصصه في الاقتصاد الإسلامي وإسهامه في تجربة بناء البنوك الإسلامية في إندونيسيا.

- كيف تم اعتناقكم الإسلام، وما الوضع الديني للعائلة التي ولدتم فيها؟

بسم الله الرحمن الرحيم. أستطيع أن أقول: إن هدايتي أمر تم من الله. بالنظر إلى كيفية وصولي إلى الإسلام، وكيف كان حال عائلتي وبالخصوص في عائلة كان والدها راهباً كونفوشيوسياً أو ما يسمى بـ«هاكسو»، والهاكسو: زعيم طريقة دينية تمزج بين الكونفوشيوسية والبوذية، وهي طريقة فلسفية يُطلق عليها في الصين: «لاوتسه».

أبي يتميز بقدرته على قراءة كف اليد، والقيام بالفحص الطبي، «تشينشه»، وتقديم «الوصفة الطبية الصينية». أبي عنده فكرة غريبة عن الإسلام، هو يسمح لأبنائه بأن يعتنقوا أي دين من الأديان، سواء أكان البوذية، أم النصرانية، أي: الكاثوليكية، أم أي دين من الأديان، حتى الإلحاد، ما عدا الإسلام. الإسلام ممنوع؛ لأنه يعتقد أن المتخلف في بنجلاديش هم المسلمون، والمتخلف في السودان هم المسلمون، الذين يتنازعون ويتحاربون فيما بينهم في أفغانستان هم المسلمون، والذين يتعاطون السرقة والرشوة في العالم الإسلامي هم المسلمون. والتفكير العام السائد في البيت مثل هذا، لذلك كان الإسلام بعيداً مني في البيت.

لكن لما بدأت قراءة الكتب في بداية شبابي، وبخاصة المتعلق منها بمقارنة الأديان، ولاسيما التي تقارن بين النصرانية والإسلام، وجدت أن في النصرانية أشياء عجيبة جداً، مثل عقيدة التثليث، والخطيئة المتوارثة، وما أشبه ذلك من العقائد، وكذلك قرأت دراسة تاريخية عن الإنجيل، والتعارض الموجود بين الأناجيل والمقارنة بينها، وقد وجدت تعارضاً بين الصور والموضوعات، وبخاصة العهد القديم وقصّة داوُد وحكاية الزنا والفاحشة... في داخل الكتاب المقدس. قلت: يستحيل أن يكون الكتاب المقدّس بهذا الشكل. ولما قرأت كتب المقارنة، سواء أكانت لمثقفين مسلمين أو غربيين، مثل موريس بوكاي، فقد حدث لدي وضوح أكثر في الرؤية؛ لأن النصرانية الموجودة حالياً- وبالخصوص ما في الإنجيل- فيها مشكلات كثيرة. فقلت: من الصعب أن يبنى دين أو عقيدة على أساس غير سليم.

- في أي سنة من العمر كان اعتناقكم الإسلام؟

كان هذا تقريباً في أثناء الثانوية العامة، وكثير من الناس يقول: إن هذه القراءات أكبر من عمري. ولعل هذا يعود إلى طبيعة الكتب التي قرأتها التي تتعلق بالمقارنة بين الأديان والكتب السماوية، مثل كتابات الشيخ أحمد ديدات، ومؤلفات موريس بوكاي، وبعض الكتب لمؤلفين محليين في المقارنة بين النصرانية والإسلام، والإسلام والهندوسية، والإسلام والبوذية، وهي كتب من النوع الثقيل والمستوى العالي. كنت في شوق إلى الحقيقة مما دفعني إلى المواظبة على القراءة.

كان عمري حينها (١٧ أو ١٨) سنة. كنت في هذه المرحلة أرتاد مدرسة حكومية؛ لأن في المدينة التي كنت أسكنها كانت المدارس الحكومية هي أفضل المدارس. كانت توجد مدرسة تبشيرية في المدينة، إلا أن والدي سمح لي بأن ألتحق بالمدرسة الحكومية. في هذه المدرسة بدأت معرفتي الأولية بالإسلام، باعتبار أن أغلب الطلاب من المسلمين، والتقليد السائد هو أن تعطى دروس دينية بحسب ديانة أكثر الطلاب في الفصول، وعلى الطلاب الذين ينحدرون من ديانات مختلفة الحرية في الحضور أو التغيب عن هذه الدروس، لكنني كنت أحضر دروس التربية الإسلامية مع أنني أتيت من عائلة غير مسلمة.

بعد قراءة كتب المقارنة وصلت إلى قناعة مضمونها أن الإسلام ليس مثلما سمعت، وليس هو مثلما فهم أبي وغيره، وأن الإسلام أفضل وأحسن بكثير مما يظنون، لكن المسألة تتمثل في ضرورة التمييز بين شيئين: أولاً ما يسمى بالإسلام كنظام حياة شامل متكامل مُنَزَّل من الله، سبحانه وتعالى، إلى رسوله المصطفى، صلّى الله عليه وسلّم. هذا هو الإسلام، النظام. ثانياً: المسلمون الذين يقولون إنهم يتبعون هذا المنهج، لكن ليس بالضرورة أن يكون اتباعاً صحيحاً، وهذا ما نراه في إندونيسيا وبنجلاديش، وباكستان والسودان، وغير ذلك من بلاد المسلمين. الأسماء في البطاقة الشخصية هي: عبد الله، ومحمد، وبدر، وبكر، وعمر، لكن السلوكيات لا تمثل الإسلام والسنّة. وبعد التمييز بين الإسلام والمسلمين، أصبحت نظرتي إلى الإسلام أوضح.



د. الشافعي في ملتقى عالمي

- كيف كان رد فعل والدك وعائلتك على إسلامك؟

كانت هناك مضايقات (قال هذا ضاحكاً)، وبخاصة من

أبي عنده فكرة غريبة عن الإسلام، هو يسمح لأبنائه بأن يعتنقوا أي دين من الأديان، حتى الإلحاد، ما عدا الإسلام


د. الشافعي في إحدى المحاضرات

طرف والدي، فنظراً إلى منزلته الدينية، وبخاصة زعامته الدينية، إذ أحد أبنائه يعتنق الإسلام، وكأن شيخ قبيلة عربية مسلمة تنصّر أحد أبنائها فجأة، تصوّر.

بعد حوار ومناقشة معه، وبعد مضايقات من إخواني، قلت له: أبي، لقد قررت أن أُسْلِمَ. قال: إذا صممت على قرارك هذا فلا بد أن تغادر البيت. فأنت لست بولدي، ولن أنفق عليك! فقلت له: لا بأس، لقد قررت، وأنت ستظل أبي ووالدي، وهذه أمّي، وسأظل ابنكم، وسأعود يوماً ما إلى البيت، وسأخدمكم. بعد أن قلت هذا بيومين أو ثلاثة غادرت البيت وأخذت كرتوناً فيه ثلاث قطع من الثياب أو أربع. وتوجهت إلى المسجد الجامع في المدينة. وبقيت أتعلّم القرآن على يد إمام المسجد قرابة شهر. بعد ذلك أخذني إمام المسجد إلى معهد اسمه «معهد النظام»، الذي سمي «النظام» تيمُّناً بالنظامية في العراق التي درس فيه الإمام الغزالي.

مكثت في هذا المعهد الديني، لكن، الحمد لله سبحانه وتعالى، أحبني هذا الشيخ كثيراً، وساعدني من حيث التموين (ضاحكاً)، أي: القوت والغذاء، ومن حيث السكن؛ لأنني بقيت في سكن داخلي.

- هل أتممت الثانوية في المعهد نفسه وفي المدينة نفسها؟

الحمد لله! يسّر الله -سبحانه وتعالى- لي إتمام الثانوية العامة حتى النهاية. وبقيت في المعهد، وأمرني أستاذي بأن أحفظ المنظومات النحوية والصرفية، ومنها ألفية ابن مالك؛ حيث حفظت في ثلاثة أشهر ألف بيت، ثم حفظت الآجرّوميّة في أسبوعين ونظم العمروسي أيضاً في أسبوعين، ومنظومة صرف «يقول»، كذلك في أسبوعين، الحمد لله. وهكذا تعلّمت الفقه والحديث، والتفسير وكذلك علم البديع، وما أشبه ذلك من الكتب التراثية.

- ماذا بعد الثانوية العامة؟ وأين درست المرحلة الجامعيّة؟

بعد التخرج من الثانوية العامة قلت: أريد أن أواصل دراستي، فالتحقت بجامعة «الشريف هداية الله» بجاكرتا، وكذلك تقدمت بطلب إلى جامعة باندونغ للتكنولوجيا. لكنني حصلت على منحة للدراسة في الأردن. كان هذا تقريباً عام ١٩٨٦م.

بعد الحصول على المنحة والتذكرة أخبرت أسرتي وقلت لهم: لقد حصلت على منحة دراسية في عمّان، وهذا سيُمَكّنني من الحصول على بكالوريوس. فهل ترافقونني إلى المطار لتوديعي؟ الحمد لله رافقتني أمي إلى المطار، ومعها إخواني وأخواتي.

وقلت لأبي وأمي: أنت أبي وأنت أمي. بيننا خلاف عقيدي، لكن أنا ابنكم. وعملت بمقتضى الآية الكريمة: وإن جاهداك على أن تُشرك بي ما ليس لك به علم فلا تُطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا؛ لقمان: ١٥. كان هذا مبدئي وقراري.

ثم أنهيت دراستي في الجامعة الأردنية في ٣ سنوات و٣ أشهر تقريباً؛ لأنني كنت دائماً آخذ فصلاً صيفياً. وحصلت على بكالوريوس الشريعة والقانون، مع مادة اقتصاد كتخصص فرعي.

بعد ذلك توجهت إلى القاهرة للدراسة في الأزهر (عام ١٩٩٠م)، وبقيت بضعة أشهر في مدينة نصر. لكنني تراجعت عن ذلك واخترت التوجه إلى ماليزيا.

- وفي ماليزيا، أين درست، وماذا درست؟

درست بعد ذلك ماجستير بالجامعة الإسلامية العالمية، تخصص اقتصاد. وكان العميد الدكتور «جامع عثمان» يريد أن يجعل مني نموذج الجمع بين الشريعة والاقتصاد على الرغم من معارضة رئيس الجامعة الدكتور «عبد الحميد أبو سليمان».

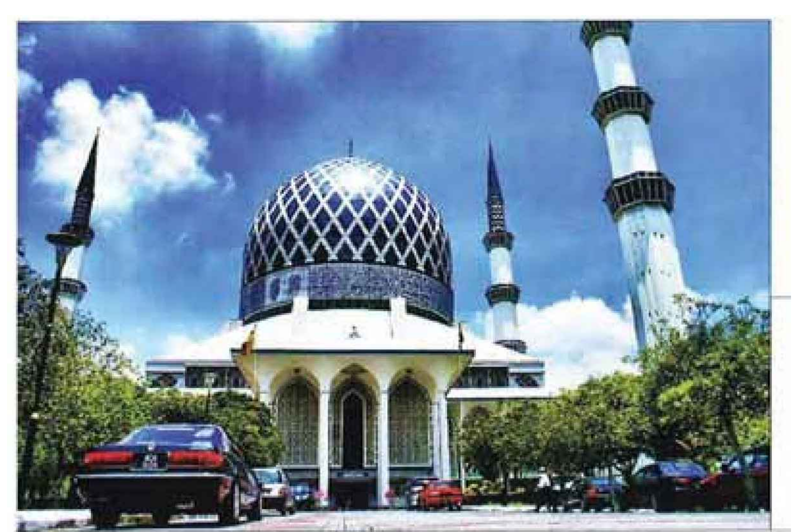
وجدت أن في النصرانية أشياء عجيبة جداً، مثل عقيدة التثليث، والخطيئة المتوارثة، وما أشبه ذلك من العقائد



في ماليزيا التقيت بعض مسؤولي «بنك المعاملات» الإندونيسي الذين جاؤوا للقيام بدراسة التجربة الماليزية في البنكية الإسلامية، وطلبوا مني العودة إلى جاكرتا للإسهام في التأسيس للتجربة الإندونيسية في مجال المالية الإسلامية.

تخرجت في ماليزيا عام ١٩٩٢م. يمكن القول إنني حصلت من ماليزيا على النموذج والبرنامج، والمنهج، من البنك الإسلامي فيها، ونقلت التجربة إلى جاكرتا وطبقتها في بنك المعاملات مع بعض التعديلات.

في جاكرتا، انضممت إلى بنك المعاملات، وعملت مديراً لمركز المديرين ومجلس الإدارة، ومسؤولاً عن الشؤون الشرعيّة في البنك (مجلس الإدارة، ومجلس المديرين ومجلس الرقابة الشرعية). وكنت أعد عملي في هذا البنك ولادة جديدة لي؛ إذ قمت بتطبيق ما درسته في كلية الشريعة والقانون وكلية الاقتصاد. وذهابي إلى ماليزيا كانت فيه حكمة كبيرة. إذ



المركز الإسلامي بمدينة سنتول، وفيه مبنى جامعة «تزكية»

بعد قراءة كتب المقارنة وصلت إلى قناعة مضمونها أن الإسلام ليس مثلما سمعت، وليس هو مثلما فهم أبي وغيره

كانت لي في ماليزيا اتصالات مكثفة مع صندوق الحج، ومختلف المؤسسات المالية الإسلامية، سواء أكانت بنوكاً أم شركات تأمين، أم أسواق أسهم، فماليزيا تعد رائدة في مجال المالية الإسلامية.

من بنك المعاملات إلى مجموعة « تزكية»

- كيف انتقلت من العمل في بنك المعاملات إلى تأسيس مجموعة تزكية؟

بقيت أعمل في بنك المعاملات أكثر من أربع سنوات، أي إلى آخر عام ١٩٩٦م. ولعل الدم التجاري الصيني كان يجري في عروقي مرّة ثانية (قالها ضاحكاً). وكان بعضهم يقول لي: أخي أنطونيو، أنت مجنون؟ حصلتَ على منصب ممتاز وتود التخلي عنه؟ فقلت: الحمد لله! أخذت من البنك الكثير، وهو قد يستفيد منّي في عدّة مجالات ، خصوصاً أنني كنت أظهر في التلفاز والراديو، وأتكلم على الاقتصاد الإسلامي والمالية الإسلامية. فقلت: لا بد أن أخوض تجربة جديدة في حياتي، أريد أن أعمل في القطاع التجاري. فأسست «شركة تزكية» عام ١٩٩٦م. وأول وحدة منها كانت «شركة الحج والعمرة»

بعد هذا التوفيق من الله، سبحانه وتعالى، أسست «شركة التكافل الإسلامي» ، وأنا أعد أحد المؤسسين لهذه المجموعة، ولست الطرف الوحيد: فأنا مؤسس من حيث الإدارة والفكرة الشرعية. بعدها بسنة أسس «صندوق الصكوك الإسلامية» بإندونيسيا. وقد طلب مني الإشراف على ذلك. كما كان هناك طلب من البنك المركزي بعد الأزمة المالية لعام ١٩٩٨م تقريباً التي ضربت الاقتصاديات الآسيوية. فكان البنك المركزي يريد أن يعرف البديل للمؤسسات المالية التقليدية. وكان لي حوار مع محافظ البنك المركزي، فقدمت له بعض الاقتراحات والحلول للخروج من هذه المشكلات. فقال لي: قصدك «المالية الإسلامية»؟ فقلت: نعم، الحل هو المالية الإسلامية. فقال لي: إذن أنت من الآن فصاعداً عضو استشاري في مجلس المصرف الإسلامي. فقبلت هذا العرض.

بدأت أعمل في قطاع تدريب الكفاءات البشرية، وتقديم الاستشارات للبنك المركزي. وبدأ البنك المركزي يدعو رجال البنوك التقليديين إلى أن ينضموا إلى التدريبات.

تبنينا المايكرو فاينانس؛ لأن نسبة الفقر في إندونيسيا كبيرة جداً، وهي من المشكلات الكبرى التي تواجه البلاد

الحمد لله، أسستُ «فرع تزكية الاستشاري للمصرف الإسلامي»، كما أسستُ فرع «تزكية للتدريب على فقه المعاملات والمصرفية الإسلامية». بلغ عدد المشاركين إلى الآن نحو عشرة آلاف شخص، وأكثر من ١٤ بنكاً تحول من البنكية التقليدية إلى البنكية الإسلامية، و٧ شركات تأمين تقليدي فتحت فروعاً إسلامية لها، وعدّة صناديق تقليدية تحولت إلى صناديق إسلامية.

- وماذا عن جامعة تزكية للاقتصاد الإسلامي؟

لما رأيت أن هناك نقصاً في الطاقات البشرية في صناعة الاقتصاد الإسلامي، أخذت، عام ٢٠٠١م، قرار تأسيس جامعة «تزكية». لكن قبل ذلك بتسعة أشهر قررتُ مواصلة دراسة الدكتوراه. كان هذا في عام ٢٠٠٠م.

الدراسة في جامعة «ملبورن»

ذهبت إلى ملبورن ومكثت هناك ثلاث سنوات. وكانت رسالتي موضوعها «البنوك الإسلامية في إندونيسيا ودور التمويل المحدود» (Micro -Finance). وتحدثت فيها عن الحوار والجدال بين مختلف التيارات الإسلامية في إندونيسيا حول الربا، وبخاصة بين «المحمّدية» و«نهضة العلماء». وعن كيفية تأسيس أول مصرف إسلامي في إندونيسيا. لكنني ركزت في كيفية تمويل القطاعات الصغرى. وأنا الآن أطبق الأطروحات والأفكار التي جئت بها في رسالة الدكتوراه. فالقناعة التي كانت لدي منذ الأيام الدراسية أنه يمكن تقوية الاقتصاد القومي، والحد من عدد الفقراء، ليس هبة ولا صدقة، إنما عن طريق المرابحة، والمشاركة، والمضاربة ...

بعد أن عدت من أستراليا حاولت تقوية الجامعة، لكن لم يكن لدي التمويل الكافي، فقلت: لا بد من إستراتيجية، وكانت الفكرة استئجار مبنى الجامعة. وقلت للزملاء: ليس لدينا المبالغ المالية الكافية، لكن لا بد من بناء الجامعة. ولدينا فقط الهمّة، والرسالة، والطموح. وقبل الزملاء الفكرة. ولاسيما أننا نقدم أفكاراً جديدة في إندونيسيا، ليس على مبدأ رأسمالي، وإنما على أساس الإسلام، ونحن نجاهد من أجل دعم الفقراء، ليس من حيث الزكاة والصدقة، إنما بإدماجهم في الدورة الإنتاجية.

لذلك بعد عودتي من أستراليا حاولت أن أجعل مختلف المؤسسات التي كوّنتُها قويّة ومربحة، وقادرة على الاستمرارية. الحمد لله، كانت «تزكية الاستشارية» تعمل بشكل جيد، وكذلك «شركة الحج والعمرة»، وكذلك كانت الجامعة تزداد قوّة كل يوم. فعدد الطلاب بدأ بنحو (٥٠)، ونحن الآن نستقبل كل سنة أكثر من (٢٥٠) طالباً جديداً، وهذا يعد في إندونيسيا

مقبولاً وأكثر من مقبول. وكانت الإستراتيجية إذن هي الاستئجار أولاً، ثم شراء الأرض، ثم في المرحلة الثالثة يكون البناء. الحمد لله! نحن الآن في المرحلة الثالثة من المسيرة، فقد بنينا الجامعة، والمسجد الجامع، والمركز الإسلامي في سنتول، ضاحية جاكرتا؛ وذلك لتجميع كل المؤسسات في مقر واحد، والتخلي عن التحركات والأعمال المشتتة.

– بما أنكم روّاد المالية الإسلامية في إندونيسيا، كيف تصرفتم أمام عدم توافر المقررات الجامعية؟

كنا، في أثناء تأسيس الجامعة، نشعر بالنقص في المقررات، فعملنا على وضعها وتأليف الكتب المنهجية. ولأجل ذلك تم تأسيس دار للنشر، كما أسسنا فرعاً للدراسة عن بعد، أي: عبر الإنترنت، ولنا فرع في سومطرة، وآخر في إريان، وفرع ثالث في كلمنتان.

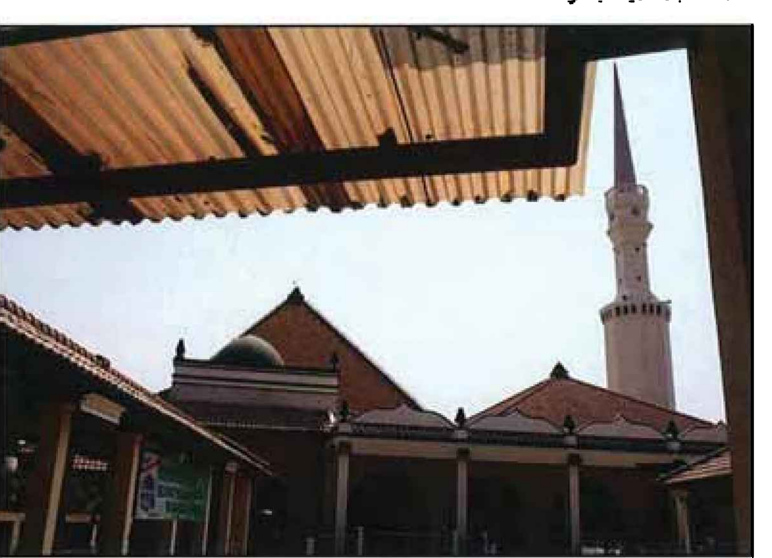
– لماذا اخترتم منطقة سنتول بالذات؟

المركز الإسلامي سيكون مجمّعاً واحداً لكل هذه الأنشطة والأعمال. ولما كنت بصدد اختيار المنطقة للمركز الإسلامي اهتديت، بفضل الله، إلى سنتول. فوجدت نفسي محاطاً بسبعة مراكز تنصيرية. منها معهد الكتاب المقدّس (خمسة طوابق) وكنيسة ومدرسة، ومقر لشهود جيوفا، ومعهد الرهبان الإندونيسي. وكذلك كاتدرائية بوغور. ومركز تنصيري لمعالجة مدمني المخدرات، هذا كله في سنتول، والمركز الإسلامي في مواجهة كل هذا، إلى جانب معالجة الفقر في المنطقة. والله المستعان؛ فسنتول تسكنها الصفوة الاجتماعية، لكن يحيط بها حزام من الفقر المدقع، وهؤلاء الفقراء يشكلون هدف التنصير. ولما رأينا هذا قلت للفريق الذي يعمل معي: لا بد من الخروج من الجامعة والعمل فيما وراء أسوارها، أي في المحيط البائس والفقير. قلنا: لا بد من تطبيق ما تعلمناه. أخذنا تصوُّراً عن (المايكرو إيكونوميك)، و(المايكرو فايننس إنباورمنت) واستفدنا من تجارب غيرنا في بعض الدول الآسيوية، مع مراعاة الجانب الشرعي بخصوص العقد الربوي، واعتمدنا العقود اللاربوية، وعملنا بعقود مرابحة، وإجارة، أو مضاربة... وأدخلنا إلى جانب ذلك تعليم القرآن، ودعونا المشتركات إلى اللباس الشرعي، فبعثنا برنامجاً أطلقنا عليه « برنامج الألف جلباب»، فجمعنا ألف جلباب وقد بيع الجلباب الواحد بألف روبية (كان الدولار الأمريكي حينها يساوي ٨ آلاف روبية إندونيسية). فتَمَكّنَّا من جمع (٢٣٠٠) جلباب وبيعت مقابل «كُبونات» تلتزم صاحباتها دفع الثمن، وهو ألف روبية للجلباب. وهو ثمن رمزي؛ لأننا لا نريد أن نعوّد الناس على الأخذ المجاني.

– لماذا تبنّيتم المايكرو فاينانس (تمويل المشروعات الصغرى)؟

تبنينا المايكرو فاينانس؛ لأن نسبة الفقر في إندونيسيا كبيرة جداً، وهي من المشكلات الكبرى التي تواجه البلاد. يقدّر عدد الفقراء إحصائياً بأربعين مليون شخص (أي ١٤٪

أحد مساجد مدينة جاكرتا



وجدت قناعة لدى أسرتي التي وُلدت فيها بأن أنطونيو جاد في دينه، فحدث تحول لدى أغلب أفراد أسرتي، وأصبح أغلبهم يحبونني

من السكان). لكن مستوى الفقر حسب الإحصاءات الرسمية يبدو غير صحيح. فالفقير هو من يحصل على (٢١٠٠) سعر حراري من الغذاء في اليوم؛ ما يعني أن يكون الدخل (٢٢) دولاراً شهرياً. وذلك مستحيل، وهذه ليست أرقاماً صحيحة إنما هي أرقام سياسية. فالبنك الدولي حدد مستوى الفقر بأقل من دولارين يومياً، أو بمعدّل (٦٠) دولاراً شهرياً. في حين تقدم الحكومة (٢٢) دولاراً شهرياً. مما يعني أننا نحصل على ثلث عدد الفقراء فقط من المستوى الذي حدده البنك الدولي. فإذا قبلنا بما يقوله البنك الدولي نجد أن عدد الفقراء في إندونيسيا يراوح بين (١١٠) ملايين و (١٢٠) مليون شخص.

- كيف انعكست الأزمة المالية العالمية على اقتصاد إندونيسيا؟

حدثت الأزمة المالية في عصرنا الراهن مرتين: الأولى كانت عام ١٩٩٧م، والثانية عام ٢٠٠٨م. الحقيقة: أننا إذا نظرنا إلى تاريخنا المعاصر نجد أن الأزمة الاقتصادية منذ ١٩٠٧م إلى اليوم وقعت (٢٣) مرّة. مثل: أزمة ١٩٠٧م، و١٩١٤م، و١٩٢٠م، و١٩٢٩م، كما حدثت عدّة تراجعات اقتصادية في الثلاثينيات، وفي الأربعينيات في أوربا، وفي الخمسينيات في أمريكا اللاتينية، وفي الستينيات في أسيا، حيث شهدت إندونيسيا عدّة مجاعات، وفي السبعينيات حدثت في أسيا، وفي الثمانينيات حدثت أيضاً في روسيا، وفي التسعينيات نذكر أزمة جنوب شرق آسيا، وفي ٢٠٠٨م حدثت في قلب الرأسمالية، أي: في أمريكا.

والأزمة توحي بوجود خطأ ما في مكان ما من هذا النظام وآلياته. فلا بد من إعادة النظر. والناس بعد الأزمة يتطلعون إلى البديل للمصرف التقليدي. لذلك بدأ يتوافر للمصرف الإسلامي المكان والإقبال، والاحترام، من حيث الحكومة التي بدأت تهتم بذلك من خلال وزارة المالية والبنك المركزي.

- ما حجم الأضرار التي أصابت الاقتصاد الإندونيسي؟

لقد تضررت إندونيسيا كثيراً، ففي أزمة التسعينيات تراجعت نسبة النمو إلى مستوى (-١٣٪) أيام الأزمة، في عام ١٩٧٩م، و١٩٩٨م، و١٩٩٩م حتى عام ٢٠٠٠م. وهذا وضع صعب جدّاً. ثم بدأت ترتفع النسبة إلى (١٪) و(٢٪).

أما أزمة عام ٢٠٠٨م، فيمكن القول: إننا تلقينا درساً من أزمة نهاية التسعينيات، وتعلمنا كثيراً. فلم يكنْ بدٌّ من تقوية البنوك، والاستفادة من التجربة الإسلامية، ودعم الاقتصاد المحلّي. ولاسيما أننا نمثل سوقاً داخلية ضخمة تقدّر بـ (٢٤٠) مليون نسمة، كما أن اعتمادنا على الخارج في المجال الاقتصادي محدود نسبياً. كل ذلك ساعد على التخفيف من الأزمة، وهذا الأمر ينطبق على كلٍّ من إندونيسيا، والهند والصين، وروسيا والبرازيل. لذلك ظلت نسبة النمو في كل هذه البلدان إيجابية، في حين كانت نسبة النمو في الولايات المتحدة الأمريكية، وأوروبا، وسنغافورة واليابان، سلبية.

- هل كان للمؤسسات المالية الإسلامية دور ما في

أنطوليو في سطور

- من مواليد عام ١٩٦٧م بمدينة سوكابومي بجزيرة جاوة الوسطى.
- عُيِّن في يونيو عام ٢٠١٠م عضواً بالمجلس القومي الاقتصادي بمرسوم رئاسي.
- حائز على جائزة من بنك معاملات إندونيسيا، وبنك إندونيسيا، ومجلس علماء إندونيسيا؛ لإسهاماته في مجال الاقتصاد الإسلامي والمصرفية الإسلامية.
- منحته جائزة مكافحة الفساد والإدارة المتميزة، وزارة أجهزة الدولة عام ٢٠٠٧م.
- جائزة تقدير من منتدى المصرفية العربية الأسيوية عام ٢٠٠٨م.
- اختارته حكومة أستراليا كأفضل الخريجين الجامعيين الأستراليين من فئة قادة الأعمال التجارية (جائزة أفضل خريجي الجامعات الأسترالية لعام ٢٠٠٩م).
- كرّمته عام ٢٠١٠م وزارة الشؤون الدينية الإندونيسية كواحد من أفضل الباحثين المسلمين.

تخفيف الأزمة عام ٢٠٠٨م في إندونيسيا؟

نعم، كان للمؤسسات المالية الإسلامية نصيب في ذلك؛ إذ كان عدد المؤسسات المالية الإسلامية قد بدأ يتكاثر، ولما اندلعت الأزمة كان في إندونيسيا نحو عشرة بنوك إسلامية، وثلاث وعشرون شعبة أو نافذة إسلامية لدى البنوك التقليدية، وما يقارب (٤٤) شركة تأمين إسلامية. وعلى الرغم من ذلك فنسبة هذه المؤسسات لا تمثل سوى (٣٪) من مجمل المؤسسات المالية في البلاد. أما عدد الفروع والمكاتب والعملاء فإنه يقدر بما يقارب خمسة ملايين. ومن هنا ثمة أثر للمؤسسات المالية الإسلامية، على الأقل من حيث أخلاقيات رجال البنوك التقليدية، ولاسيما أخلاقيات سياسة الإقراض. نعم يوجد تأثير أكيد.

– كيف ترون مستقبل المالية الإسلامية في إندونيسيا؟

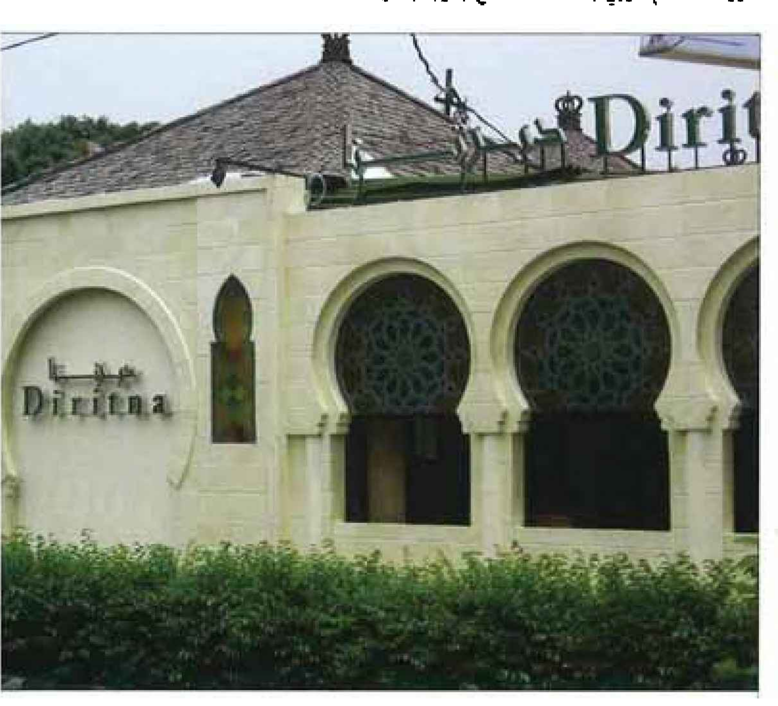
نحن نتوقع مستقبلاً زاهراً، ونمواً كبيراً. فعلى المستوى القانوني، صادق مجلس النواب هنا على قانون خاص بالمصرف الإسلامي، المسمى (Islamic Banking act)، وقانون خاص بالصكوك، وقانون خاص بالزكاة وإدارة الوقف. كل هذه القطاعات تشكل، مجتمعة، البنية التحتية للاقتصاد الإسلامي في أي بلد من البلدان. صحيح أن هذه القوانين جاءت بعد نقاش وحوار وجدال، لكنها في النهاية صدرت. كما أصبحت المالية الإسلامية نموذجاً واضحاً، فكل البنوك الحكومية الكبرى لها فروع إسلامية، وكذلك كل شركات التأمين الكبرى استحدثت فروعاً إسلامية لها. وهذه ظاهرة مثل ظاهرة الحجاب والجلباب. في السبعينيات كانت المرأة المحجبة في إندونيسيا تبدو شاذة عن المألوف. أما اليوم في شوارع المدن الإندونيسية فالمرأة غير المحجبة هي التي تمثل ظاهرة غير مألوفة.

أما نسبة نمو المصرف التقليدي في إندونيسيا فهي (١٥٪)، وأما نسبة نمو المصارف الإسلامية فهي نحو (٢٨٪)، وفي بعض الأوقات وصلت إلى (٦٠٪). وذلك بسبب تأسيس عدد من البنوك في السنة ذاتها. والآن الظاهرة تتجه نحو تمويل القطاعات الصغرى، والرهن، لأن من يمارس الرهن هم الضعفاء اقتصادياً، منهم من يرهن سيارته، أو من ترهن ذهبها للحصول على مبلغ مالي. يمكن القول: إن هذه الشريحة تمثل الطبقة الوسطى وما تحت الطبقة الوسطى. وهؤلاء هم معظم سكان إندونيسيا.

– رأيت بعض مؤلفاتكم في الاقتصاد الإسلامي، هل يمكن التعريف ببعضها؟

نعم، كتبت مجموعة من الكتب في المالية والاقتصاد الإسلاميَّيْن، ما يربو على (٢٠) كتاباً؛ أحدها عن المصرف

•ديرتنا، مطعم عربي في منطقة كيمانغ جنوب جاكرتا



حصلت من ماليزيا على النموذج والبرنامج، والمنهج، من البنك الإسلامي فيها، ونقلت التجربة إلى جاكرتا

الإسلامي، وآخر عن الإدارة والقيادة الإسلامية، وآخر بعنوان: المصرف الإسلامي من النظرية إلى التطبيق، طبع أكثر من (١٥) مرّة، وهو كتاب معتمد في كثير من الجامعات، وكتاب آخر عن مؤسسة التحكيم في حل النزاعات بين المؤسسات المصرفية الإسلامية وعملائها، وكتاب يتضمن أبحاثاً عن القيادة والإدارة على منهج النبوّة.

كيف تُدرس القيادة والإدارة من خلال سيرة الرسول، صلى الله عليه وسلّم؟ يكون ذلك في ثمانية مجالات: أولاً: التنمية الذاتية، وثانياً: التجارة (فرسول الله، صلى الله عليه وسلّم، كان تاجراً لمدة (٢٥) عاماً، ونبيّاً رسولاً لمدّة (٢٣) عاماً، وكان يقوم على تجارته بأمانة، وصدق، وإخلاص وفطنة)، وثالثاً: إدارة الأسر، ورابعاً: مجال الدعوة، وخامساً: الشؤون الاجتماعية والسياسية: كيف أدار شؤون المهاجرين، والأنصار واليهود، والمنافقين؟ كل ذلك في مكان واحد، ومدينة واحدة! وهنا نشير إلى صحيفة المدينة، وسادساً: المجال التربوي: إذ نجد لدى رسول الله، صلى الله عليه وسلّم، أكثر من (٢٠) طريقة أو منهجية تعليمية وتربوية، وسابعاً: التنمية القانونية، وثامناً: إدارة الجيش والدفاع. وهذه الدراسات أحاول أن أجعلها في موسوعة أسميها: «موسوعة محمد، صلى الله عليه وسلّم، في القيادة والإدارة».


•دار القرآن، متحف مخطوطات قرآن كريم بجاكرتا

- في النهاية، بعد هذه الجولة، لو عدنا إلى عائلتكم التي ولدتم فيها وعلاقتها بالإسلام؟

بعد هذه الجولة العلمية والثقافية، والتربوية، والمالية، وجدت قناعة لدى أسرتي التي وُلدت فيها من أن أنطونيو جاد في دينه، فحدث تحول لدى أغلب أفراد أسرتي، وأصبح أغلبهم يحبونني، ولاسيما أنني أولهم حصولاً على الدكتوراه، وإن كنت أصغرهم سناً. وبتوفيق من الله أصبحت أيضاً أكثرهم ثروة، وأصبحت مرجع العائلة، إذا حدثت مشكلة من أي نوع كانت، صحيّة، أو مالية، أو تربوية. بعد سنتين من عودتي من ماليزيا، ومن خلال دعوتي لوالدي بالحال أكثر من المقال، أسلمتْ والدتي، وأذكر أنها قالت لي حينها بلهجتها الدارجة: «أنطونيو، الإسلام كويس وأنا قررت أن أمشي معك». وأسلمتْ والدتي والحمد لله فاصطحبتها إلى الحج والعمرة، وَارْتَدَت الحجاب، واستقامت على دينها، وقد توفيت قبل سنة - تقريباً- من الآن في المسجد في السجدة الثانية من صلاة الفجر، رحمها الله وأسكنها واسع جنانه. كان ذلك يوم ١٤ أكتوبر من عام ٢٠٠٩م.

عند هذه الذكرى المؤثرة انتهى حديثي مع الدكتور أنطونيو، وفارقته في الساعة العاشرة ليلاً متوجهاً إلى الفندق الذي سكنته في منطقة كيمانغ، جنوب مدينة جاكرتا. لكن الدكتور أنطونيو عاد إلى مبنى المركز الإسلامي (أندلوسيا) لمتابعة إشرافه على أعمال البناء والتشييد والتأثيث: إذ يتواصل عمل الرجل، في أغلب أيام الأسبوع، حتى منتصف الليل.



الخيال العلمي في مسرح الطفل: معوقات الحاضر وضبابية المستقبل

محمود محمود محمد قاسم
القاهرة - مصر

مثلما لم نقترب كثيراً من العلم في حياتنا العامة، فإننا لم نقترب أيضاً بالدرجة نفسها من الإبداع المرتبط بالتخيل العلمي، في حياتنا الإبداعية. وقد قوبلت التجارب الخاصة بالخيال العلمي في الأدب والسينما برؤية دونية، حالت دون تقدم هذا النوع من الإبداع على الخريطة العربية في الوقت نفسه الذي تزدهر فيه هذه التجارب في عدد من البلدان من حولنا.

وأغرب ما في هذا الأمر أن العرب الذين شاركوا في إبداع ألف ليله وليلة .. بخيالاتها الواسعة، وفنتازيا ليس لها مثيل حتى الآن، قد بدوا متعطشين أكثر إلى الماضي إبداعاً وتواجداً أكثر من التصاقهم بالواقع المعيش والمستقبل القريب القادم حتماً.

وقد انعكس هذا الأمر أيضاً على مجال ثقافة الطفل، سواء من حيث الروايات المكتوبة، أم من حيث كتب الأطفال المعدة سلفاً، وأيضاً من خلال سينما الطفل المنتجة في العالم العربي، أو برامج التلفاز والسيناريوهات التي تنشرها المجلات وبالطبع في مسرح الطفل.

وقبل الحديث عن التخيل العلمي في مسرح الطفل، فإنه من المهم الإشارة إلى خطورة تداخل المصطلحات لدى الباحثين أنفسهم، والمهتمين بهذا النوع من الإبداع، فضلاً عن المتلقي العادي لهذا النوع في المجالات كافة المشار إليها حيث يتم التعامل مع كل من: الفنتازيا والفنتازيا العلمية، والخيال السياسي وأدب التخويف على أنها من الخيال العلمي، وهذا غير صحيح، فهي أنواع انبثقت من النوع الأم.

ومن ثم، فإننا سنجد أنه عندما يقوم كاتب بتأليف مسرحية أو رواية من نوع التخيل العلمي، فإنهم - في أغلب الأحيان - يخلطون بين المفاهيم، ومن هنا يأتي الخلط، وعدم الفهم، وخروج النص وقد تضمن تشكيلة غير متوقعة تماماً.

وقبل الحديث عن التخيل العلمي، فإن المصطلح يعني في المقام الأول الإبداع بما يتفق، وما يمكن أن يحققه العلم للإنسان، حاضراً ومستقبلاً في الأرض والفضاء. فالخيال العلمي ينقسم إلى أرضي تدور أحداثه فوق الأرض من جبال وبحار وأعماق محيطات، ثم هناك الخيال العلمي الفضائي الذي تدور أحداثه في الفضاء ومن حولنا.

والتخيل العلمي مرتبط بقدرة الإنسان على التنبؤ بقراءة المستقبل والتعرف إليه، من خلال قراءة خريطة الحاضر، فليس هنا تنبؤ مرتبط بفراغ، ولكنه يستمد أحواله من الواقع المعيش، وأهمية التخيل العلمي للطفل، إنه مثل الفنتازيا، فيه الخيال الجامح، ويلعب البطل التراجيدي دوراً قدرياً في تحقيق المأمول فيه، وإنقاذ البشرية، وفي أغلب الأحيان فإن قصص الخيال العلمي المكتوبة للأطفال تكون أقرب إلى قصص الكلاسيكية المكتوبة منذ عهود بعيدة . وقد ارتدت مسرح المستقبل فالبطل التراجيدي أو القدري يبحث عن حل للمشكلات العويصة التي طاردت سلفه الكلاسيكي مثل محاربة الشر والقضاء على أركانه وتحقيق العدالة والبحث عن أمل لصناعة تربوية والعيش في سلام. كما تجيء أهمية التخيل العلمي في أنه يتفق مع قدره الطفل على التخيل، فعقلية الصغار أشبه بالإسفنجة التي يمكنها أن تستوعب أكبر كم من التخيل وتتسع درجة تشربها لهذا التخيل كلما تم مدها بذلك. ومن هنا فإن قصص الفنتازيا ومن بعدها التخيل العلمي والفنتازيا العلمية تجد هوى واضحاً لدى هؤلاء الأطفال.

وتأتي حساسية التعامل مع التخيل العلمي، أن العلم المعاصر نتاج غربي، وأن التخيل العلمي أيضاً نتاج هذه الثقافة، ولأننا - في كثير من الأحيان - ننظر إلى هذه الثقافة بالمزيد من الريبة والتشكك: لذا فقد كان من الأكثر أمناً أن نتعامل مع النصوص والأنواع المضمونة، وعلى رأسها التراث والقصص القديمة وحكايات الأجداد.

وقد تعامل مسرح الطفل العربي مع الخيال العلمي باستحياء شديد. حتى هؤلاء الذين كتبوا له وعنه، فإنهم لم يكونوا مع استيعاب حقيقي بالنوع وصحة المصطلح، ونظروا إلى الروبوت والرحيل إلى الفضاء بشكل محدود جداً.

وأهمية الخيال العلمي في المسرح أنه يخاطب لدى الصغير المستقبل القادم حتما إليه في عصر تتحرك فيه الأشياء بالمتوالية الهندسية التي يفكر بها العالم. والمتوالية الحسابية التي يفكر فيها المبدع ففي سنوات سابقة كان خيال الأديب أكثر اتساعاً من إنجازات العالم، لكن مع عصر الرقميات فإن الأمر قد انقلب. وعليه فإن أحداً من الذين كتبوا قصص التخيل العلمي ومسرحياته لم يتنبؤوا قط بهذه الطفرة المجنونة التي أحدثتها ظهور شبكة المعلومات أو التطورات اللاحقة لأجهزة الهواتف المحمولة.

لكن في مجال الروبوت الآلة الذكية الأقرب إلى البشر فإن التخيل لا يزال يسبق العلم حتى يأتي اليوم الذي يحدث فيه العكس.

ودعوني أحدثكم عن تجربة غير مسبوقة في مسرح الخيال العلمي العربي. من خلال تجربة غير تقليدية، وهي مسرحية (زيزو موهوب زمانه) التي عرضها مسرح الطفل عام ١٩٩٧م من إخراج الدكتور محمد أبو الخير، وهي المسرحية الأولى في مسرح الطفل العربي. التي كان نجاحها سبباً في عمل مسرحية جزء ثان أو مسرحية أخرى على غرارها هي (زيزو ديجيتال) للمخرج نفسه عام ٢٠٠٢م.

وقبل الحديث عن المسرحية فإن كتاب مسرح الطفل الذي نشره المركز القومي لثقافة الطفل عام ٢٠٠١م قد أشار أن زيزو موهوب زمانه قد حقق أعلى الإيرادات في مسرح الطفل بمصر. واستمر عرض المسرحية ما يقارب تسعة أشهر.

المسرحية باختصار تتصور أن العالم (علام) تمكن من عمل اختراع إلكتروني يمكنه أن يجعل الروبوت موهوباً في الإبداع. أسوة بالإنسان فيمكن أن يكون لديك في المنزل روبوت هو شاعر موهوب أو مخرج أو ممثل أو موسيقار وما شابه ذلك.

وزيزو الروبوت الذي اتسمت صناعته بخطأ في البرمجة يتمكن من خلال العالم أن يصير موهوباً ومرة شاعراً فيردد شعراً متدني المستوى الفني، وعندما يصير موسيقاراً يصنع الموسيقا ونشازها ومن هنا فإن عليه أن يقتنع أن الموهبة سمة إنسانية.

وفي الحقيقة فإنني بوصفي مؤلفاً لهذا النص أعترف أنني تصرفت بشكل رجعي فماذا يمكن أن يحدث في خلال العقود المقبلة لوتمكن العالم فعلاً من صنع برامج للموهبة، وهو أمر غير مستبعد؟ لا شك أن قراء أو مشاهدي المسرحية سيتهمون صاحبها بالتخلف في ذلك الزمان الآتي. وقد دارت المسرحية الثانية أيضاً في الأجواء نفسها وهذا يعني أننا علينا أن نسلم بأن الإنسان سيصير سيداً للكون، وهو أمر يتنافى مع واحدة من كبريات المسرحيات الخيال العلمي وهي RUR للكاتب التشيكي كارل تشابك.

تضع هاتان المسرحيتان واقع مسرح الخيال العلمي المستقبل أيضاً في دائرة الحكم على ما نراه على رغم الإيرادات الطيبة جداً.

أولاً: في مسرح التخيل العلمي هناك دائماً ما يتفق وما أسميناه باسفنجية الخيال من ناحية الديكورات المبهرة والإضاءة والتغيرات السريعة للمشاهد والملابس. وللأسف فإن ديكور المسرحيتين كان ثابتاً لا توجد شاشة أو أستار تفتح، ويعتمد الديكور على هياكل تقليدية وملابس لا يغيرها الممثلون طوال العرض.

ثانياً: اعتمد المخرج في هذين العملين على الاستعراض الغنائي فتغلب على النص الدراما بدرجة أضاعت الفكرة الأساسية. ولعل المخرج في هذا يود أن يشد انتباه المشاهد الطفل الملول بدلاً من أن يضيع تركيزه.

ثالثاً: مثل أغلب مسرحيات الأطفال فإنه لم يتم إسناد أدوار البطولة إلى نجوم كبار وجودهم وحده كفيل باستجلاب الأطفال وأسرهم لمشاهدة ما يمثلون، ومن ثم فإن هذا الوجود لنجم يمكن أن يجعل المسرحية في دائرة الاهتمام الأكبر. لكن وجود ممثل أقل نجومية على رأس هذه الأعمال يجعل النظرة دونية إلى مسرح الطفل. وقد حدث هذا في مسرحيتي زيزو موهوب زمانه وزيزو ديجيتال، بل إن الأمر وصل إلى أن الممثل الرئيس ترك المسرحية بعد شهرين من العرض، وقام المخرج نفسه، وهو أيضاً ممثل، بأداء الشخصية الرئيسة.

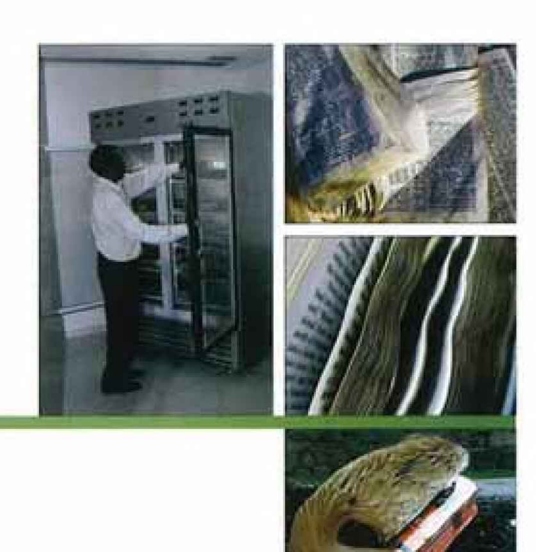
رابعاً: قليلة هي المتابعات النقدية الحقيقية لهذا النوع من النصوص المسرحية. وهذا يعني أن مسرحية الطفل هي في المقام الأول عمل إبداعي من الدرجة الثانية. وكان كل ما يعني الطفل وثقافته يأتي في أولوية تالية لما يبدع للكبار.

طوال هذه السنوات العشر الماضية لم يعرض مسرح الطفل نصاً إبداعياً ينتمي إلى التخيل العلمي بمفهومه السابق شرحه. وهذا يعني أن الطفل المحاط بالعلم، ونتاجه في كل حياته، يفتقر إلى نص مسرحي حقيقي يتنبأ معه بالمستقبل الذي سوف يعيشه، ويقرأ له هذا المستقبل بوجهه نظر مملوءة بالسحر والخيال والجاذبية.



جهاز «الفيصل»

Wei T'o



للتعقيم بالتبريد

الأمثل للحفاظ على التراث المخطوط

سعى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية إلى حماية التراث الإسلامي والإنساني مما يضرّ به من آفات طبيعية، فابتكر وسيلةً ناجعةً، وأكثر فعاليةً، وأقلّ تكلفةً، وأوفر للجهد، وآمن لأوعية التراث المخطوط، من خلال جهاز «الفيصل Wei T'o». وهي طريقة التبريد الجافّ بأكثر من ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر؛ مما يقضي على جميع الحشرات والفطريات مرةً واحدةً بتعريضها فجأةً لدرجات برودة منخفضة جداً وجافة؛ فلا تستطيع هذه الآفات أن تتواكب مع هذا التغيّر السريع.

وسائل الاتصال بالمركز:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ تحويلة ٦٦٣٨ - مباشر: ٤٦٢١٧٠٦

صدر حديثا عن:

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
إدارة التسويق: ٤٦١١٢٠٨
ناسوخ: ٤٦٥٠٨٥٧
ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣



لقاء الحضارات

تأليف

يوسف كرباج　　إيمانويل تود

ترجمة

محمد السبيطلي　　نورهان علي صالح

الرياض
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

لقاء الحضارات

تأليف: يوسف كرباج / إيمانويل تود

الكتاب:

"صدام الحضارات" لن يقع؛ بل على العكس من ذلك، هناك موجة التقاء قوية تلوح الآن على المستوى العالمي. والعالم الإسلامي لن يشذّ عن القاعدة؛ فمن المغرب إلى إندونيسيا، ومن البوسنة إلى شبه الجزيرة العربية، تشهد الديمغرافيا على ذلك: ارتفاع نسبة التعليم في صفوف الرجال والنساء، وانخفاض نسبة الخصوبة، وتراجع ظاهرة الزواج الداخلي. إنها تغيّرات، لكنها، في الوقت نفسه، شواهد على تحولات في البنى العائلية، والعلاقات السلطوية، والمرجعيات الأيديولوجية. مما قد يثير بعض التوترات المصحوبة بالمقاومة في وجه التغيير، ولا تشكل ردود الأفعال هذه معوقات بقدر ما سوف تسهم في تعجيل عملية التحديث.

المؤلفان:

يوسف كرباج:

متخصص في علم السكّان، ويعمل بالمعهد القومي الفرنسي للدراسات السكانية.

من بين أهم ما نشر من كتب:

- "نصارى ويهود في ظل الإسلام العربي والتركي" (بالاشتراك مع: ف. فرجيس، فايارد، ١٩٩٢م).
- "آفاق سكانية جديدة في المتوسط" (المنشورات الجامعية الفرنسية، ١٩٩٩م).
- "سورية في الحاضر" (بالاشتراك مع: ب. دوبريه، و ز. غزال، أكت سود، ٢٠٠٧م).

إيمانويل تود:

مؤرخ وعالم أنثروبولوجي.

من بين أهم ما نشر من كتب:

- "قدر المهاجرين" (سوي، ١٩٩٤م).
- "الوهم الاقتصادي" (غاليمار، ١٩٩٨م).
- "ما بعد الإمبراطورية" (غاليمار، ٢٠٠٢م).



ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٠٣٢-٢١-٣



الجمعية السعودية الخيرية للتوحد

تنظم

برنامج كفالة طفل يعاني من التوحد للأسر المحتاجة

يمكنكم تخفيف معاناتهم عن طريق:

- كفالة طفل مصاب بالتوحد لكي يلتحق بمركز الجمعية السعودية الخيرية للتوحد وقدرها (١٨,٠٠٠) ريال سنوياً.
- نصف كفالة (٩٠٠٠) ريال.
- كفالة لأكثر من حالة (تحدد حسب العدد).

يتم تمويل البرنامج بدعمكم عن طريق التبرعات والهبات والزكاة

- بعد دراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة المحتاجة من قبل المختصين.



تقدم الجمعية السعودية الخيرية للتوحد:

- التشخيص والتقييم للقدرات ومستوى الأداء.
- الخدمات التربوية المتخصصة.
- الخدمات التأهيلية المتخصصة.
- الخدمات الاجتماعية.
- التدريب على التواصل.
- تعديل السلوك.
- التدريب على الاستقلالية.
- الرحلات والزيارات الترفيهية والتعليمية.
- المواصلات من المنزل إلى المراكز والعكس (قدر الإمكان).
- التوعية والتدريب للأسر حول الكيفية المثلى للتعامل مع الحالات في المنزل والمدرسة.

هاتف: ٤٤١٣٠١٠ - ٢١٢٠٠٥٠ فاكس: ٢١٢١٠٠٨
ص ب ٦٩٢٩٦ الرياض ١١٥٤٧ P.O Box 69296 Riyadh11547
Tel ٤٤١٣٠١٠ - ٢١٢٠٠٥٠ Fax ٢١٢١٠٠٨